دولة الكويت

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية — مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

نشرة الطب الإسلامي

العدد الرابع

الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الرابع عن :

الطب الإسلامي

٢

توثيق بعض ما نسب إلى الرسول في مجال الطب

اشراف وتقديم :

سعادة الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

وزير الصحة العامة

ورئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

المحرر :

دكتور علي السيف

دكتور احمد رجائي الجندي

دكتور عبد الستار أبو غدة

الكويت :

٥ ~ ٩ ربيع الاول ١٤٠٧ هـ

٩ ~ ١٣ نوفمبر ١٩٨٦ م

دولة الكويت

المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية — مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

نشرة الطب الإسلامي

العدد الرابع

الأبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الرابع عن :

الطب الإسلامي

٢

توثيق بعض ما نسب إلى الرسول في مجال الطب

اشراف وتقديم :

سعادة الدكتور عبد الرحمن عبد الله العوضي

وزير الصحة العامة

ورئيس المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية

المحرر :

دكتور علي السيف

دكتور احمد رجائي الجندي

دكتور عبد الستار أبو غدة

الكويت :

٥ ~ ٩ ربيع الاول ١٤٠٧ هـ

٩ ~ ١٣ نوفمبر ١٩٨٦ م

القسم الأول
التراث الطبي النبوي

القسم الأول : التراث الطبي النبوي

المجموعة الأولى
(من القسم الأول)

المحاضرة التذكارية الأولى

جسر بين الشباب وعلماء الإسلام

الأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل

رئيس الجلسة : فضيلة الشيخ / محمد الحبيب ابن الخوجة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه على بركة الله نفتتح هذه الجلسة الصباحية التي ستكون الدراسات فيها مركزة على التراث الطبي النبوي وتوثيق ما نسب إلى رسول الله ﷺ في مجال الطب وستكون هذه الجلسة إداريا تدار من طرف الدكتور / محمد الحبيب بن الخوجة ونائب الرئيس الدكتور / سالم نجم والمقرر الدكتور / خالد غزنوي وتشتمل هذه الجلسة الصباحية على محاضرة أولي تذكارية يلقيها على مسامعنا الدكتور / عبد العزيز كامل وموضوعها «جسر بين الشباب وعلماء الإسلام» ثم المحاضرة الرئيسية ونستمع فيها إلى فضيلة الشيخ محمد المختار السلامي وموضوعها « الطب النبوي » ثم جملة من الأبحاث كلها مركزة على الطب النبوي وعلى الأحاديث وفحصها ومدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشئون الطبية للدكتور / محمد الأشقر ، ثم التراث الطبي النبوي للدكتور / أحمد عمر هاشم ، ثم أحاديث الطب وخصائصها وتصنيفها وجمعها للدكتور / عبدالستار أبو غدة . ويأتي في الجزء الثالث من هذه الجلسة الصباحية الحديث عن المخطوطات التركية في الطب النبوي للدكتور / أكمل الدين إحسان أوغلو . أرجو من أصحاب السعادة والفضيلة الأساتذة الذين سيتولون إلقاء البحوث أن يتفضلوا بأخذ أماكنهم على المنصة .

حيث ألقى كل باحث بحثه وعلق رئيس الجلسة بالآتي :

جسر بين الشباب وعلماء الإسلام

الأستاذ الدكتور / عبد العزيز كامل
المستشار بالديوان الأميري ـ الكويت

(١) المقدمـــة

هذه المحاضرة ، أكثر مدادها من الواقع الذي نحياه . والجانب الأكبر من مراجعها معاناة وتجارب مباشرة عاشها أو عايشها المتحدث إليكم ، وتمتد جذورها إلى ما بين الحربين العالميتين ، فلن أثقلها بهوامش كثيرة . وشجعني على اختيار الموضوع أن جوانب منه تناولها المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي في استانبول منذ ثلاث سنوات . وشجعني أيضا أن موضوعها له سنده من أصول ديننا ، وعناية علمائنا ، وتوترات حاضرنا ، وآمال مستقبلنا .

ولنبدأ أولا بتحديد مجال البحث من كلمات عنوانه ، لنرى موقعه وعلاقاته باهتمامات المؤتمر .

الكلمة الأولى : جسر : وهو بين موقعين فكريين : الشباب وعلماء الإسلام . والمرور على الجسر في اتجاهين : من الشباب وإليهم .

ومرور موضوعات الحوار على الجسر ، يتصف بأمرين أساسيين :

أولهما الحرية ، والثاني الاستمرار . ويكفلهما نظام نابع من الإيمان بكرامة الإنسان : الشاب والعالم معا . وتتلاقى الأفكار حول موائد الحوار دون تصادم . والحوار مستمر ومتسع يشمل مشكلات العصر وأزماته وتطلعاته ، دون اقتصار على الأمس واليوم .

الكلمة الثانية : الشباب : دون أن نقف طويلا عند تحسين السن على أن أكثر العناية تتجه إلى الفترة ما حول الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، وتشمل مرحلتي التعليم الجامعي والعام وما قبلهما دون إغفال لمرحلة الطفولة .

ومن الشباب علماء أو هم في طريقهم إلى ذلك ، ومن العلماء ـ وإن تقدم السن ـ شباب القلب الداعي إلى العناية المستمرة بمشكلات المجتمع والأجيال الجديدة فيه .

ولا تقتصر العناية على شباب المدينة بقطاعيه العمالي والمدرسي ، وهم الأعلى صوتا والأكثر قدرة على التعبير ،

ولكنها تمتد إلى الريف والبادية . . ولن نقف عند قطاع محدود من المشكلات ، وإنما سنعنى بمرحلة معينة فيها ، هي التحول الكيفي من الاعتدال إلى الاندفاع . وهو أمر يصدق على شئون الفكر والدين معا . مرحلة تحتاج إلى تدخل صحي ستكون أكثر العناية فيه بالجانب الوقائي في نور من قول الله تعالى ﴿ **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** ﴾ (البقرة/ ١٨٥) .

الكلمة الثالثة : علماء : وهي كلمة ومنهاج في ذات الوقت . وتقتضي تحديد أسلوب الحوار بين الأطراف وهدفه . ولكل قطاع في المجتمع أو الحياة العامة منهجه وهدفه الذي يسعى إليه :

١ ــ **فالقاضي** ، وفي حدود القانون الذي يحكم به ، الناس أمامه بريء أومذنب . والعدل عنده تطبيق القانون . والظلم تجاوزه .

٢ ــ **ورجل الأخلاق** يعيش بين حدين : الخير والشر ، وفق الناموس الأخلاقي الذي يرتضيه لنفسه ، أو يرتضيه المجتمع الذي يعيش فيه .

٣ ــ **ورجل العلم** يعيش بين حدين : الصواب والخطأ ، وهودائب السعي في توسيع حدود معرفته ، والاقتراب بما يراه اليوم صوابا ، إلى ما يثبت البحث العلمي أنه أقرب إلى صواب أكبر .

٤ ــ **ورجل السياسة والحرب** : هدفه الانتصار في معركته . وبقاؤه بين حدين : النصر والهزيمة ، وبينهما درجات ومراحل . ولا مانع عند بعضهم من تجاوز نطاق الحق والعدل والأخلاق في سبيل تحقيق الهدف[٤] .

وفي مجالنا العلمي نود أن يكون التعاون بين **علماء** عدتهم الكلمة والتجربة وتوسيع دائرة المعرفة ، **وبين علماء أخلاق** ، ليسير الشباب في طريق لا تناله يد القانون أو سطوة الحكم ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . وإن مناهج هذين (أي العلم والأخلاق) ممكنة التطوير ، والأمل أن يتم حوار أوسع بين القطاعات الأربعة ، بتطور القانون وأداة الحكم .

الكلمة الرابعة : الإسلام : وفي مجاله يتحرك الشباب والعلماء معا . مجال يقول الله فيه عن علمنا وإدراكنا كله ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ (الإسراء ٨٥) .

فبكل التواضع لله في محراب العلم ، نجلس إلى مائدة الحوار . وبكل الحب والمودة نستمع إلى شبابنا . وبكل الموضوعية والتجرد نتناول المشكلات محاولين أن نصل من طرفي الحوار أو أطرافه إلى تركيب ، يصعد بحاضر الإسلام ـ وشبابه أغلى ما فيه ـ إلى مستوى أعلى .

إن من أبرز سمات الإسلام :

١ ــ الإيمان بالله تعالى .

٢ ــ الإخاء الإنساني .

٣ ــ الشمول .

٤ ــ المنهجية العلمية .

٥ ــ المستوى الأخلاقي .

وبعبارة أخرى : صلة الإنسان بربه إيمانا ، وبالناس إخاء ، وبالكون عمرانا ، في شمول وسمو ومنهجية علمية .

وصفوة القول : إن عملنا تحت مظلة الإسلام ، وفي مستوى أخلاقياته وبموضوعية منهجية ، وفي مجال مشكلات الشباب بأضواء من بحوث علماء الإسلام .

(٢) اختيار ملف الأبحاث

المنهج والمحتوى

إلى هنا ويحسن أن نتوقف قليلا . فما علاقة هذاالحديث بهذا المؤتمر وفي حدوده العلمية .

قد يقال : إن الموضوع يدخل في دراسات الشباب أو الدراسات الإسلاميةالعامة ، أو مشكلات المجتمع الإسلامي المعاصر .

ثم : أي مشكلات الشباب هي التي تحتاج إلى نظرة الأطباء المسلمين ؟ وتحت أي تخصص تدخل ؟

فلنحدد مشكلات أربعا أساسية يضمها ملف واحد نضعه أمام المؤتمر ليرى رأيه فيه .

الأولى : العنف في العمل الإسلامي . وتحرك قطاعاتٍ من الشباب إلى طريق الصدام . مع غيرهم من الشباب . أو مع الأجهزة الحاكمة ، مما يستنفد الكثير من الطاقات ، ويعصف بزهرة من شباب الإسلام في صور متكررة تكاد أن **تكون انتحارا ، جماعيا دوريا** ، أو غيابا عن المجتمع في السجون أو المعتقلات أو الشتات في الأرض . وأصبحت هذه الظاهرة « **متوطنة** » في أكثر من قطر إسلامي . جذورها إسلامية . وضحاياها مسلمون . إن المشكلة تبدأ بالفكر ، وتتحول إلى سلوك ، فتنتهي بمأساة ثم تعود إلى الظهور . فهل لنا فيها موقع ينير الفكر ، ويصحح المسار ، ويحقن الدماء ؟ .

الثانية : العلمانية والإلحاد : وتمثل الاندفاع المقابل في البندول . . . هي ترك الإسلام عن فكر وقصد . والاتجاه قوي في عالمي الشرق والغرب . وله عندهم جذور وظاهرات غير ما عندنا . وقد امتص طاقة قطاع من الشباب . من الممكن أن يكونوا للعقيدة والأوطان ذخرا . . فما دور المادة الطبية ـ كنموذج ـ في تأكيد الإيمان بالله ، وإحلال المنهجية العلمية محل العلمانية ؟ .

الثالثة : الانحلال الأخلاقي : بكل آثاره على الفرد والأسرة والمجتمع صحيا ونفسيا ، وبكل آفاقه من المسكرات إلى المخدرات والإدمان ، إلى الجريمة . فما الدور الوقائي أولا ، والعلاجي ثانيا في هذا المجال ؟ .

رابعا : التقليد والتخلف : فانصراف الطاقة إلى العنف والإلحاد والانحلال . . تؤدي ، لا إلى وقوف المجتمع مكانه فقط ، ولكن إلى انحداره ، فإذا أضفنا إلى هذا تقدم من حوله ، رأينا كم تتسع الفجوة بين عالم الإسلام وبين غيره من العوالم ذات العقائد أو المبادىء الأخرى . . .

فهذه كلمات أربع تمثل رؤوس الأقلام في مشكلة الشباب :

١ ـ العنف ، الإلحاد ، ٣ ـ الانحلال ، ٤ ـ التخلف . .

وتقابلها كلمات أربع هي ركائز البناء المرجو : (١) الحكمة ، (٢) العلم والإيمان ، (٣) الناموس الأخلاقي ، (٤) التقدم والإبداع .

وبذلك يصبح المسار المقترح :

(١) من العنف إلى الحكمة ، (٢) ومن العلمانية والإلحاد إلى العلم ، (٣) ومن الانحلال إلى التماسك الأخلاقي ، (٤) ومن التقليد والتخلف إلى التقدم والإبداع .

فإذا وضعنا الشباب وسط هذه المسارات الأربعة ، كانت مهمتنا تحويل سلبيات المسارات الثلاثة الأولى إلى إيجابيات ، وستكون النتيجة تحويل المسار الرابع ليفتح الطريق إلى مستقبل أفضل .

تكاد المسارات تكون كالجهات الأربع : شرق وغرب وجنوب وشمال ، أو يمين ويسار وأسفل وأعلى ، وهذا الاتجاه الرابع هو مسار التقدم والإبداع .

ووضع المشكلة في هذا الإطار الهندسي يوحيه إلى النفس آيات من القرآن وأحاديث نبوية شريفة .

من القرآن نقرأ قول الله تعالى :

١ ــ ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ . (الأنعام/١٥٣) .

٢ ــ ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ (الحج/٣١) .

ومن الحديث الشريف نقرأ حديث ابن مسعود :

١ ــ خط النبي ﷺ خطا مربعا ، وخط خطا في الوسط خارجا منه ، وخط خططا (أي خطوطا) صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال : هذا الإنسان . وهذا أجله محيط به . وهذا الذي هوخارج ، أمله . وهذه الخطوط الصغار الأعراض ، فإن أخطأه هذا ، نهسه هذا ، وإن أخطأه هذانهسه هذا » رواه البخاري[٥] .
(ومعنى نهسه أخذه بمقدم أسنانه)

هذه « الرباعية » من المشكلات ، ولكل منهاحدان من المرض والصحة ، أين نضعها ؟

اقتراح أقدمه يمكن أن نسميه « **الطب النفسي الوقائي** » . وهوميدان فسيح ، نستطيع أن نحدد فيه أهم المشكلات التي تقابل مجتمعاتنا الإسلامية وهي شريحتان أساسيتان :

أولهما : ترتبط بالركائز أوالأصوليات كالعقيدة .
والثانية : بالمتغيرات ، وأبرزها العلاقة بين السلطةوالشعب ، والعلاقة بين المأمول والممكن والواقع . .

وإذا كنا قد بذلنا عناية كبيرة في الطب الوقائي ، وكان أغلبها متجها إلى الجانب المادي والمحسوس ، وأثمرت هذه العناية فروعا متخصصة أفلا يحتاج الشباب الإسلامي وسط عصف الحياة المعاصرة إلى وقاية نفسية تتناول أهم مشكلاته ؟ وإن في عرض هذه المشكلات ، ما يعين على تحديد دورنا فيها . ولا يقتصر هذا الدور على الدراسة المباشرة للقطاع الذي يدخل أو يقرب من اختصاصنا ، ولكنه يفتح الطريق إلى تعاون أوسع مع منظمات إسلامية أخرى ، لها اهتماماتها وتخصصاتها ، ثم تنتقل الدراسة إلى مستوى أعلى يجمع هذه الدراسات ويحاول أن يستخرج منها القواعد الكلية التي يمكن تطبيقها على أكثر من مشكلة ، ويتحرك بها ـ إن استطاع ـ لتحصين الشباب ، وتوجيه طاقاته إلى التقدم والإبداع . ولنتناول المشكلات :

(٣) من العنف إلى الحكمة

ولكن أي عنف نقصد[٦] ؟

١ ــ لعل من أخطر أنواعه « العنف الصامت » الذي يتمثل في الملايين من ضحايا المجاعات في العالم الإسلامي : فيضانات الجناح الشرقي ، وغزو الصحراء في الجناح الغربي ، وتراجع الأرض الخضراء أمام أمواج الرمال ، والتحول في الجزء الباقي نحو المحاصيل النقدية على حساب الغلّات الغذائية .

وتذهب البعثات الطبية بعد وقوع الخطأ ـ هل نقول الجريمة ؟ ـ وأيهما أشد إثما : اغتيال الأرض الزراعية التي أطعمت أجيالا بعد أجيال ، أم اغتيال جزء من جيل ؟ وقد تتوالد الأجيال ، ولكن الأرض لا تتوالد .

ولقد امتد الاغتيال إلى الأقطار العريقة في الحضارة ، وزحفت المدن على حساب الريف ، وهجر أهل الريف مزارعهم سعيا وراء الحياة في المدينة ، واحتقنت المدينة بسكانها ، وفي المجاعات ، رغم أن الريف هو المنتج ، إلا أن المدينةهي التي تمارس سلطاتها عليه ، ففيها الحكم والقوة ، وهي التي ترسم السياسة الزراعية ، وتكفل لأهلها القدر الأوفى من الغلات الزراعية ، ويموت في المجاعة الذين زرعوا الأرض ولم يستطيعوا الحصول على غذائهم منها[٧] وهم مطالبون بعد هذا بالطاعة الصامتة . ومن دونها عنف صامت . . إلى حين .

٢ ــ ولا يبعد عن هذاالعنف الصامت ، العنف المضاد . الذي يتمثل في محاولات أصحاب الأرض الاحتفاظ بها أمام غزو بشري دخيل . وأشد صوره ضراوةما يحدث في فلسطين المحتلة . فالغزو الصهيوني يقتلع الأرض ، ويحاول جاهدا دفع السكان إلى ماوراء الحدود . فالعدوان واقع على الأرض والبشر والتاريخ والمستقبل معا .

وليس أمامأصحاب هذا الحق ـ عند الضرورة ـ إلا العنف المشروع . وغير بعيدعنه مايحدث في جنوب أفريقيه .

٣ ــ ولكن الذي نود التركيز عليه هو العنف الذي يقوم بين الشباب على أساس ديني ، أو بينهم وبين الحاكم المسلم ، من أجل تطبيق الإسلام[٨] هذا العنف الذي اشتد مع مايسمى الآن بالصحوة الإسلامية . وتمثله جماعات شابة عنيفة تكرر اصطدامها فعلا بحكامها اصطداما دمويا ، راح ضحيته العديد من الشباب قتلا وسجنا .

وبمراجعة أدبيات هذه الجماعات يتضح أن فكر الشباب فيها يمر بالمراحل الآتية :

١ ــ إحساس بالاغتراب يتولد من الفجوة بين ما يسمع في المسجد ، وما يقرأ في المدرسة والمراجع عن الإسلام ، وما يتلقاه في الحياة اليومية ، من بعد عن المبادىء والتطبيقات الإسلامية ، قد يصل إلى درجة التحدي الصريح للإسلام .

٢ ــ يحاول البعض إيجاد جسر بين العقيدةوالحياة . وعند البعض تزداد الفجوة اتساعا . ويبدأ الشاب في الانضمام إلى جماعةتماثله فكرا ، أو تكوين جماعة إذا كانت قدرات القيادة والتأثير متوفرة عنده .

٣ ــ يتطور الإحساس بالاغتراب إلى نوع من الانعزال الفكري أو الشعوري عن المجتمع الذي يعيش فيه ، ويزداد التصاقه بجماعته الخاصة .

٤ ــ يتطور الإحساس إلى « الرغبة في التغيير » ، ومع هذه الرغبة يبرز سؤال: من نحن ؟ وما علاقتنا بالمجتمع الكبير ؟ .

وهنا يبدأ التحول الخطر ، عندما تكون الإجابة : نحن المسلمون . نحن جماعة المسلمين ، نحن المعبرون عنه . ولكن : ماحكم هذاالمجتمع الكبير ؟ مذنبون ؟ عصاة ؟ كافرون ؟ فإذا وصل الحكم بتكفير المجتمع الكبير ، كان السؤال التالي ، وكيف نقاومه ؟

٥ ــ وتتضخم أمام أعين الشباب أخطاء المجتمع الكبير : عدم تنفيذ الأحكام الشرعية . إباحة ما حرم الله كالخمر والميسر والربا .

٦ ــ وهنا يتفرق الطريق بالشباب : فمن الجماعات من يكتفي بالكلمة والنقد والتوجيه . ومنهم من يبدأ في اتخاذ الأسباب للتغيير العملي في المجتمع عن طريق نظام الحكم نفسه . ولهذا التغيير عدة نفسية ومادية : أما النفسية فقد بدأت زراعتها منذ الاغتراب ، سيرا إلى الانعزال الفكري والشعوري . أما المادية ، فتحتاج إلى نوع من الانفصال والانطواء والسرية ، بحيث تعيش الجماعة في المجتمع كأنها لا تعيش فيه . تأخذ منه حاجتها من طعام وشراب وملبس ، ولكنها تستعد بسلاحها للهجوم على المجتمع وتغيير نظامه .

٧ ــ ومع فروق جزئية بين الجماعات ، إلا أن اللجوء إلى السلاح والخطط الضيقة الهدف ، أمر مشترك فيها . وفي الحالات التي تمت دراستها كان الاستعداد ضئيلا ، بحيث لا يستطيع بحال من الأحوال أن يغير نظاما له مؤسساته المدربة . ومن أجل ذلك تلجأ بعض الجماعات إلى أسلوب الضربة المدوية ، وذلك بالعدوان على رموز الدولة ،

وتتكرر محاولات الاغتيال الفردي والتفجير الجماعي . هذه هي التي يسمونها في أدبياتهم مرحلة الظهور بعد مرحلة الكمون السابقة . أو مرحلة الجهاد بعد الاستعداد . أو مرحلة العمل العلني بعد العمل السري . أو العمل فوق الأرض بعد العمل تحت الأرض .

ويربطون ـ أحيانا ـ بين هاتين المرحلتين (السر والعلن) وبين العهدين المكي والمدني في الدعوة الإسلامية ، على خلاف واضح في الجوانب التاريخية والموضوعية ، بين الأمرين . يضفي الربط في ذاته على عمل الجماعة هالة من القداسة ، كأنهم بها يكررون قيام الدعوة الإسلامية الأولى ـ أو يهتدون بها .

هذا التحول الكيفي هو الذي يحتاج إلى وقفة علمية دارسة . فهو في كثير من الحالات ، **كان نوعا من الانتحار ، بأيدي الآخرين** : تضع به الجماعة نفسها في موضوع الاستشهاد ، أو تحاول كتابة الفصل الختامي من قصة ارتفعت درجة حرارتها بين أيديهم ، وليس وراء الارتفاع إلا الانفجار .

والشاب يستمد من معين تمسكه بقضيته ، ما يؤمن أنه الحق في دنياه ، والجنة في أخراه . ويسير إلى مصيره مع إخوانه ، ويختزن في نفسه من بطش السلطان وإحداث التعذيب في السجون والمعتقلات ، وبشاعة امتهان الإنسان ، ما يجعل الموت أقرب إليه من حياة ، فقدت مصداقيتها الإنسانية .

ومع هذا الخط الرئيسي خطوط مصاحبة وممهدة ، أو تصرفات تكمل بها صورة ، أو صور هذه الجماعات ومن أبرزها :ـ

١ ــ محاولات عن البعد عن العمل الحكومي باعتباره كسباحراما ، يدخل فيه الربا وكسب الخمر ، أو على الأقل قطاعات من العمل الحكومي ، كالبنوك والشركات الاستثمارية .

٢ ــ اللجوء إلى بعض الحرف اليدوية ، وبعض البيع والشراء البدائي ، وترك الكليات الجامعية ، باعتبار ما فيها من علم لا يعين على دين ولا دنيا .

٣ ــ الشك في الكثير من علماء الدين ، ثم مقاطتهم باعتبارهم علماء الحكم والسلطان ، وقد ساعد على هذا ضغط بعض الحكومات الإسلامية على علمائها ، واستصدار فتاوي منهم تحت قهر السلطة ، شوهت صورة قطاع من العلماء ، وجعلت يدهم هي السفلى .

٤ ــ الانقطاع عن كثير من كتب الدين ، إلا ماكان مرتبطا بالقرآن والسنة والتراث المأثور ، وإعطاء أنفسهم حق التجميع بين أجزاء منها ، وتكوين صورة شاملة ، وتطبيقها على الواقع الذي يعيشون فيه .

٥ ــ اللجوء إلى تطبيق أحاديث الفتن على الواقع الذي يعيش فيه المسلمون ، وكذلك أحاديث المهدي ، وأحاديث تجديد الدين على رأس كل مائة عام . ووصل الأمر إلى تطبيق الصفات الجسدية ، لمن نادوا بهم مهديين ، على الصفات الجسدية الواردة في الأحاديث . بحيث أصبح تأويل هذه الأحاديث هو معيار الصواب ومنهج السير في جماعتهم حسب ماانتهى إليه رأي قادتهم .

٦ ــ اللجوء إلى كهوف الجبال ، كأنهم صورة جديدة من أهل الكهف الذين اعتزلوا قومهم .

٧ ــ هذا إلى التمسك بزي مخصوص ، أو به مواصفات خاصة ، ترتبط بأحاديث نبوية .

٨ ــ الموقف السلبي أو مقاطعة الأسرةالصغيرة : الأب والأم والإخوة ، باعتبارهم غير مطبقين لأحكام الله .

٩ ــ وقد يصل وصف المجتمع بالجاهلية وتكفيره ، إلى استباحة العدوان عليه ، أو الاستيلاء على ما يصلح بـه أمر الجماعة الصغيرة التي يؤمن بها : فهي عنده الإسلام وأصحابه فيها هم المسلمون . ومن وراءهم في مراتب بين الخطأ والتقصير والفسق والقعود والكفر .

١٠ ــ اتجاه طاقة الجماعة الصغيرة إلى حرب المجتمع الكبير دون التوجه الأول إلى حرب أو مقاومة أعـداء الإسلام الحقيقيين . وحجتهم في هذا أن الحكام ، وإن حملوا اسم الإسلام ، فهم عقبة في سبيل وصول الإسلام الحقيقي إلى مستويات القيادة التي حققوا من خلالها الإسلام .

ولماكان واقع التاريخ في النصف الثاني من القرن الهجري الرابع عشر ومطالع الخامس عشر (أي الخمسين سنة الماضية) ، قد أثبت أن هذه الجماعات قد اصطدمت بحكوماتها وتناثرت أشلاؤها ، فقد كان في استنزاف جانب من الطاقةالإسلامية في هذا الصراع ، ما يسعد به أعداء الإسـلام ، فضلا عـما يورثـه من الشك المتبـادل بين الحـاكم والمحكوم ، وما يستتبع ذلك من انصراف الجهود إلى تأمين الجبهة الداخلية .

وحتى في القليل الذي استطاع أن يؤكد وجوده ، وأن يغير النظام الذي قام ليحاربه ، كما في الثورة الإيرانية ، إلا أنها سرعان ماتجهت إلى حرب العراق ، وتوقفت الجبهة الشرقية للعالم العربي والإسلامي عن العطاء الإيجابي في تحرير الأرض العربية من العدوان الصهيوني .

وأود أن أقف هنا لنتساءل معا : ما قدر الاستنزاف الذي أحدثه العنف الإسلامي ؟ ولماذا تكررت أحداثه ؟ وما الذي عاد على الإسلام منه ؟

إن هذا العنف ينشأ في العقول باسم الإسلام ، وعلينا أن نتعاون ليخلى مكانه للحكمة في العقول أولا ، وفي الحياة ثانيا .

نحن نتحدث عن الصحة النفسية في مدارسنا وبيوتنا ، وهي المهاد الأولى لتكوين الشخصية ، في نور من قول الله تعالى ﴿ **قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** ﴾ (الشمس/ ٩ ـ ١٠) ، ثم نتتبعها في الحياة العامة وما فيها من مؤثرات محلية وعالمية في آفاقها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية . وهذا النسيج كله ، في حاجة إلى دراسة يقع بعضها مباشرة في نطاق العمل الطبي ، وبعضها يدخل في النطاق الأوسع المقترح ، وهو « الطب النفسي الوقائي » على المستوى الإسلامي ، الذي يستهدف ـ في هذا الموضوع بالذات ـ إيجاد الحوار الإيجابي فيما بين الشباب أولا ، وفيما بينهم وبين الأجهزة الحاكمة ثانيا . الحوار الذي يشعر الطرفان أو الأطراف بجدواه ، ولا ينصرفون عنه إلى العنف كوسيلة أخيرة للتعبير عن الفكرة . وهو حوار أيضا ـ إذاجاز هذا التعبير ـ مع العوامل الطبيعية والبشرية المكونة للبيئة من أجل توفير الظروف الأصلح للحياة والإحساس بالانتماء .

ثانيا

(٤) من الإلحاد والعلمانية إلى الإيمان والعلم

١ ــ إن العلمانية منهج مرتبط بالتطور الحضاري في غرب أوروبا بدءا من حركات الإصلاح والنهضة في القرن السادس عشر ، وسيرا إلى فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر ، والحركة العلمية الصناعية في القرن التاسع عشر .

والعلمانية بهذا لها مكانها وارتباطها العضوي في المنظومة الحضارية الغربية ، وهي المنظومة التي لا تزال سائدة في عالمنا المعاصر ، واستطاعت أن تكشف أرضا جديدة في العالم الجديد ، وأن تمد لها فروعا في أجزاء من العالم الإسلامي .

والأصل في العلمانية ارتباطها بهذا العالم ، بالأرض والحياة المحسوسة التي نحياها . فهي لا تنبع من الدين . ولها معه موقعان : اللامبالاة أو الرفض أو العزل عن التأثير في حياة الناس . وواضح أنهانشأت في الغرب ردا على تحكم رجال الدين في حياةالناس ، تحكما امتد من الجانب الروحي إلى الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . فكان أن ظهر الاتجاه نحو تحرير الحياة من سيطرتهم ، وأن تفصل الجوانب الدينية عن الجوانب المدنية والزمنية . ومع استبعاد الدين من توجيه حياة الناس أو السيطرة عليها ، رفع الغرب لواء العقل . وتشعبت الصراعات :

بين الإيمان والعقل ، وبين الغيب والشهادة .

بين رجال الدين ، ورجال الدنيا : ونقصد بهم الساسة والاقتصاديين والمشرعين والفنانين .

بين صياغة الحياة على أساس الدين ، وصياغتها على أساس العقل والتجربةوالخطأ والتطوير ، دون أن تكون هناك معايير محددة علوية كما نجد في قواعد الدين .

وأبناؤنا الذين ذهبوا إلى الغرب ، والذين قرأوا إنتاجه الفكري ، رأوا أمامهم صيغامتكاملةمن الحياة ، وخطابا علمانيا مطبقا . ولكنهم عندما التفتوا إلى الإسلام وأرضه وجدوا أمامهم مغالاة بالمبادىء وحديثا عن الأصالة ، وعناية بالتراث وإنتاجا جزئيا . ولكن عندما أرادوا رؤية النظام الإسلامي المتكامل في مجتمعٍ ، استطاع أن يعيش كما يفكر ، ويعبر عن آماله عمليا في حياته عندما أرادوا « الرؤية » لم يستطيعوا . فالنموذج لا زال في مرحلة المبادىء والتطبيقات الجزئية ، أو طواه التاريخ :

١ ــ هناك النموذج التراثي مع تعدد المدارس التي تتناوله بالعرض والتحليل . ويكفي أن نشير في عالمنا المعاصر إلى تفسير كل من أهل السنة والشيعة للتراث ، حتى قضاياه الكبرى : الخلافة . حروب الردة . نظام الحكم . مناهج التفسير . تكوين كتب الحديث النبوي .

٢ ــ وهناك النموذج المستقبلي الموعود ، الذي لا زال في ضمير الغيب . والشباب موزع بين الماضي والمستقبل ، ويفتقد خطوط الحاضر أو هو يبحث عنها .

وهو يرى أمامه العلماء وقد انقسموا ـ على الأقل ـ فريقين كبيرين : أحدهما يدافع عن التراث ، ويعرض التاريخ

الإسلامي والحضارة الإسلامية عرضا مناقبيا ، أكثره مدح وتمجيد ، وفريق يضع هذا التراث كله تحت محك النقد العقلي . ووصلت طائفة إلى المناداة حتى بوضع المقدسات من القرآن والسنة النبوية على محك المناهج العلمية الغربية في علوم اللسانيات والأنثربولوجيا (علم الإنسان) وعلم الاجتماع ، مع دراستها كنصوص لها مكانتها التاريخية دون قداسة تحول دون تطبيق مناهج البحث عليها .

وجانب من العلماء ذهب إلى أبعد من هذا ، فرفض الفكر الديني بكامله ومصدره الإلهي ، واعتبر الأديان من صناعة البشر ومواهب الأفراد . وإننا مسؤولون عن وجودنا فقط . وإن المجتمع أو الفرد هو مصدر الأخلاق ، لا الدين ولا السماء .

وزاد من توتر الشباب أن رأوا الذين ينادون بالدين يعيشون في أقطار لم تستطع أن تحقق تفوقا علميا في العالم المعاصر فربطوا بين التخلف والدين ، كما ربطوا بين الإلحاد والعلمانية والتقدم .

القضية في أساسها فكرية . والفكر فيها يضم المنظومة الحضارية في شمولها وحركتها ، وقدرتها على الحياة والإبداع .

وليس المطلوب منا ولا المنتظر ، أن نكتفي بأن نقول هذا صواب وهذا خطأ ، أو هذا كفر وهذا إيمان ، أو نتخذ موقف التبرير والدفاع ، أو موقف الهجوم والاندفاع .

وإنما المطلوب أولا : أن ندرك أبعاد التوترات التي يحياها الشباب الإسلامي ، في تفاعله مع الحضارة الغربية بقطاعاتها المتعددة ، في كل من المعسكرين الشرقي والغربي ، ونظرة الشباب إلى النماذج الجديدةالتي استطاعت أن تزاحم هذه الحضارة في الساحة علميا وتقنيا واقتصاديا (النموذج اليابان كمثال) .

ومن إدراك هذه الأبعاد ، ومن النظر في التراث تتحدد أمامنا مسؤوليات :

١ ــ كيف نعين الشباب على تثبيت إيمانه بالقضية المحورية في الإسلام ، وهي وجود الله ؟ وبالتالي ما يتصل بقضية الألوهية من الإيمان بالغيب والرسالات والعمل الصالح والجزاء ؟ وفي مجال الطب مادة واسعة تبين عظمة الخالق ودقة الخلق .

٢ ــ أن يأتي هذا العرض في منهجية تعين على الإيمان ، دون الاكتفاء بسرد الحقائق المجزئة أو المتتابعة .
إن الخلق له وحدة تتمثل في المجرات كما تتمثل في الذرة والخلية . وحدة وراء التنوع الكبير الذي يتجلى في الوجود .

٣ ــ وهناك قضايا رئيسية ينبغي أن تتضح فيها الآراء ومن أبرزها العلاقة بين : العلم والدين ؛ وبين أصول التشريع ومناهج البحث العلمي وتطورها .

٤ ــ ويرتبط بهذا أمر ، وإن كنا سنشير إليه في التقدم والإبداع ، إلا أن له مكانا في سياق القضايا الرئيسية ـ وهو « ابتكار مناهج البحث » التي تستطيع أن تقابل حاجات الحياة المتجددة . وتطور من نظرتنا إلى النفس والكون ، وتنقي التراث دون أن تزلزل أركانه .

٥ ــ وأود أن أذكر أن « القرآن » وهو المحور الأساسي الذي يدور حوله الإسلام يتعرض الآن باسم المنهجية العلمية ، والبحث الحديث ، والعلمانية ، وموضوعية الدراسة ، والتحرر من القداسه ، والعقلانية ، يتعرض باسم هذا كله إلى قراءات جديدة ونقد ، وتفسيرات ، يصدر أغلبها عن معاهد في الغرب ، ويحمل ألويتها علماء من أبناء الإسلام ، ومن غيرهم . وأكتفي بمثالين من نصوص ما كتبوا :

المثال الأول عن النص القرآن : وهو من بحث بعنوان « الإسلام والعلمنة » لمحمد اركون الأستاذ في جامعة باريس :

راح الخليفة الثالث عثمان (أحد أعضاء العائلةالمعادية ، لعائلةالنبي) يتخذ قرارا نهائيا بتجميع مختلف الأجزاء المكتوبة سابقا ، والشهادات الشفهية التي أمكن التقاطها من أفواه الصحابة الأول . أدى هذا التجميع عام ٦٥٦ م إلى تشكيل نص متكامل فرض نهائيا بصفته المصحف الحقيقي لكل كلام الله كما كان قد أوحي إلى محمد . رفض الخلفاء اللاحقون كل الشهادات الأخرى التي تريد تأكيد نفسها (مصداقيتها) **مما أدى إلى استحالة أي تعديل ممكن للنص المشكل في ظل عثمان** » .

ثم يقول بعد هذا عن موقف المثقفين المسلمين من هذه « المقولة الرسمية » التي لا يسمح لأحد من البشر أن يوجه إليها أدنى ذرة من الشك :

« إنهم يمارسون الرقابة على أنفسهم ويمتنعون عن الخوض في هذه المسائل الحساسة التي يعتبرونها سابقة لأوانها . إنهم يعتقدون أن معالجة تاريخيةنقديةكالتي نقوم بها ، تخلخل التضامن المجتمعي وتهزه ، مما يؤدي إلى ردة فعل من قبل هذا المجتمع الذي سيرد بعنف على كل محاولة من هذا النوع . هذه هي الحالة التي نعيشها اليوم . إنها ـ كما تلاحظون ـ مؤسفة ، لكنها في الوقت ذاته مفهومة » .

ثم يقول عن المصادر الأربعة للتشريع الإسلامي كما جاءت في كتاب « الرسالة » للشافعي وهي القرآن والحديث والإجماع والقياس :

« ينبغي أن تشير إلى حقيقة مهمة وهي أن هذه المبادىء الأربعة غير قابلة للتطبيق . فأولا : إن قراءة القرآن كانت قد أثارت اختلافا تفسيريا كبيرا . وأما الأمر مع الحديث فإن القضية أشد عسرا . ذلك أن الحديث ليس إلا اختلافامستمرا فيما عدا بعض النصوص القليلة التي يصعب تحديدها وحصرها .

نحن نعلم أن هناك تراثين في الحديث : التراث السُنّي والتراث الشيعي . وهما منفصلان تماما . ينتج عن ذلك أن (الشريعة) التي يتحدثون عنها بكل تبجح ليست واحدة في أصولها عند السنة وعند الشيعة . أما فيما يختص بالإجماع الذي نادرا ماتحقق فهو عبارة عن مبدأ نظري طبق فقط على بعض المسائل الكبرى من قَبل تَشَكُّلِ النص القرآني ، الصلاة ، الاحتفال بعيد ميلاد النبي . هكذا تلاحظون مدى الخطورة الكبرى التي تنتج عن كل تلك القصة . قصة تشكل الشريعة خصوصا إذا علمتم أن هذه الشريعة ينبغي أن تحكم حياة كل مسلم وتصرفاته وحتى تفكيره في كل لحظة تمر من لحظات حياته » هـ[١١]

المثال الثاني عن تفسير القرآن ومرجعنا فيه كتاب « دراسات قرآنية » تأليف ج . فانزبرو J.WANSBRQUGH من جامعة لندن :

فهو لم يكتف في صدر كتابه بأن يرد القرآن ـ في بعض سوره وآياته ـ إلى الزيادة في معرفة الرسول العربي بكتاب العبرانيين (يقصد العهد القديم) . ويعتبر هذا هو التفسير الوحيد للمادة القرآنية . وهو في هذا يتابع سابقيه من المستعربين مثل نولدكه . لم يكتف فانزبرو بذلك ، وإنماحاول أن يبحث مناهج التفسير قبل الطبري ، ووضع لها أسماء من التراث التلمودي : ففي الفصل الرابع من كتابه ذكر أن أنماط التفسير القرآني خمسة :

١	الهجادي	Haggadic
٢	الحلقي	Halakhic
٣	الماسوري	Masoretic
٤	البياني	Rhetorical
٥	المجازي	Allegorical

والثلاثة الأولى تعابير تلمودية . فالهجادة هي التفسيرات غير القانونية للتلمود ، بينما الحلقة هي تفسيراته القانونية . والماسور يويرهم نقلة وحفظة النصوص المقدسة ، وهم الذين أدخلوا العلامات الدالة على حروف العلة وعلامات الترقيم لضبط النطق والوقف والابتداء . والحواشي والهوامش التي أضافها الماسوريون هي التي تسمى الماسورة .

فالأول هو التفسير الأسطوري ، والثاني التشريعي ، والثالث اللغوي والرابع البياني ، والخامس المجازي .

والذي يعنينا أساسا هو استخدام التعابير التلمودية في تفسير ودراسات القرآن في كتاب صادر عن جامعة لندن ، وتنشره مطبعة جامعة أكسفورد عام ١٩٧٧ م .

ولك أن تربط هذا بعمليات « تهويد » واسعةالنطاق ، تصل إلى أقدس مقدسات المسلمين وهو **القرآن** ؛ كما يحاولها الكيان الإسرائيلي فيما استولى عليه من أرض ، ومحاربة الأسماء العربية وطمسها ، حتى حائط **البراق** ، وجدنا من كتابنا من يتابع الصحافة الغربية فيماتكتب ويسميه « حائط المبكى » . وبدأ ينتشر استخدام يهودا والسامرة بعد أن طواها الزمان .

الأمر الآن هو زلزلة قواعد الوجود الإسلامي كله : في الفكر والتاريخ والحاضر والمستقبل ، ولكل من هؤلاء سلاحه وطريقه .

وإذاكان فينا من يعصمه اطلاعه من التأثر بذلك ، فما القول في شبابنا الذين يتتلمذون على أساتذة في جامعات الغرب وفي بعض جامعاتنا ، ولهم إنتاجهم المنشور ، وإصرارهم على الدعوة إلى العلمانية ، ولا يخفي بعضهم إلحاده ، ولا يخفي استخفافه بالدين عقيدة وشريعة ؟ وكل هذا باسم العقلانية وحرية الفكر .

إن الأمر ليس مصادرة على فكر ، ولا قيدا على حرية رأي . ولكن : ألا يحتاج الأمر إلى حوار منصف ؟ وإلى مشاركة إيجابية في رصد الاتجاهات والأفكار ، وفي المساهمة في بناء مناهجنا الفكرية . وتأكيد ركائز الإسلام في نفوس شبابنا على أساس يجمع بين الإيمان والعلم . وبين العقل والشرع ؟

وأود أن أختم القول في العلاقة بين العقل والشرع باقتباس من الإمام الغزالي ذكره في كتابه : معارج القدس :

« اعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع . والشرع لم يتبين إلا بالعقل . والعقل كالأس . والشرع كالبناء . ولن يغني أس مالم يكن بناء . ولن يثبت بناء مالم يكن أس . فالشرع عقل من خارج . والعقل شرع من داخل . وهما متعاضدان بل متحدان »[١٣] .

نحن في حياتنا المعاصرة في حاجة إلى إحياء جديد لعلوم الدين ، ومعابر بين الماضي والحاضر ، **وبين الشرع والعقل ، وبين التصوف والشريعة وبين الدين والعلم . وبينهما وبين الحياة وتدفقها الفكري والعلمي الجديد .**

ثالثـا
(٥) من الانحلال إلى التماسك الأخلاقي

يتفق الاتجاهان السابقان في أمر أساسي : هو غلبة الجانب الفكري ، وتكوين موقف من قضايا الحياة الأساسية مبني على المعاناة ، راغب في التغيير وإن غلب العنف في الاتجاه الأول باسم الإسلام ، ونأى الاتجاه الثاني عن الإسلام : تحييداأوتجاوزا له ، أو حربا عليه ، باسم العلمانية والعقلانية .

الاتجاه الأول يرمي إلى التضييق والحذف : هو ينطوي عن المجتمع ، ويتفوقع ، ويتضاغط ، ثم ينفجر . والانطواء يشمل الناس وقطاعا ضخمامن التراث ، ولا يرى منه ، ولا يقدر فيه ، إلا فترة محددة ، هي فترة قيام الإسلام الأول ، ثم يعبر القرون (هكذا في بعض الجماعات الممثلة لهذا الاتجاه) ويرى نفسه امتدادا واتصالا مباشرا بالقرن الأول أو حاملا لمسؤولياته .

والثاني يرى هذا كله « تاريخا » فيه « بعض » ما يصلح . وهو كله تحت الفحص والمراجعة : عقائده تحت الفحص لا في إطار القداسة . الفكر يختبر الفكر . والعقل يختبر العقل . والاختيارات والتجارب تتجدد .

ولا مجال للمقارنة بين إنتاج الاتجاه الأول ، وهو مقتصر على التداول بين الذين صنعوه وآمنوا به ؛ مجهول المصدر أحيانا . لا اسم لدا ر الطباعة أو المؤلف أو عام النشر ، وبين إنتاج الاتجاه الثاني بكل مدارسه وامتداداته ، والمساحة الرحبة التي يعمل فيها على الصعيد العالمي ، والآفاق التي يبتكرها والمناهج التي يقترحها ويطبقها ، والمواقع التي يشغلها أصحابه في الحياة الفكرية والسياسية والتنفيذية .

ويبقى اتجاه ثالث . هو في حقيقته « لا اتجاه » . هو سقوط عن الإسلام السوي وعن العنف به ، وعن الهجوم عليه . إنه اتجاه هابط إلى قاع المجتمع .

هذا هو الانحلال الأخلاقي الذي غزا قطاعا غير صغير من شباب العالم الإسلامي ، كما غزا قطاعات من الشباب العالمي : وتحت عنوان الانحلال تستطيع أن تضع المحرمات والممنوعات والمكروهات : الإدمان على المخدرات والمهدئات والخمور . التدخين . الإنحرافات الجنسية . العدوان على الآخرين بالقتل أو السرقة أو الابتزاز .

وهناك جهود عالمية وإقليمية وقومية تبذل لمقاومة الإدمان ومؤتمرات متخصصة تعقد من أجله أو من أجل جوانب منه . ولهذا سنكتفي بصورة عامة تكون عونا على تحديد دورنا في مقاومته : فهناك ثلاث مجموعات من العوامل المتداخلة يرجع إليها الإدمان .

أولا : العقار : تركيبه وخواصه الكيميائية . طريقة استعماله .

ثانيا : الفرد المدمن : عوامل الوراثة . الشخصية . الأمراض النفسية . الأمراض الجسيمة .

ثالثا : الأسرةوالتربية .

وإذا ما « أدمن » الفرد ، كان تحريره من الإدمان ـ إذا أمكن ـ تحت إشراف طبيبه المعالج .

ولكن هذا الفرد لن يزيد عن رقم ، في عملية حسابية عالمية معقدة ، تبدأ من مناطق إنتاج السلعة ، حتى تصل إلى المستهلك ، مرورا بوسائط التصنيع ، والتهريب ، والنقل ، والتوزيع .

ولقد ازداد التعقيد عندما اتصل الأدمان ، بالسياسة ، والسيطرة على الشعوب أو تحريرها ، ودخلت بعض الحكومات أو القوى المسيطرة على أجزاء من دول ، دخولا مباشرا أو غير مباشر في زراعة المخدرات والإفادة من أرباحها[١٥] .

ومن هذا التعميم ننتقل إلى تخصيص عن العالم الإسلامي :

١ ــ ففيه مناطق من أهم مراكز زراعة المخدرات .

٢ ــ وفيه مناطق من أهم أسواقها أو هي في طريقها إلى ذلك .

٣ ــ إن تسويق المخدرات ، والدعوة السافرة إلى التدخين ، زادت في العالم الإسلامي كجزء من العالم الثالث أولا ، ولامتصاص ثرواته ثانيا ، ولتدمير شبابه ثالثا .

٤ ــ إن بعض أجهزة الإعلام والصحافة خضعت لإغراء شركات السجاير العالمية ، وسمحت بأن تكون منابر دعاية للتدخين ، مع إضافة سطر نحيل ـ على استحياء ـ يحذر من أخطار التدخين : وذلك بعد الحملةالمكثفة على أخطار التدخين في الدول المتقدمة . والنجاح الكبير الذي أحرزته هذه الحملة ، فصدروا لنا السم وحاولوا إبعاده عن شبابهم بالتوعية المستمرة .

وإذا أردنا أن نسمى الأسماء بأسمائها فلنقل إنها « حملة تخريب مخططة » قادتها المنظمات المنتجة ، والمشاركة في التصنيع والتوزيع ، وأسلحتها المخدرات والتدخين ، وميادينها ـ يهمنا منها العالم الإسلامي كقضية أولى ـ وضحاياها أكثرهم في العالم الإسلامي من الشباب ـ.

هذا هو الباب الثالث ـ الباب الخلقي ـ في المجتمع الإسلامي الذي تتسرب منه الطاقات مع البابين اللذين سبق عرضهما .

رابعا
(٦) من التقليد والتخلف إلى التقدم والإبداع

بعد هذه الرحلة بأبعادها الثلاثة ، نحاول أن نجمع الخيوط لتتجه الطاقات من مساراتها السلبية إلى الإيجابية .

فأمامنا فجوة حضارية لا سبيل إلى تجاهلها ، ولا سبيل إلى تجاوزها ، إلا بتخطيط علمي وتنفيذ دائب وصبر طويل .

١ ــ وأول التحرك ههو الإحساس بأبعاد التحدي الحضاري الذي يقابله العالم الإسلامي :
ظاهرات التخلف القائمة : نسبةالأمية . المستوى الصحي . دخل الفرد . مستوى التعليم . مستوى البحث العلمي . عدد العلماء المبدعين . آفاق إنتاجهم، نسبتهم إلى المعدلات العالمية وفي الدول المتقدمة . البحوث العلمية المعترف بها على الصعيد العالمي . إمكانات الحوار العلمي العالمي . كل هذه أمور نحس بها . ولكن ما مدى إحساس شبابنا بها ؟
إن توضيح وتبسيط هذه الحقائق للشباب يزيد من إدراكهم لحقيقة الوضع الذي هم فيه ، وللمهمة الحقيقية التي ينبغي أن يقوموا بها في الحياة المعاصرة .

٢ ــ من هذا الإحساس المستنير ، والحوار فيه مع الشباب ، نستطيع أن نحول طاقات التحدي من الصراعات الداخلية فيما بين فصائل الشباب ، وما بين الحاكم والمحكوم ، إلى الهدف الحقيقي والحتمي لمن يريد تأكيد وجوده في العالم المعاصر .

٣ ــ وإن من طبيعة الإسلام ، أنه في مبدئه وغايته ، دعوة إلى الإيمان والعلم . فلا تعارض بين حقيقة الإيمان والبحث العلمي والمستوى الأخلاقي الذي يتم به : فأخلاقيات العالم في الإسلام لا تفصل عن إنتاجه .
وهذه الثلاثة تتبادل التأثير : الإيمان . العلم . الأخلاق .

٤ ــ وهذه الثلاثة ، مع تبادلها التأثير ، تتحرك على قاعدة من كرامة الفرد في مجتمعه . كرامة ذكرها الله في كتابه وجعلها حقا للإنسان بوصفه إنسانا . ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ الإسراء / ٧٠ فما مدى تمتع الفرد المسلم بكرامته في مجتمعه ؟

إنني أحس أن الكثير من عوامل القهر والمظالم . كانت ولا تزال من أهم الأسباب التي دعت نفرا من الشباب إلى الانطواء على أنفسهم ، يديرون بينهم القول في حاضر ينكرهم وينكرونه ، ليندفعوا إليه بعد هذا محطمين ، وهم يحسبون أنهم يبنون الحياة ، أو يزيلون العقبات التي تعترض طريق البناء .

من أجل ذلك علينا ألا نضع اللوم كله على الشباب في كل حوار يدور معه . وإن تنمية إحساسه بكرامته ، عن طريق الممارسة ، تجعل قلبه مفتوحا ، ولسانه منطلقا ، مما ييسر على العلماء الحوار معه .

٥ ــ يرتبط بهذا أيضا صورة الماضي الإسلامي ، ومناهج عرض الحضارة الإسلامية . وهي وثيقة الصلة بما نحن فيه .

إن العرض المناقبي الذي يصور الإسلام في صورة وردية ، أو العرض الدموي الذي يصوره كشريط طويل من المؤامرات والاغتيالات التي أخذت في طريقها ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة ، ومزقت العرب بين القحطانيين والعدنانيين . ثم مزقت قريشا بين بني هاشم ، وبني أمية ، ثم بني العباس ، ثم مزقت المسلمين بين عرب وفرس وترك ومغول وأفارقة . هذا التاريخ بدوره يطرح سؤالا : إذا كان هذا هو الماضي ، فكيف يكون المستقبل ؟

إن الحضارة الإسلامية في عمومها ـ ولقاؤنا هذا في قطاع منها ـ تحتاج إلى منهجية في عرضها تفيد من مناهج البحث الأصيلة في تراثنا ومدى عنايته بتحقيق المادةالعلمية ، كما يحتاج إلى مناهج البحث الحديثة في توزيع العناية بين قطاعات المجتمع ، وإلى التركيز على التيارات الكبرى فيه ، وهي التي لا تقف عند تمجيد الأفراد تمجيدا يعلي من شأن الفرد ، إلى درجة تجعل الجموع تحس أنه هو الذي يحرك أقدار دولته ـ هذا الإحساس الذي يجعل منافسيه يتجهون إلى التخلص منه ، كأنه رمز العصر كله . ولعل في هذا ما يفسر كثرة الاغتيالات والانقلابات في عالمنا الإسلامي المعاصر وما قبله من عصور .

وفي إحصائية عن هذه الأحداث في العالم العربي ما بين عامي ١٩٤٨ ، ١٩٧٣ : كان عدد الثورات الناجحة ثلاثين . وعلى الأقل نحو خمسين غير ناجحة ، ومن الصعب حصر العدد ، لأن بعضها لا يعلن عنه شيء .

وكان عدد القتلى من رؤساء الحكومات ورؤساء الوزارات اثنين وعشرين . هذا إلى المحاولات غير الناجحة .

وكان عدد القتلى من كبار السياسيين أكثر من سبعين بالإضافة إلى محاولات الاغتيال غير الناجحة[١٦] .

وكأن الاستيلاء على الحكم ، هو أقرب الطرق إلى تحقيق الإصلاح والتقدم . رغم أن الأحداث أثبتت أن الدم ينادي الدم . وأن العنف يستدعي العنف المضاد .

٦ ــ يبدو هذا أننا في حاجة إلى نظرات جديدةة يتحول بها العنف إلى حكمة ، عن طريق التبصير بطول الطريق إلى التقدم ، وحاجته إلى التعاون والهدوء والصبر ، ويتحول بها الفكر العلماني والإلحادي إلى فكر علمي ومنهجية ، لا تتنكر للدين ولا تصادره ، ولا تصطدم معه . وإذا كان لكل من العلوم مجال ، فنحن بحاجة إلى توضيح آفاق العلم ، كما هو في الإسلام : ما مصادره ؟ وما آفاقه ؟

وبكل اختصار

(١) عندنا الوحي الإلهي ، وهو المصدر الأعلى للعلم في الإسلام .
(٢) وعندنا النقل من تراث الإسلام وما قبله .

والقرآن ضم تاريخ الإنسانية في امتداده الزماني والمكاني إلى تراث المسلم . وما ذكره هو مجرد نماذج مختارة

(٣) وعندنا العقل . وكل ما نطلق عليه العلوم العقلية . وما تحتاج إليه من أعمال الحواس ملاحظة وتجريبا ومقارنة واختبارا ومنهجية .

(٤) وعندنا العرفان والإشراق النفسي . وهو في الإسلام يوزن بميزان الكتاب والسنة .

وأنت إذا نظرت إلى التراث الإسلامي في شموله وجدت هذه الثلاثة : النقل والعقل والعرفان . أما الوحي فهو المصدر الأعلى .

وأحيانا يطلق على هذه الثلاثة : البيان والبرهان والعرفان والذي نحتاج إليه هو توضيح العلاقة بين هذه الآفاق جميعا لتكون منابع متعاونة . ويختار الشباب لنفسه ـ ونعاونه على الاختيار ـ ليجد موقعه الذي يستطيع أن يثمر فيه ويبدع .

ونحن محتاجون أيضا إلى أن نوضح له منابع الأخلاق في الإسلام بين المدارس الإسلامية المتعددة . ما مصدر الأخلاق في الإسلام ؟ وما ضوابطها ؟ الوحي ؟ نعم . ومعه العقل ؟ نعم . ومعه حب الخير لذاته ؟ نعم . وهذه درجات في المستويات الأخلاقية من الخوف والرجاء ، إلى الاقتناع ، إلى حب الخير في ذاته ، ولا تتكرر درجة لما قبلها .

٧ ــ والآن وقد عدنا من طريق العنف إلى الحكمة ، ومن طريق العلمانية إلى العلم ، ومن طريق الانحلال إلى التماسك ، نضم هذه القوى لنتابع سيرنا في الاتجاه الرابع وهو هدف الحديث كله للتحول من التخلف والتقليد إلى التقدم والإبداع .

والإبداع مبحث أصيل في علم النفس ، عميق في التراث الإنساني ، والإبداع أعظم ما أكرم الله بعد الإنسان بعد الوحي الإلهي .

ولقد وصف الله ذاته المقدسة بأنه ﴿ **بديع السماوات والأرض** ﴾ (البقرة/ ١١٧) فالإبداع الإلهي من العدم إلى الوجود ، والخلق بالأمر والكلمة . والإنسان بعض خلقه . والإبداع الإنساني خلق من خلق ، لا من عدم . الأول مقام الألوهية . والثاني مقام العبودية المزودة من ربها بمؤهلات الإبداع .

والمؤمن يرى في كل إبداعه مادة شكر لله تعالى الذي منحه مؤهلات الإبداع ، ويزيده العلم والإيمان تواضعا في محراب دينه ودنياه . المسجد ومعهد البحث . المسبحة وأجهزة القياس والفحص كلها أدوات يقترب بها من حقائق الكون : زيادة في مفهوم الخلق والأمر . وقد جاء الإثنان وصفا لله تعالى في قوله ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ (الأعراف/ ٥٤) والخلق إنشاء . والأمر تسيير وحركة .

وإن في توفير أسباب الإبداع ما يعين على تحققه واستمراره . وأهم هذه الأسباب[١٧] :

ــ توفر وسائل البحث .

ــ سهولة الاتصال بالباحثين المناظرين في نفس حقل التخصص .

ـ الاهتمام بما ينبغي أن نكون عليه ، لا بمجرد أن نكون ولعل هذا هو أبرز العوامل وأولاها بالعناية .
ـ شعور الباحث بكرامته وحريته ، وإزالة العقبات أمام الاعتراف بكفاءته .
ـ سعة الأفق والسماح للآراء المعارضة أن تجد طريقها إلى البحث على موائد الحوار العقلاني .
ـ التشجيع الأدبي أو المادي ، أو على الأقل توفير الأمن العلمي للباحث ، قبل البحث وفي إثنائه وبعده .

(٧) خاتمـــة

١ ـ هناك دورات من الحياة يجد فيها جيل كامل نفسه واقعا بين جذب حضارتين أو عهدين أو نظامين للحياة ، أو أكثر . ويصل التنازع النفسي إلى درجة تصعب معها القدرة على اختيار الطريق أو شق الطريق الأنسب ، بكل ما تحمل هذه الصعوبة من اهتزاز القيم وفقد الأمن الجماعي والفردي .

ومع التطورات السريعة التي يمر بها عالمنا المعاصر ، وفي ظل الأوضاع التي يعيشها الشباب ، تبدو ضرورة وضع إطار ومحتوى « **للطب النفسي الوقائي** » . وهو بطبيعته مرن ومتطور ، وله هدفان رئيسيان :

الأول : العون عى تكوين الشخصية الإسلامية المتماسكة وذلك بتحويل سلبيات الاتجاهات الثلاثةالأولى إلى إيجابيات .

الثاني : العون على شق الطريق نحو التقدم والإبداع الفردي والجماعي الذي يبدأ على مستوى وطني وإقليمي ، وينطلق إلى تعاون إسلامي أوسع يكون بدوره جزءا من أنشطة الإبداع العالمية .

٢ ـ وواضح أن هذا عمل جماعي : بعض دوائره تدخل مباشرة في النطاق المتعارف عليه في بحوث الطب النفسي والوقائي ، وبعضه أكثر اتصالا بالبحوث الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولكن ينبغي أن تتولاه ـ جميعا ـ يد تحركه . وإذا قال كل مختص في فرع : أنا أعنى فقط بجانب من جوانب اختصاصي ، فمن المسؤول عن النظرة الكلية ، وتشخيص الصورة الشاملة للشباب الإسلامي في محنته الحالية ، وقد تنازعته هذه الأيدي الثلاث : العنف ، والإلحاد والعلمانية والانحلال الأخلاقي ؟

ومن نافلة القول أن التفسير الأحادي للظاهرات العامة ـ كمنحة الشباب ـ قد أخلى طريقه أمام التفسير المتعدد الجوانب . ومع التعدد تنظيم التشخيص .

وأرجو أن يكون هذا المؤتمر الموطن الذي يستقبل هذه القضية الكلية ، ثم يحدد المستوى الفوقي لاستراتيجية بحثها أو « الميتاستراتيجية » إذا أردنا اصطلاحا معاصرا . ويقتضي هذا اتصالا بمنظمات متخصصة . ولعلنا بهذا نخطو خطوة بعمل هذه المنظمة الموقرة إلى أفق أوسع وأرحب . مضافا إلى ما تحمل من مسؤوليات يستهدف الانتقال بالشباب إلى آفاق الإبداع والتقدم ويحرره ـ بإرادته ـ من القيود الثلاثة . وما أصعب التخلص من القيد إذا ظن صاحبه أنه الحرية والإرادة . هكذا قيود الشهوات والغضب الجامح والإلحاد .

إن الإبداع ميلاد جديد ، أبواه : النضج الذاتي في المبدع ، والظروف الموضوعية الزمانية والمكانية الملائمة . فهي التي تمهد للإبداع وتتلقاه عند مولده ، وترعاه حتى يستوي على سوقه .

وهو الطريق المفتوح للغد ، إذا قبلنا التحدي الحضاري وأعددنا شبابنا له . وإذا ذاق الجيل الجديد طعم الإبداع وسعد به ، أصبح هذا طريقه في الحياة . وتحول به من النظام الدائري الذي يسجل حركة دون تقدم ، إلى نظام ممتد وصاعد يسجل مع الحركة تقدما وعطاء .

٣ ــ إن أي مجتمع يبني تنميته ومستقبله في ظل التقدم الحالي على الموارد الطبيعية وحدها ، لا مستقبل له . ذلك لأن أهم تحديات المستقبل هي كيفية توظيف الموارد البشرية ، باعتبارها رأس المال الأهم . فالثروة الطبيعية لها حدود تقف عندها ، قد تكون أقل مرونة في التعدين ، وأكثر مرونة في الزراعة وتربية الماشية ولكن النمو غير المحدود هو في مجال البحث العلمي . في الإبداع والتقدم العلمي والثقافي ، واعتبار الإنسان والوقت في مقدمة عوامل التقدم .

وإن العوامل السلبية تمتص حيوية الموارد الطبيعية والبشرية (تآكل الأرض نقص الخصوبة ، يقابلها في الموارد البشرية الانحلال الأخلاقي والنظرة الاستهلاكية ، دون إنتاج) .

والإبداع لا يمكن شراؤه ولا استيراده . هو نبت ينمو في كل بيئة تتخذ له عدته وتهيىء أسبابه . ولابد أن يكون محلي الموطن والمنشأ ، وإنساني القصد .

لنا أن نقول : إنه نهر الخير الذي تغذيه منابع الحكمة والعلم والأخلاق .

وهي منابع يرتوي منها الحاكم والمحكوم ، والعالم والشاب .

٤ ــ يبقى بعد هذا السؤال :

لو تصورنا موضوعات لهذه القضية الشاملة، او تصورنا كتبا تعالج موضوعات اساسية فيها، فما ابرز عناوينها؟ فلنذكر مقترحات كأمثلة دون حصر او احاطة :

ــ الايمان (طريق الفطرة والتذوق. وطريق العقل. وطريق العلم)

ــ العلم (النقل. العقل. المهجية في التراث الاسلامي. وفي العالم المعاصر)

ــ جسر بين الايمان والعلم. (القرآن ـ السنة النبوية المعرفة في الاسلام والحياة)

ــ مناهج العمل الاسلامي (التغيير في المجتمع بين اليد واللسان والقلب . الشمول والتخصص. روح الفريق. العلاقة بين الحاكم والمحكوم)

ــ بناء الثقة والحوار بين القيادات والقواعد .

ــ الاخلاق (مصدران: الدين والعقل . او المصدر الديني والمصدر القانوني ثم المصدر الذاتي .

ــ العنف في العالم الاسلامي المعاصر (اسبابه. ظاهرته. اخطاره. كيفية الحوار معه وتجاوزه) .

ــ العالم الاسلامي من التخلف الى الابداع (مع التركيز على التخلف العلمي)

ـ الابداع : مقوماته الذاتية والاجتماعية .
ـ آفاق الطب النفس الوقائي ومكشلات العمر .
ـ الادمان (اسبابه . ظاهرته ـ اخطاره . دوره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي) .

(٨) تحية الى اقبال

وقبل ان اضع القلم اتوجه بالتحية الى الفيلسوف والشاعر والمؤمن «السيد محمد اقبال» ونحن في الارض التي انبتته، ثم حلقت منها كلماته في مشترق الارض ومغاربها، وقد كتابه «جاويدنامه»[١٨] برسالة وجهها إلى الشباب وجاويدنامه هو قمة كتب إقبال ، تصور فيها رحلته إلى السماء ، وعبوره الزمان والمكان ، ليلقى رموز الإنسانية ممثلة في قادتها بين محسن ومسيء ، ثم صعوده إلى السماوات العلا . الكتاب معراج قلب وفكر وروح مؤمنة . فلنذكر وصية إقبال لولده ولكل شاب مسلم ومناجاته لولده ولكل شاب . وأقتبس ما يلي من ختام كتابه : وقد بدأ الخاتمة بالتوصية بالأم :

يابني . لقنتك أمك الدرس الأول .

ثم يتحدث إلى الشباب عن خضوع آسيا القارة الأم لسيطرة الاستعمار والحكام والتأثير الأوروبي . ويدعو الشباب إلى التمسك بالذكر والفكر (ذكر الله والتفكر في خلقه) وبهاتين الكلمتين يجمع بين الدين والدنيا والسماء والأرض . ويدعو إلى إقامة النظام التعليمي على هذين الأصلين ويفصل فيهما القول .

ويدعوه إلى تقوية « الذات » وهذا محور أساسي في فلسفة إقبال ، ويشرح الناموس الأخلاقي الذي يعيش به الشباب ، مع طهارة الفكر والقلب والكسب الحلال والشعور الدائم بالافتقار إلى الله . وتصور الشاب النموذجي بما سماه رجل الحق ، ودعاه إلى العمل والجهاد وحب الله ، والتخلق بأخلاق الأنبياء . إن حقيقة دين المصطفى هي المحبة والرحمة الكونية الشاملة . ويلخص أمله مع الشباب قائلا : « إذا فقدت الشباب فقد ضاع نهاري في ليل الأبد » .

إخوانـــي ،

فليكن هذا الجسر الذي نحاول إقامته بين الشباب وعلماء الإسلام ، تحية إلى إقبال ونحن في موطنه ، واستجابة ، لما دعا إليه في جاويدنامه ، ودعا إليه المصلحون . فأصواتهم الكريمة ، تنبع من مشكاة واحدة ذكرها الله في كتابه فقال داعيا رسوله ليدعو المؤمنين : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ (آل عمران/ ٣١) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وأشكر لكم حسن استماعكم .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مكتبـــة البحـــث

(١) في تحديد موضع الآية القرآنية سنذكر اسما لسورة فرقمها فرقم الآية فيها .

(٢) يقول الإمام النووي في شرح الحديث : لن يشاد الدين أحد إلا غلبه : أي غلبه الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه . أنظر رياض الصالحين للنووي ص ٧٨ ـ ٧٩ تحقيق محمد ناصر الألباني . المكتب الإسلامي . ط . ١٩٧٩م ـ ١٣٩٩ هـ ـ بيروت . وذلك في باب الاقتصاد في الطاقة .

(٣) النووي : رياض الصالحين حديث رقم ١٦٧ ص ٨٨ . الجنادب والفراش هذا هو المعروف الذي يقع في النار . والحجز جمع حجزه وهي معقد الإزار والسراويل . يذبهن عنها : يمنعهن عن الوقوع في النار .

(٤) لعل نيقولا مكيافيللي (١٤٦٩ ـ ١٥٢٧) الإيطالي كان أوضح من قال بأن الوسائل كلها مبررة من أجل تحقيق السلطان السياسي وتبعه كثيرون . يراجع كتابه : الأمير تعريب خيري حماد . دار الآفاق الجديد . بيروت . ١٩٧٩ .

(٥) التبريزي : مشكاة المصابيح حديث رقم ٥٢٦٨ ، ٢ : ٦٧١ طبع المكتب الإسلامي . بيروت . ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م .

(٦) UNESCO : Violence and its Causes, INsIGHT SERiES, 1981.

ويعالج القسم الثالث من الكتاب من ص ١٦٤ ـ ٢٥١ العنف الاجتماعي والاقتصادي . ويليه ملحق فيه مختارات من التقرير النهائي للندوة .

(٧) اليونسكو : المرجع السابق

Pierre Spitz: Silent Violence PP 191-214

ويعالج في هذا البحث : العنف الصامت مشكلات : المجاعات والتفرقة :

Famine and Inequality

(٨) في العنف بين الشباب الإسلامي ومدارسه المتعددة يمكن الرجوع إلى دراسات ومعالجات تناولت الموضوع من زوايا متعددة .

١ ــ الأزهر الشريف : بيان للناس . مطبعة الأزهر ١٩٨٤ .

٢ ــ حسن الهضيبي : دعاة لا قضاة . دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة ١٩٧٧ . وهو يعرض الشبهات التي أثارها أصحاب فكر التكفير والهجرة في السجون والمعتقلات والرد عليها .

٣ ــ سالم البهنساوي : الحكم وقضية تكفير المسلم . الطبعة الثالثة . دار البحوث العلمية الكويت ودار البشير عمان . ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م . وتمتاز هذه الطبعة الثالثة بفصول مضافة عن حوار دار بين المؤلف وأصحاب هذه الأفكار ، بعضه بالمشافهة ، وبعضه بالرسائل . وفيها توثيق لهذه الأفكار يعتمد على مصادر أصيلة . ومناقشة علمية موضوعية ، تجعل الكتاب من أوفى المراجع التي عالجت الموضوع وأكثرها اتصالا بالواقع ، فضلا عن هوامشه وبها إشارات إلى مصادر أصيلة ومراجع حديثة .

٤ ــ عبدالعزيز كامل : التغيير في المجتمع بين الفرد والدولة . وهو الفصل الحادي عشر من كتاب المؤلف : مع الرسول والمجتمع من ص ٢٧٩ ـ ٣٢٣ ط مؤسسة الصباح . الكويت ١٩٨٠ . ويستند البحث إلى اتصال مباشر ، دراسة وثائق أصيلة عن فكر الداعين إلى العنف في مصر والسعودية .

(٥) Habib Boulares: L'Islam: la Peur et l'esperance, J.T.Latte's, PARIS, 1983.

(الإسلام : الخوف والأمل) ـ ويعالج مشكلات التوتر في العالم الإسلامي المعاصر ، ويعرض أهم حركاته واتجاهاتها . ومشكلات الأصالة والمعاصرة .

٦ ــ John L.Esposito (editor): Voices of resurgent Islam Oxford. University Press, 1983.

والكتاب فصول بأقلام ستة عشر كاتبا من الغرب والشرق ، كتب كل منهم في اختصاصه عن أفق من آفاق الصحوة الإسلامية المعاصرة . الهادئة والعنيفة . وموضوع الصحوة الإسلامية بعامة ، والعنف بخاصة ، من المواضيع المطروحة عالميا ، مع قضايا الشباب الإسلامي .

(٩) محمد أركون : الإسلام والعلمنة . مجلة دراسات عربية . العدد ٥ . السنة الثانية والعشرون ص ٣١ . بيروت . مارس / آذار ١٩٨٦ .

(١٠) نفس المرجع ص ٣١ ـ ٣٢ .

(١١) نفس المرجع ص ٣٩ ـ ٤٠ .

وانظر أيض M. Arkouun: Pour une critique

de la raison Islamique. Maisonneuve et Larose, Paris, 1984.

ويعرض في مقدمته كيفية دراسة الفكر الإسلامي ، ويخصص الفصل الأول للإسلاميات التطبيقية ، وهو المنهج الذي ينادي به .

(١٢) Wansbrough, J.: Quuranic Stuudies, P. 119, Oxford Univ. Press, 1977

وقد شرح في الفصل الرابع من ص ١١٩ إلى ص ٢٤٦ أصول التفسير كما يراها معتمدا على المصطلحات التلمودية . وذلك في الفترة السابقة لتفسير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ /٩٢٢ م .

وأنظر أيضا في تحديد هذه المصطلحات :

New Bible Dictionary, 2nd edition:

PP. 1162, 1178-1179. Inter-Varsity Press, England, 1984

(١٣) الغزالي (٥٠٥ هـ) : معارج القدس في مدارج معرفة النفس . تحقيق محمد مصطفى أبو العلا ص ٦٤ . ط . الجندي . سيدنا الحسين . القاهرة . ١٣٨٨ هـ/ ١٩٨٦ .

(١٤) عادل الدمرداش : الإدمان : مظاهرة وعلاجه ص ٣٠ ويدرس في الباب الثالث ص ٣٠ ـ ٧١ أسباب الإدمان وسوء الاستعمال . سلسلة عالم المعرفة رقم ٥٦ ـ الكويت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

(١٥) انظر ملفا عنوانه « جولة في عالم المخدرات : ترجمة د . محمد أكرم سعد الدين : نشرته مجلة الثقافة العالمية ـ ٢٩ ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ ـ الكويت . ويشمل مقالين .

ـ مارك ستارنتز : المتمردون والأرهابيون وتجارة المخدرات . ص ٨٥ ـ ١٠٢ .

ـ جون ، ويانت : المخدرات في المثلث الذهبي ص ١٠٣ ـ ١٢٦ .

وقد نشر أصل المقالات في مجلة واشنجتون كوارتر في عدد خريف ١٩٨٥ .

(١٦) John Laffin: The Arab Mind, P. 109-110, Cassell, LONDON, 1975.

وإذا كان في كتابات لافن تحامل شديد على العرب ، إلا أن الإحصاءات وحدها هي المقصودة هنا .

(١٧) Arieti, S. : Creativity, P 312-325,

Basic Books, New York, 1976.

ويدرس في هذا الفصل الرابع عشر العوامل الاجتماعية المساعدة على الإبداع . ويلخصها في ص ٣٢٤ .

(١٨) محمد اقبال : جاويدنامه . وله أمامي ترجمتان إلى اللغة العربية :

محمد سعيد جمال الدين : رسالة الخلود أو جاويد نامه . مؤسسة سجل العرب ـ القاهرة ١٩٧٤ . ترجمة نثرية وشروح .

حسين مجيب المصري : في السماء لشاعر الباكستان الأكبر محمد إقبال (ترجمة شعرية وشروح عن الأصل الفارسي) . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٣ .

(١٩) الترجمة الشعرية م ن ص ٣٠٧ إلى ص ٣٢٣ ، والترجمة النثرية ، من ص ٣٢٢ إلى ص ٣٣٧ . وتعبيرات إقبال الشعرية والصوفية ينبغي لتحديدها ـ ردها إلى أصول الإسلام من الكتاب والسنة ، وهي تعنى بالروح والمضمون أكثر من الشكل والصورة .

(٢٠) في تراثنا ـ القديم والجديد ـ جهود كبيرة بذلت ولا زالت مستمرة في تحديد مواصفات بناء الشخصية الإسلامية . وأول مصادرنا القرآن الكريم . وبه وصفت السيدة عائشة رضي الله عنها خلق النبي عليه الصلاة والسلام . ومن تراث التربية الإسلامية كتاب « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه (٤٢١ هـ ١٠٣٠ م) وأهم مميزاته أنه يعطي تصورا متكاملا للشخصية السوية ، وأساليب مقاومة العنف الإنساني والانحراف والاندفاع . وهو موجه إلى الإنسان حيثما كان موقعه في المجتمع حاكما أو محكوما ، عالما أو متعلما . كهلا أو شابا . ومن الحديث أذكر :

د . سيد دسوقي حسن ، د . محمد محمد سفر : ثغرة في الطريق المسدود . دراسة في البحث الحضاري .

سلسلة آفاق الغد : القاهرة ١٤٠١ ـ ١٩٨١ م

وهو مع إيجازه نظرة مستقبلية موضوعية ، درست التحدي الحضاري وقيوده ، وعناصر شحذ الفعالية الاجتماعية للأمة الإسلامية . ومن المفروض في أي دراسة شاملة أن تبدأ بمسح علمي لما يعين على فتح الطريق إلى الإبداع وإزالة المعوقات من طريقه وجمع الشباب عليه بالأسوة الحسنة والتوجيه والحوار دون قهر أو تفريط .

ملخص

جسر بين الشباب وعلماء الإسلام

بقلم

أ . د . عبدالعزيز كامل

١ ــ هذا البحث محاولة لوضع إطار عام لما يمكن أن نطلق عليه « **الطب النفسي الوقائي** » إذا كان الاقتراح محل قبول . ويحاول أن يقيم جسرا بين الشباب وعلماء الإسلام ، يكون عونا على تعديل مسارات وجمع طاقات لتتجه إلى البناء .

٢ ــ ويمكن تصوير البحث هندسيا على النحو الآتي :

نضع الشباب في مركز الدراسة ومن حوله أربعة اتجاهات كأنها الجهات الأصلية . أو كأنها اليمين واليسار والأسفل والأعلى . الاتجاه الأول إلى اليمين نحو العنف ، وإلى اليسار نحو العلمانية والإلحاد ، ونحو الأدنى إلى الانحلال الأخلاقي ، ونحو الأعلى هو (في سلبيته) التقليد والجمود .

هذاالإطار السلبي يمتص طاقات الشباب ، ونتيجته التخلف الذي فجوته تزداد اتساعا .

٣ ــ والذي نرمي إليه هو تحويل المسارات بحيث تصبح على النحو التالي :

ــ من العنف إلى الحكمة .

ــ ومن العلمانية والإلحاد إلى العلم والإيمان والمنهجية .

ــ ومن الإنحلال الأخلاقي (بكل مظاهره كالإدمان) إلى التماسك الأخلاقي .

ــ ومن الجمود والتقليد إلى التقدم والإبداع .

٤ ــ وقد تناول البحث كل اتجاه من هذه الأربع بشيء من التفصيل وبيّن تحولها من التغير الكمي والتراكمي إلى التغير الكيفي ، وبخاصة في مجال عنف الشباب الذي تحول ـ في بعض الأقطار ـ إلى نوع من الانتحار الجماعي الدوري ، وإن كان انتحارا بأيدي الآخرين . وإلى الترابط بين الانهيار الأخلاقي والأهداف الاستعمارية التي تريد تدمير الشباب ، وإلى الترابط بين التغريب بمدارسه المتعددة وبين الإلحاد والعلمانية . كما عني بالظروف المساعدة على الإبداع وهو الطريق المفتوح لقبول التحدي الحضاري .

٥ ــ ومع اتسع الهدف تبدو بعض أجزائه داخلية دخولا مباشرا وقريبا في الصحة النفسية كما تمارس في أطرها الحالية ، وبعض أجزائه عبارة عن آفاق جديدة علينا أن نلجها ، وأجزاء أخرى تدخل في نطاق بحوث اقتصادية واجتماعية وثقافية .

٦ ــ ولعل هذا الاتساع ـ يدعو المؤتمر إلى تبني فكرته ليصعد بها إلى ما يمكن أن نسميه بالاستراتيجية العليا لمستقبل الشباب الإسلامي والميتاستراتيجية وينسق جهوده مع المنظمات الأخرى . والقضية في شمولها لا يمكن أن تبدأ بها إلا منظمة ـ إذاكان فيها حدود التخصص ـ ففيها أيضا طموح الرؤية وشمولها ، والقدرة التنسيقية على معالجتها بالتعاون مع التخصصات الأخرى .

٧ ــ إنها قضية مستقبل الشباب الإسلامي وصحته النفسية ووقايته ـ ما استطعنا ـ من هذه الأخطار الثلاثةالكبرى وحشد طاقاته نحو الإبداع والتقدم .

تم بحمد الله

رئيس الجلسة : الشيخ / محمد الحبيب ابن الخوجة

شكرا لمعالي الدكتور / عبدالعزيز كامل على هذه الجولة الحرة الممتعة التي تنقل بنا فيها بين معالم الطريق ومكننا من أن نقف لحظات أمام قضية شائكة ومهمة جدا بالنسبة لحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها هي قضية الطب النفسي الوقائي والعلاج وقد مر بقضايا مختلفة متعددة وتعمق في دراسة الظواهر الاجتماعية الموجودة في مجتمعنا فحلل الواقع وشخص الأمراض وبحث عن طرق العلاج التي إذا توخيناها واعتمدناها تمكنا بإذن الله من الخروج من هذا الوضع الشائن ودعم كلمة الإسلام وإعلائها .

إذا سمحتم بعد هذه الكلمة الطيبة الكريمة التي ألقاها علينا معالي الدكتور / ننتقل فيما قرر وقدر أن يكون استراحة إلى تكريم من نقابة الأطباء المصرية لثلة من العلماء أولهم الحكيم / محمد سعيد ثم الدكاترة والأساتذة الحكيم محمد حسن والدكتور علي السيف والدكتور / أحمد رجائي الجندي . .

شكرا للإخوة الكرام على هذه المنقبة التي كرموا بها العلم والعلماء وننتقل توا إلى الجزء الثاني من جلستنا هذه والمتمثل في الاستماع إلى محاضرة عن الطب النبوي يلقيها فضيلة الشيخ / محمد المختار السلامي فليتفضل مشكورا . . .

القسم الأول : التراث الطبي النبوي

المجموعة الثانية
(من القسم الأول)

توثيق بعض ما نسب إلى الرسول في مجال الطب

المحاضرة الرئيسية

الطب النبوي

لفضيلة الشيخ / محمد المختار السلامي

الطب النبوي

لفضيلة الشيخ محمد المختار السلامي

مفتي الجمهورية التونسية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

بنيت بحثي هذا على خمس عشرة مقدمة رأيت أنه من الضروري إبرازها من أول الأمر إذ عليها قام البحث ومنها استخلصت ما تيسر لي من نتائج :

١ ــ إن الدين الإسلامي دين حرر الفرد وخلصه من كل ما حملته الشرائع السابقة من آثام البشرية فيما مضى كما فتح له سبيل التسامي بتطهير روحه من دنس المعصية بالعبادة والتوبة . فأغناه عن تعذيب نفسه أو تحميلها المشاق .

٢ ــ إنه كرم الإنسان بتحميله أمانة الخلافة في الأرض . وأعانه على ذلك بنعم الوحي والعقل والإرادة والقدرة .

٣ ــ إن الوحي له ميدانه وهو مالا يستطيع العقل أن يصل إليه أصلا ولا يقدر على بلوغه في اطمئنان على أنه على حق ، كالغيب وتفاصيل العبادة والتشريع . فإن العقل يبدو عاجزا عن الإدراك الكامل للذات الإلهية أو لشؤون الحياة الآخرة ، أو لما طواه الزمن وذهبت آثاره الدالة عليه ، أو لما سيحدث في المستقبل أو للطريقة التي يرتضيها رب العزة في التقرب لعليّ ذاته ، أو التشريع الذي يحدد علاقات البشر والمجموعات الإنسانية تحديدا لا يُجابي ولا يختلف ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له مافي السماوات ومافي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ (الشورى : ٥٢ ـ ٥٣) .

٤ ــ إن العقل له ميدانه فكل ما يمكن أن يصل إليه الإنسان بعقله أوكله الله إليه ليحقق معنى الخلافة وينعم بثمرات كشوفه ويثاب على اجتهاده وحسن تصرفه . وهنا جاءت الآيات الداعية إلى النظر أمراً وحثا ، أو تقريعاً وتوبيخا على الكسل والتراخي .

٥ ــ إن كل ما بلغنا عن رسول الله ﷺ من وحي ، قولا كان أو فعلا أو تقريراً قرآنا أو سنة هو حق وصدق ، ورفضه تكذيب وردة .

٦ ــ إن الرسول ﷺ بعد أن أكرمه الله بوحيه زاد ذكاؤه قوة ، وفطنته إشراقا وتألقا ، ولم يعدم صفته الإنسانية : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون** ﴾ (فصلت ٦/٧) .

٧ ــ إن الرسول ﷺ لم ينخلع عن كل معارفه وتجاربه . بمجرد أن أكرمه الله بوحيه . . فقد ربي في قريش وبقي يحتفظ بكثير من العادات الطيبة التي لم يزدها الوحي إلا رسوخا وصلة أوضح بالله . روى البخاري ومسلم ومالك . واللفظ للبخاري عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول الله ﷺ بيت ميمونة فأتى بضب محنوذ فأهوى إليه رسول الله ﷺ بيده فقال بعض النسوة أخبروا رسول الله ﷺ بما يريد أن يأكل فقالوا هو ضب يا رسول الله . فرفع يده فقلت أحرام هو يا رسول الله ؟ فقال لا . ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه ، قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول الله ﷺ ينظر : (فتح الباري جـ ١٢ ص ٨٥) .

٨ ــ إنه لا يعرف بشرٌ في الدنيا اعتنى الناس بحفظ أقواله وأفعاله وتقريراته وطريقة حياته كما تم ذلك لرسول الله ﷺ فقد نقل الصحابة كُلَّ ما شاهدوه أو سمعوه منه ، كما كان شوق التابعين لمعرفة كل شيء عن حياة رسول الله ﷺ شوقا قويا فسألوا الصحابة وحفظوا وبلغوا ، جازاهم الله عن هذه الأمة خير جزاء وأوفاه . نقلوا حياته ، في بيته في ليله ونهاره ، ويقظته ونومه ، في السوق وفي المسجد ، في الحضر وفي السفر . في السلم وفي الحرب ، في الصحة وفي المرض ، مع أسرته ومع أصحابه ومع أعداء الإسلام ، في مجلس القضاء والحكم ، وفي مجلس الوعظ والإرشاد ، وتبيين أحكام الله . وقد يبلغ الوصف حدّا من الدقة ينقل الدارس إلى المدينة المنورة فيرتوي بخياله من الصورة الوضيئة كأنه عاش عصر النبوة وسعد بالصحبة .

٩ ــ إن رسول الله ﷺ وهو يتصرف بالقضاء هو غيره وهو يرشد الناس أو يتصرف بالفتوى وبيان أحكام الله أو ينزل الحكم على الواقعة المعينة . وهو يخبر عن الله غيره وهو يخبر عن تجاربه وما أدركه من معرفة ذاتية غير متصلة بوحي الله وقد يشتبه الأمر على الصحابي فيسأله كما في أكل لحم الضب أحرام هو يا رسول الله ؟ .

١٠ ــ إن المتتبع للسنة لابد أن يعرف وجه تصرفه ﷺ . وقد أشار إلى هذا الامام شهاب الدين القرافي في «الفروق» في الفرق السادس والثلاثين قال (إن غالب تصرفه بالتبليغ لأن وصف الرسالة غالب عليه ثم تقع تصرفاته ﷺ منها ما يكون بالتبليغ والفتوى إجماعاً . ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة . ومنها ما يختلف العلماء فيه لتردده بين رُتْبتين فصاعدا ، فمنهم من يغلب عليه رتبة ومنهم من يغلب عليه أخرى . **ثم تصرفاته بهذه الأوصاف تختلف آثارها في الشريعة** فكل ما قاله ﷺ أو فعله على سبيل التبليغ كان ذلك حكما عاما على الثقلين إلى يوم القيامة ، فإن كان مأمورا به أقدم عليه كل أحد بنفسه وكذلك المباح . وإن كان منهيا عنه اجتنبه كل أحد بنفسه . وكل ما تصرف فيه عليه السلام بوصف الإمامة لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام ولأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك . وما تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم اقتداء به ﷺ ولأن السبب الذي لأجله تصرف ﷺ بوصف القضاء يقتضي ذلك (الفروق ج١ ص ٢٥٦) .

فالعمل بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ متوقفة على التعرف على الجهة التي عنها صدر فإذا علمنا الجهة يقينا كان علمنا ذاك موحها لفهم النص وللعمل به .

وقد ذكر الأصوليون أن فعله ﷺ إن كان من الأفعال الجبلية كالقيام و القعود والأكل والشرب فظاهر أنه مباح (العضدج جـ ٢ ص ٢٢) وما اقترن فيه أمر الجبلة بالعبادة . كركوبه في الحج فالظاهر إلحاقه بالمباح . (البناني جـ ٢ ص ٦٨) .

١١ ــ إن عدم التأمل في وجه تصرفه قد تسبب عنه مضايق كثيرة وتمحلات في الإجابة لا ترتاح لها النفس ولا يطمئن لها المتأمل . وقد فصل القول في ذلك الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور في كتابه مقاصد الشريعة يقول : إن لرسول الله ﷺ صفات وأحوالا تكون باعثا على أقوال وأفعال تصدر منه فَبِنَا أن نفتح لها مشكاة تضيء في مشكلات كثيرة لم تزل تعت الخلق وتشجي الخلق . وقد كان الصحابة يفرقون بين ما كان من أوامر الرسول ﷺ صادراً في مقام التشريع وما كان صادرا في غير مقام التشريع وإذا أشكل عليهم أمر سألوا عنه . ففي الحديث الصحيح أن بريرة لما أعتقها أهلها كانت زوجة لمغيث العبد فملكت أمر نفسها بالعتق فطلقت نفسها وكان مغيث شديد المحبة لها وكانت شديدة الكراهية له فكلم مغيث رسول الله ﷺ في ذلك فكلمها رسول الله في أن تراجعه فقالت : أتأمرني يا رسول الله؟قال : لا لكني أشفع . فأبت أن تراجعه ولم يُثَرِّبْهَا رسول الله ﷺ ولا المسلمون .

ثم يقول وقد عرض لي الآن أن أعد من أحوال رسول الله ﷺ التي يصدر عنها قول منه أو فعل اثني عشر حالا . منها ما وقع في كلام القرافي ومنها مالم يذكره . وهي : التشريع ،والفتوى ، والقضاء ،والإمارة ، والهدي ، والصلح ، والإشارة على المستشير ،والنصيحة ،وتكميل النفوس ،وتعليم الحقائق العالية ، والتأديب والتجرد عن الإرشاد .

ثم أخذ يحَلّل التجرد عن الإرشاد . فقال إن التجرد عن الإرشاد يتعلق بغير ما فيه التشريع والتدين وتهذيب النفوس وانتظام أمر الجماعة . ولكنه أمر يرجع إلى العمل في الجبلة وفي دواعي الحياة المادية ، وأمره لا يشتبه فإن رسول الله ﷺ يعمل في شؤونه البيتية ومعاشه الحيوي أعمالا لا يقصد منها إلى تشريع ولا إلى طلب متابعة : وهذه كصفات الطعام واللباس والاضطجاع والمشي والركوب ونحو ذلك ، سواء كان خارجا عن الأعمال الشرعية كالمشي عن الطريق والركوب في السفر أم كان داخلا في الأمور الدينية كالركوب على الناقة في الحج والهوي باليدين قبل الرجلين في السجود عند من رأى أن رسول الله ﷺ أهوى بيديه قبل رجليه حين أَسَنَّ وبَدَّنَ وهو قول أبي حنيفة وكذلك ما يرويه أن النبي ﷺ نزل في حجة الوداع بالمحصب الذي هو خيف بني كنانة ويقال له الأبطح فصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم هجع هجعة ثم انصرف بمن معه إلى مكة لطواف الوداع . فكان ابن عمر يلتزم النزول به في الحج فيراه من السنة كما فعل رسول الله ﷺ .

وفي البخاري عن عائشة أنها قالت إنما كان منزلاً ينزله رسول الله ﷺ ليكون أسمح لخروجه تعني بالأبطح . ثم روى عن ابن عباس :ليس التحصيب بشيء إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ (الفتح جـ ٤ ص ٣٤٠) وبقولها قال مالك ٣٨ .

١٢ ــ إن إشارة الرسول ﷺ على بعض أصحابه بتناول نوع من أنواع الأدوية المادية بعد ثبوت صحة الحديث لا يخلو أمر تلك الإشارة من أن تكون تبليغا لوحي أوحاه الله إليه ، أو اجتهادا منه ﷺ أو اقتناعا بما كان معروفا عند بعض أهل الطب من بني قومه وعلمه .

فإذا كان إخبارا بما علمه من تجارب عصره فليس في هذا ما يدل على حكم شرعي ولا هو من قبيل ما يشرع فيه الاقتداء لا وجوبا ولا ندبا .

وإن كان نتيجة اجتهاد فهو اجتهاد في أمر دنيوي فهو غير دال على العصمة فيه . وإذا انتفت العصمة من الخطأ التي ضمنها الله لرسوله في التشريع خاصة وفي تبليغ الوحي ، إذا انتفت العصمة فالاتباع لم يشرع .

روى الإمام مسلم عن موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحون يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح . فقال رسول الله ﷺ ما أظن يغني ذلك شيئا . قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه **فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إن حدثتكم عن الله شيئا فخذوه فإني لن أكذب على الله ، (إكمال الأكمال جـ ٦ ص ١٣٦) .**

يقول الإمام المازري وأما أمر الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان رسولا مفضلا من أجلها فغير بعيد أن يخيل إليه في شيء من أمرها مالا حقيقة له . (إكمال الاكمال جـ ٦ ص ٧) .

وفي رواية عن رافع بن خديج أنه قال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أن رسول الله ﷺ قال أنتم أعلم بأمور دنياكم .

إنَّ تمام القصة حسب الروايات الثلاث التي رواها أصحابه طلحة ورافع بن خديج وأنس بن مالك تؤكد نفي العصمة فيما كان من أمور الدنيا لا يرجع إلى الوحي وإنما تصرف فيه ﷺ بوصف البشرية .

وقد تكون إشارته بتناول نوع من الأدوية مع قيام قرينة على أنه إنما تصرف فيه بوحي أوحي إليه كما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إن أخي استطلق بطنه فقال اسقه عسلا فسقاه قال إني سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن أخيك . (الفتح جـ ١٢ ص ٢٧٦) .

وعند مسلم ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال : لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله ﷺ : صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ . (إكمال الأكمال جـ ٦ ص ٣٢) .

إن ما كان من طريق الوحي لا يفيد النص إلا أنه نوع من أنواع الأدوية لا يتجاوز الحالة التي وصفها رسول الله ﷺ إلى غيرها إلا إذا ثبت تساوي الحالتين . ذلك أن الأبدان يختلف تركيبها والأمزجة يختلف قبولها وتلاؤمها مع الأدوية وحتى مع الأطعمة . أذكر أن صديقا لي وكان طبيبا تزوج بأجنبية . فأخذت تظهر على جلدها قروح واستشار زملاءه من الاختصاصيين وغيرهم ولم ينفعها أي دواء وقاموا بمختلف أنواع التحاليل وأخذ المرض يؤثر على سلامتها النفسية فأخذها إلى أستاذ في باريس اختصاصي في الأمراض الجلدية وتعرف أولا على تاريخ حياتها فاستبان له أنها نشأت في الولايات المتحدة وشبت هناك . وكان وصفه لأسباب الداء وليد هذه المعلومة ذلك أن كثيرا من الأمريكيين إذا شربوا اللبن من البقر

المختلفة المرعى عن البيئة الأميركية تسبب ذلك في ظهور قروح على الجلد وقام بالتجربة فأثار مكانا في يدها بمبضعه ووضع عليه قطرة من اللبن فتورم . وهكذا فما يصلح لمريض قد يكون قاتلا لمريض آخر لمزاج أو لوجود داء آخر . كما أن كمية الدواء وطريقة إعداده وكونه مركبا أو بسيطا كل ذلك يفرض عدم تناول الدواء إلا بوصف عارف . فإذا جاء الوحي عن رسول الله ﷺ أن هذا الدواء نافع لشخص فهو كما قال لا يجوز الشك في ذلك أبدا ، أما تجاوز الحالة المعينة إلى حالات مشابهة فهو من ظن المتجاوز لا من تقرير رسول الله ﷺ .

١٣ ــ إن هذه القاعدة الضرورية من أن معرفة المرض والمريض والدواء هي من القواعد الضرورية في التطبيب يؤكدها ما رواه الحاكم بسنده إلى جابر أن رسول الله ﷺ قال لكل داء دواء فإذا أصيب دواءُ الداءِ بَرَأ بإذن الله عز وجل . (الحاكم جـ ٤ ص ٢٠٠) كما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما أنزل الله من داء إلا وقد أنزل معه شفاء علمه من علمه وجهله من جهله . (جـ ٤ ص ١٩٧) .

١٤ ــ إن رسول الله ﷺ كان يرجع إلى الأطباء للتداوي أخرج الحاكم عن هشام بن عروة عن أبيه قال قلت لعائشة رضي لله عنها قد أخذت السنن عن رسول الله ﷺ والشعر والعربية عن العرب فعمن أخذت الطب ؟ قالت إن رسول الله ﷺ كان رجلا مسقاما وكان أطباء العرب يأتونه فأتعلم منهم . وصححه الذهبي (جـ ٤ ص ١٩٧) . فرسول الله ﷺ لم يكن طبيبا . وكان يعتمد أهل الطب من العرب . فقد روى مالك في موطئه عن زيد بن أسلم أن رجلا في زمان رسول الله ﷺ جرح فاحتقن الدم وأن الرجل دعا رجلين من بني أنصار . فنظرا إليه فزعما أن رسول الله ﷺ قال لهما أيكما أطب فقالا أوفي الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله ﷺ قال : أنزل الدواء الذي أنزل الأدواء . . . (الزرقاني جـ ٤ ص ١٥٧) .

١٥ ــ إن اعتبار ما نقله الصحابة رضوان الله عليهم من وصف رسول الله ﷺ للأدوية أو التنويه ببعضها لا يحمل على الأمر به أو أنه تشريع . إذ اعتبار ذلك مستندا إلى الوحي قد كان سببا للطعن في صحة السنة أو تجاوز ذلك إلى الطعن في رسول الله ﷺ في مهمته الأولى أعني الرسالة لأن الدواء والتمريض المادي لا يقفان عند حد ، وما يكشف اليوم من أدوية هو خاضع لسنة التطور القائمة دوما على مراجعة التجربة لزيادة الضبط والتأكد وإصلاح الأخطاء الماضية ، ما أظن أن علم الطب وقف في شعبة من شعبه ليقول قد وصلت إلى النهاية ولا مطمح في الزيادة ، لأن كل أجهزة الجسم متشابكة ومترابطة ولم يستطع العلم البشري أن يبلغ غاية المعرفة في جميعها . بينما التشريع والعقيدة قد بلغا الغاية .﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ فخلط الكامل بالناقص وإجراؤهما في سكة واحدة بمعايير واحدة ليس سليما بداية وغاية .

إن التأمل في هذه المقدمات لتؤكد الاقتناع بأن رسول الله ﷺ لم يبعث طبيبا يداوي أسقام الأبدان . فإن هذه الوظيفة قد أوكلها الله إلى الخلق ينظرون في قوانين الكون وسنن الله في الصحة والمرض . والرسول ﷺ بوصفه بشرا كأذكى وأنبه ما يكون إنسان على وجه هذه البسيطة قد باشر العلاج وأشار بصفته هذه ـ أعني البشرية لا الرسالة ـ أشار ببعض الأدوية حسب المستوى المعرفي الذي كانت عليه الإنسانية في ذلك العصر . ولم يبعث ﷺ ليحجر على العقل

ويعطيه الحلول الجاهزة وذلك لأن الله استخلف الإنسان في الكون وأعانه على تحمل المهمة بأمرين الوحي والعقل . الوحي فيما لا يستطيع أن يصل إليه بذاته والعقل وآلاته فيما يمكن أن يصل إليه بذلك . ولذلك يكون طلب الكشف عن قوانين الحياة والكون من الوحي هو كالاعتماد على العقل وحده في التشريع أو إدراك المغيبات ، كلاهما منهج معكوس عقيم لا يولد حقائق ثابتة يُطمأن إليها . وهذا الذي دعاني إلى الاعتماد على الطب النبوي الروحي والنفسي . زيادة على ما وجدته من الاختلاف بين شرَّاح الحديث في تعيين المراد من الدواء الذي ذكره ﷺ . وذلك كما جاء في الحديث الذي أخرجه أصحاب الصحيح واللفظ لمسلم . عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»والسام الموت . والحبة السوداء الشونيز .يقول عياض:تفسيرها بالشونيز هو الأشهر . وقال الحسن هي الخردل وقيل هي الحبة الخضراء والعرب تسمي الأخضر أسود والأسود أخضر والحبة الخضراء ثمرة البطم المسمى بالضرو (إكمال الاكمال جـ ٦ ص ٢٧) .

ففي تعيين المراد من الحبة السوداء مذاهب ثلاثة ولعل هذه المذاهب ستتضاعف إذا أوكلنا أمر تعيين كل تسمية إلى اجتهاد المجتهدين لضبط المراد بالبطم . والشونيز .

أما الجانب الذي أعتقد أن النبي ﷺ أولاه عنايته وأصله الوحي لاشك في ذلك فهو الجانب النفسي والروحي للمصاب . وهذا النوع يتناول هديه للمريض وهديه للممرضين وهديه في بيان علاقة المريض بالأصحاء .

أولا : علاقة الأصحاء بالمرضى وينحل إلى شعبتين : عيادة المرضى ، قضية العدوى

أ) عيادة المرضى

إن اختلال الجسم يؤثر حتما على نفسية المصاب . ويلازمه الشعور بالضعف فهو في حاجة أكيدة إلى سند قريب وفي حاجة أيضا إلى المجتمع يؤكد له أنه عضو منه لم يقطع صلاته به . ذكرت جريدة (أفريقيا الفتاة) (جون افريك) في أحد أعدادها سنة ٨٥ أن أحد الأطباء الفرنسيين ألف كتابا حول حق الطبيب في تعجيل موت الميؤوس منه . وكان مما ذكره أن امرأة أصيبت بمرض السرطان وظهرت آثاره على المصابة في الثدي في سن الثامنة والعشرين ـ ثم ظهرت الأورام الجلدية . وكانت تبدي من الصبر والجلد ما هو أثر من آثار قوة شخصيتها . وجاءت إلى هذا الطبيب تسأله في يوم من الأيام أن يساعدها على التخلص من عذابها الذي تجاوز طاقة تحملها . تقول . إنها تمر الأيام وتتلوها الأسابيع دون أن يطرق بابها أحد . لم يبق لها في الوجود ممن يتصل بها من أصدقائها وأقاربها إلا أختها وبعد مدة طويلة . إنها تنظر إلى الهاتف شبحا مزعجا في حياته إنه أخرس لايرن جرسه أبدا . فقدت كل اتصال بالبشر فغدت في عزلتها معذبة أشد من العذاب الذي تسببه لها الأورام . يقول الطبيب إنها كانت تحدثه بكل شجاعة . وان اختيارها لم يكن وليد انهيار عصبي . وفعلا استجاب الطبيب لمساعدتها على إنهاء حياتها وضرب لها موعدا في بيتها بعد الساعة الثامنة وكان الفصل شتاء اختلطت الظلمة بالمطر فلم يستطع أن يبلغ منزل المرأة . فعاد أدراجه . وفي الغد دق جرس الهاتف فإذا هي أختها تعلمه أن المريضة انتحرت بقذف نفسها من الطابق السابع ليلا وتهشمت على الرصيف .

إن هذه الحالة ليست فريدة في دنيا العالم الذي فقد الإحساس بالترابط الإنساني وطغت فيه الأنانية إلى حدود جعلت الأصحاء والمرضى يشعرون بالانبتات رغم المدن الكبيرة والأعداد الضخمة من البشر التي تموج بها تلكم التجمعات الصورية والمساكن المندمجة في العمارات الشاهقة وتضاعف عدد الأطباء النفسانيين ومع ذلك كان العدد الضخم عاجزا عن رد التوازن المفقود . ولذا نجد الإسلام يولي عنايته هذه الناحية . ففي كل كتب الحديث تجد أحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد على زيارة المريض . والإمام البخاري يراها واجبة فقد عنون في صحيحه الباب الرابع من كتاب المرضى باب وجوب عيادة المريض . مرجحا أن الأمر الوارد هو للوجوب في الحديث الذي رواه عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : (أطعموا الجائع وعودوا المريض وفكوا العاني) وحديث البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ أمرنا أن نتبع الجنائز . ونعود المريض ونفشي السلام (الفتح جـ١٢ ص٢١٦) ثم أتبع هذا الباب بأبواب أخرى قصد التعميم . فعقد بابا لعيادة المغمى عليه وبابا لعيادة النساء الرجال . وبابا لعيادة الصبيان . وبابا لعيادة الأعراب . وبابا لعيادة المشرك وغير ذلك من الأبواب كما أخرج الأحاديث الدالة على عيادة المريض في كثير من كتب صحيحه لتلتئم مع ما أخرجه علماء الحديث في هذا المعنى ليكون منها ما يسمى بالتواتر المعنوي اليقيني .

بعض تفاصيل عن العيادة

١) متى يعود المؤمن المريض ؟

روى ابن ماجه قال حدثنا هشام بن عمار . **حدثنا مسلمة بن علي** حدثنا ابن جريح عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال : كان النبي ﷺ لايعود مريضا إلا بعد ثلاث (جـ ٧ ص ١٤٣) .

وأئمة الحديث على توهين هذا السند لأن مسلمة بن علي منكر الحديث وإن رأى السندي أن أحاديثه رويت بروايات أخرى يتقوى بعضها ببعض . فالذي نطمئن إليه أن الزيارة المأمور بها مرتبطة بوضع المريض وحاجته للمواساة وما جرى من أعراف وعادات لا تصادم أصلا شرعيا .

٢) ما يقوله الزائر للمريض

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل على مريض يعوده يقول له :لا بأس طهور إن شاء الله (الفتح جـ ١٢ ص ٢٢٣) .

وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : (إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل ، فإن ذلك لا يرد شيئا وهو يطيب نفس المريض) (١٤٣٨) .

وعن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص أن أباها قال تشكيت بمكة شكوى شديدة فجاءني النبي ﷺ يعودني قال ثم وضع يده على جبهته ثم مسح يده على وجهي وبطني ثم قال اللهم اشف سعدا وأتمم له هجرته فما زلت أجد برده على كبدي فيما يخال إلي حتى الساعة . (الفتح جـ ١٢ ص ٢٢٥) .

فالهدي النبوي واضح في هذا الأمر أن الزائر يلاطف المريض بجملة من أنواع الملاطفة تشمل فيما تشمل تشجيعه على تحمل المرض بتوهين أمره وعدم خطره وبتذكيره بالأجر والثواب للمبتلى . والتقرب منه حسب مكانة الزائر دينيا واجتماعيا فما يصح لكل فرد أن يمسح بيده على وجه المريض وجسده . وإن احتج محتج بفعله ﷺ فإن بركة يد رسول الله ﷺ قد ظهرت آثارها في النماء والشفاء وأنى لغيره أن يكون مثله وإنما يفعل هذا من ترجى بركته لصلاحه وتقواه أو لكونه أصلا من أصوله .

والدعاء هو جماع الأدب وأبرز مظهر للمواساة وأقوى باعث للأمل . فقد روى البخاري عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضا أو أتي به إليه قال عليه الصلاة والسلام ـ اذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك . شفاء لا يغادر سقما (فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٣٦) .

ب ــ العـــدوى

روي في العدوى أحاديث كثيرة . بعضها يفيد بظاهره نفي تأثير العدوى وبعضها يفيد خلاف ذلك فقد روى البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ولا صفر ولا هامة فقال أعرابي يا رسول الله فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها فقال فمن أعدى الأول ؟ رواه الزهري عن أبي سلمة وسنان بن أبي سنان (الفتح جـ ١٢ ص ٢٧٨) .

وعن أخنس أن النبي ﷺ قال : لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح (الفتح جـ ١٢ ص ٣٢٤) .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : (لا عدوى ولا طيرة والشؤم في ثلاث : المرأة والدار والدابة) كما روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولاهامة) فذكر سماك أن صفر دابة تكون في بطن الإنسان فقال رجل يا رسول الله تكون في الإبل الجربة في المائة فتجربها قال النبي ﷺ فمن أعدى الأول (جـ ٢ ص ٢٦٩) .

وعن عبدالله بن مسعود . قال قام فينا رسول الله ﷺ فقال لا يعدي شيء شيئا فقام أعرابي فقال يا رسول الله النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها فقال رسول الله ﷺ فما أجرب الأول ؟ لا عدوى ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس فكتب حياتها و مصيبتها ورزقها (مسند أحمد جـ ٤ ص ٣٢٢) . فهذه الأحاديث المروية مسندة إلى النبي ﷺ بواسطة جملة الصحابة أبي هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس بن مالك كلها تدل على نفي العدوى كما روى مسلم ومن ناحية أخرى روى البخاري . أولا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم كما تفر من الأسد (جـ ١٢ ص ٢٦٥) .

وعن أبي سلمة سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ لا يوردن ممرض على مصح . وأنكر أبو هريرة الحديث الأول وقلنا ألم يحدث أنه لا عدوى ؟ فرطن بالحبشية ، قال أبو سلمة فما رأيته نسي حديثا غيره . وهذا الحديث الذي رواه البخاري روى مسلم ماهو أوضح منه عن ابن شهاب أن أبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف حدثه أن رسول الله ﷺ قال لا عدوى ويحدث أن رسول الله ﷺ قال لا يورد ممرض على مصح قال أبو سلمة كان أبو هريرة يحدثهما كليهما عن رسول

الله ﷺ ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله لا عدوى وأقام على أن لا يورد ممرض على مصح قال فقال الحارث بن أبي ذياب وهو ابن عم أبي هريرة قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع هذا الحديث حديثا آخر قد سكت عنه كنت تقول قال رسول الله ﷺ لا عدوى فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك وقال لا يورد ممرض على مصح فماراه الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فرطن بالحبشية فقال للحارث أتدري ماذا قلت ؟ قال لا . قال أبو هريرة قلت : أبيت . قال أبو سلمة ولعمري لقد كان أبو هريرة يحدثنا أن رسول الله ﷺ قال لا عدوى فلا أدري أنسي أبو هريرة أم نسخ أحد القولين الآخر . (إكمال الاكمال جـ ٢ ص ٤٠) .

كما روى النسائي وأحمد عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال قدم وفد من ثقيف ليبايع وكان فيهم رجل مجذوم قال فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال ائته فأخبره أني قد بايعته فليرجع . (النسائي جـ ٧ ص ١٥٠ . وأحمد جـ ٤ ص ٣٨٩) .

كما روى مالك بسنده إلى ابن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مَرّ بامرأة مجذومة وهي تطوف بالبيت فقال يا أمة الله لا تؤذي الناس لو جلست في بيتك . فجلست فمر بها رجل بعد ذلك فقال لها إن الذي قد نهاك قد مات فاخرجي فقالت : ما كنت لأطيعه حيا وأعصيه ميتا . (الزرقاني جـ ٢ ص ٢٨٥) .

إن ظاهر هذه الأحاديث أن بينها تعارضا إذ القسم الأول ينفي العدوى والأحاديث الثانية تثبت العدوى : ولنتتبع موقف العلماء من هذا الظاهر .

قبل كل شيء لابد من معرفة ما تسلط عليه النفي في قوله ﷺ لا عدوى . فإن حملنا النفي على نفي ذات العدوى كانت الأحاديث متناقضة ولا يمكن أن يكون الثاني ناسخا فعمدوا إلى التأويل : إن العدوى معدومة وإن النهي عن إيراد الممرض على المصح والفرار من المجذوم خوف أن يمرض الصحيح فيسوء اعتقاده بتأثير العدوى وهذا مذهب جمهور المحدثين .

وذهب المحققون إلى أن النفي ليس للذات وإنما هو نفي مسلط على مقدر .(من باب دلالة الاقتضاء) تأثير أي نفي ما يعتقدونه من أن بعض العلل مؤثرة بنفسها في نقل المرض . فبين لهم أن المرض إنما هو بقدر الله وقدرته وهذا ما يشير إليه قوله ﷺ فمن أعدى الأول ؟

ونكمل هذا المفهوم من ناحية أخرى هو أن الله تعالى أجرى أمور الكون على أسباب ربط بحكمته بينها وبين مسبباتها على أن معنى القربان من المجذوم ونحوه هو سبب ظاهر في نقل المرض وليس سببا موجبا إذ الفاعل الحقيقي هو الله تعالى . ومن حكمة المؤمن أن يتقي الشبهات والريبة سواء في الأمور المادية أو في الأفعال .

قال الطيبي : العدوى تجاوز العلة ، والأطباء يجعلون ذلك في سبع علل : الجذام والجرب والحصبة والبخر والرمد والأمراض الوبائية .

قال الأبي : ورجح القول الأخير لأنه يجمع بين الأحاديث وأيضا فإن القول الأول يفضي إلى **تعطيل الأصول الطبية**

ولم يرد الشرع بإبطالها بل ورد باعتبارها على وجه لا يناقض التوحيد ولا مناقضة على الوجه المذكور . . (إكمال الاكمال جـ ٦ ص ٣٧/٣٨) وأيضا فإن حديث ابن عباس يؤكد هذا الفهم فالزيادة التي في آخره : (خلق الله كل نفس فكتب حياتها ومصيبتها ورزقها . تدل هذه الزيادة على أن سور النفي المسلط على العدوى وما عطف عليه ليس نفي الذات وإنما هو نفي التأثير الذاتي لإثبات أن الأسباب تتحرك لتولد ما تولده حسب القدر السابق .

كما روى الترمذي بسنده إلى جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخله معه القصعة . ثم قال قل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه ، وعلق عليه ابن العربي : إن النفوس تعاف مخالطة أهل الأدواء . وإن كان لا يعدي داء على صحة . وإن كان الله قد أجرى العادة بتضرر الصحيح بالسقيم ولكنه يضر الخلق عادة لا وجوباً . وأمرهم بعد ذلك بالتحرز : (عارضة الأحوذي جـ ٨ ص ٨١) .

إن علاقة المريض بالأصحاء من خلال النصوص التي عرضناها تبدو متجهة إلى القضاء على عقدة الخوف من الإنسان . خوفه من الموت إذا كان مريضا وخوفه من إصابته بالمرض إذا كان صحيحا . وهذه ناحية هامة في توازن شخصية المسلم في حالتي السقم والصحة إذ يساعده العطف والكلام الطيب المتمثل في التخفيف عليه من حدة المرض (التنفيس في الأجل) والاعتقاد بأن الضر والنفع بيد الله وليس للعدوى أثر لابد منه ، يساعده على التحصن بالشجاعة في مقاومة المرض . وعدم الهلع عند انتشار الأوبئة والأمراض المعدية وكم كشف الأطباء عن مرضى يحسون بآلام مختلفة وقد تكون مبرحة وماهي إلا من خداع النفس عندما تنهار ويحيط بها الخوف .

ثانيا الممرضون :

نعني بالممرضين طائفة خاصة رزقوا قدرة على التأثير في غيرهم . إما تخريبا لصحتهم وإما إصلاحا لما اختل من استقامة البدن والروح .

١) الطائفة المخربة تشمل العائنين والسحرة

أثبتت السنة أن العين تؤثر في الإنسان فروى البُخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال العين حق (الفتح جـ ١٢ ص ٣١٢ والإكمال جـ ٦ ص ٣)

وروى مالك في موطئه عن محمد بن أبي أسامة بن سهل بن حنيف أنه سمع أباه يقول اغتسل أبي بالخرار (موضع قرب رابغ) فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد قال فقال له عامر بن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء قال :فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأُتي رسول الله ﷺ فأُخبر أن سهلا وعك . وأنه غير رائح معك يا رسول الله فأتاه رسول الله ﷺ فأخبره سهل بالذي كان من شأن عامر بن ربيعة فقال رسول الله ﷺ علام يقتل أحدكم أخاه ؟ ألا برَّكت إن العين حق توضأ له . فتوضأ له عامر فراح سهل مع رسول الله ﷺ . ليس به بأس (الزرقاني جـ ٤ ص ١٥٩) .

إن هذه الأحاديث تثبت تأثير شر العين بقدر الله قطعا . وأن التبريك يدفع الضرر . يقول أبو عمر بن عبدالبر : والتبريك أن يقول : تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه (التمهيد جـ ٦ ص ٢٤١) .

يقول المازري : أنكر العين طوائف من المبتدعة ويرد عليهم أن ما ليس بمحال في نفسه . ولا يؤدي إلى مخالفة دليل هو جائز وإذا أخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولا فرق بين التكذيب به والتكذيب بشيء من أحوال الآخرة ـ وزعم بعض الطبائعيين المثبتين للعين أن العائن تنبعث من عينه قوة سُمِّية تتصل بالمعيون فيهلك أو يفسد قالوا ولا يستنكر هذا كما لا يستنكر انبعاث ذلك من الأفعى والعقرب ثم أنكر عليهم التعبير بكلمة قوة ثم قال وأقرب طريق اقتحمها من ينتمى للإسلام أن قالوا غير بعيد أن تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية تتصل بالمعيون وتتخلل مسام جسمه فيخلق الله سبحانه الضرر عندها . وعقب على ذلك بأن هذا ممكن لكن لا دليل عليه (إكمال الاكمال جـ ٦ ص ٤) .

وقد نقل العلماء ما يؤكد ما وقع لسهل بن حنيف فقد ذكر ابن عبدالبر أن سعد بن أبي وقاص خرج يوما وهو أمير الكوفة فنظرت إليه امرأة فقالت إن أميركم هذا لأهضم الكشحين فعانته فرجع إلى منزله فوعك ثم إنه بلغه ما قالت فأرسل إليها فغسلت أطرافها ثم اغتسل به فذهب ذلك عنه ونقل عن المدائني عن الأصمعي قال حج هشام بن عبدالملك فأتى المدينة فدخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر فلما خرج من عنده قال هشام ما رأيت ابن سبعين أحسن كدنة منه (غلظ الجسم وكثرة اللحم) فلما صار سالم في منزله حُمَّ فقال أترون الأحول لقعني بعينيه ، فما خرج هشام من المدينة حتى صلى عليه (التمهيد جـ ٦ ص ٢٣٩) .

وروى الأبي عن شيخه ابن عرفة ، أنه كان ببجاية رجل مشهور بإصابة العين فلما رجع الأمير أبو الحسن سلطان المغرب قافلا عن أفريقية إلى المغرب في الأسطول المعروف . وكان ببجاية حينئذ أمير من قبل الموحدين فأمره هذا الأمير أن ينظر إلى ذلك الأسطول ويعينه فكان من أمر الأسطول وإتلاف أكثره ما كان (الإكمال جـ ٦ ص ٥) .

وحاول ابن قيم الجوزية إثبات تأثير العين في المعين بأن التأثير الروحي يقيني لمن تأمل ، فروح الحاسد مؤذية للمحسود . إذ تتكيف بكيفيات خاصة وتقابل المحسود فتؤثر بتلك الخاصية .

وإذا كان الناظرون مختلفين في القدرة على التأثير مع عدم الاتصال المباشر إثباتا ونفيا يحتج النافي بالاستحالة العادية ويحتج المثبت بالإمكان العقلي وبالخبر الصادق فإن التقنية المعاصرة قد تجاوزت ذلك إذ أخرجته من حد الفرض إلى الواقع المادي في الكون . فالاليكترون وما بلغه من مستوى في التأثير يؤيد تأييداً يرفع كل شك في التأثير مع الانفصال . فالأقمار الصناعية والكواكب الفضائية يتحكم في سيرها المراقبون في الأرض والواحد منا يتحكم في جهاز التلفاز تغييرا وإشغالا وتعطيلا بواسطة جهاز الكتروني لا يتصل الاتصال المادي . أنه كلما تقدم العلم زاد تحكم الإنسان في الكائنات الكونية دون احتياج إلى مباشرة فعلية .

وكما خلق الله في النفس الإعجاب بكل فائق في كماله ورتب على ذلك أن بعض المعجبين قد يؤذون ما تسلطت عليه عيونهم لخواص في تركيبهم النفسي ، فإنه سبحانه حسب سننه الكونية بين للناس طرق الوقاية والعلاج .

أما الوقاية فقد علم رسول الله ﷺ كل من أعجب بشيء أن يذكر اسم الله ويبرّك عليه ولو كان متعلق الإعجاب ذاته أو أحد أحبائه فإن ضرر العين غير مرتبط بالكراهة والبغض كما تكون الوقاية بالرقية . يدل لذلك ما رواه مالك في موطئه عن حميد بن قيس المكي أنه قال دُخل على رسول الله ﷺ بابني جعفر بن أبي طالب فقال لحاضنتهما مالي أراهما ضارعين ؟ فقالت يا رسول الله إنه تسرع العين إليهما ، ولم يمنعنا أن نسترقي لهما إلا أننا لا ندري ما يوافقك من ذلك فقال رسول الله ﷺ استرقوا لهما فإنه لو سبق شيء القدر لسبقته العين .

وأخرج أبو عمر بن عبد البر بسنده إلى ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يعوذ حسنا وحسينا . (أعيذكما بكلمات الله التّامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) ثم يقول هكذا كان أبي ابراهيم يعوذ اسماعيل واسحاق (التمهيد جـ ٢ ص ٢٧٢) .

وأما العلاج فيكون بالوضوء وفي وصف الوضوء من أجل العين صور كثيرة أقربها إلى الصحة هي الطريقة التي رواها الرواة عن الزهري راوي حديث الوضوء من العين . قال : يغتسل العائن في قدح من ماء يدخل يده فيه فيمضمض ويمجه في القدح و يغسل وجهه فيه ثم يصب بيده اليسرى على كفه اليمنى ثم يصب باليمنى على كفه اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب بها على مرفق يده اليمنى ثم بيده اليمنى على مرفق يده اليسرى ثم يغسل قدمه اليمنى ثم يدخل اليمنى فيغسل قدمه اليسرى ثم يدخل يده اليمنى فيغسل الركبتين ثم يأخذ داخلة إزاره فيصب على رأسه صبة واحدة ولا يضع القدح حتى يفرغ . الزرقاني جـ ٤ ص ١٥١ .

٢) الطائفة المصلحة وهي تشمل من يقوم على تمريض المصاب . فيعنى به في مأكله ودوائه وكل ما يحتاج إليه ومن يقوم على الرقيا . يجد المتتبع للسنة صورا من هدي النبوة في معاملته للمريض .

إن أول ما يلفت النظر هو التأكيد على احترام المريض وعدم الضغط عليه لأن المريض وإن كان مختل المزاج البدني إلا أن قدرته على الاختيار باقية سليمة وهو أحرص الناس على صلاح نفسه لأن حب الحياة غريزة مركوزة في باطن كل إنسان يشعر بها ويتفاعل معها بمقدار يفوق ما يشعر به غيره نحوه .

يدل لهذا ما أخرجه البخاري في مسنده إلى عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لَدَدنا رسول الله ﷺ في مرضه فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني فقلنا كراهية المريض للدواء فقال ﷺ لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم . (الفتح جـ ٩ ص ٢٣) .

واللَّدود هو دواء يصب في جانب الفم .

هذا الحديث يصور لنا تأديبا عمليا أذن فيه رسول الله ﷺ ليقتلع عادات وتصورات ألفوها . فعندما يلد كل فرد كما لد هو في الوقت الذي لا حاجة به إلى ذلك يشعر بالأمر الذي يؤلم النفس في الوقت الذي يكون المريض أحوج ما يكون إلى من يساعده على الثقة في نفسه . ولا يقتصر الهدي النبوي على الدواء بل كذلك الطعام لا يجبر عليه .

روى لترمذي عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فإن الله يطعمهم ويسقيهم . (عارضه الأحوذي جـ ٨ ص ١٩٥) .

يعلق عليه ابن العربي أن الله يخلق لهم القوة الكافية عن تناول الطعام والشراب فعَبَّر عن القوة بسببها فهو أحد قسمي المجاز .

يُعلق عليه ابن القيم قائلا : وفي قوله ﷺ فإن الله يطعمهم ويسقيهم معنى لطيف زائد على ما ذكر الأطباء لا يعرفه إلا من له عناية بأحكام القلوب والأرواح وتأثيرها في طبيعة البدن وانفعال الطبيعة عندها كما تنفعل هي كثيرا عن الطبيعة ونحن نشير إليه إشارة فنقول إذا حصل لها ما يشغلها من محبوب أو مكروه أو مخوف اشتغلت به عن طلب الغذاء والشراب فلا تحس بجوع ولا عطش ولا حر ولا برد بل تشتغل به عن الإحساس بالمؤلم الشديد الألم فلا تحس به . وما من أحد إلا وقد وجد في نفسه ذلك أو شيئا منه والنفس إذا اشتغلت بما داهمها وورد عليها لم تحس بألم الجوع فإن كان الوارد مفرحا قوي التفريح قام لها مقام الغذاء وإن كان الوارد محزنا أو مخوفا اشتغلت بمحاربته فهي في حال حربها في شغل عن طلب الطعام والشراب إن ظفرت في هذه الحرب انتعشت وأخلفت عليها نظير ما فاتها من قوة الطعام والشراب وإن كانت مغلوبة مقهورة انحطت قواها بحسب ما حصل لها من ذلك .

فالمريض له مدد من الله تعالى يغذيه به زائدا على ما ذكره الأطباء وذلك بحسب ضعفه وانكساره وانطراحه بين يدي ربه عز وجل فيحصل له من ذلك ما يوجب قربا من ربه فإن العبد أقرب ما يكون من ربه إذا انكسر قلبه ، ورحمة ربه قريبة منه . فإن كان وليّاً له حصلت له من الأغذية القلبية ما تقوى به قوى طبيعته وتنتعش به قواه أعظم من قوتها وانتعاشها بالأغذية البدنية وكلما قوي إيمانه وحبه لربه وأنسه به وفرحه به وقوي يقينه بربه واشتد شوقه إليه ورضاه به وعنه ، وجد في نفسه من هذه القوة مالا يعبر عنه ولا يدركه وصف طبيب ولا يناله علمه (طب النبوة ص ٧٣) .

فابن القيم عمل على تقريب الحكمةا لتي من أجلها أرشد ﷺ إلى ترك إكراه المريض على تناول الطعام وليس معنى ذلك أنها يقينا الحكمة التي قصدها رسول الله ﷺ كما أنها ليست الحكمة الوحيدة وعلى كل فإن في كسر نفس المريض والتقوي عليه وإلزامه مالا يرغب ولا يستطيع دفعه لوهن قواه البدنية في ذلك ضرر محقق بقدرته الباطنية وتحطيم لقواه المعنوية التي لا تعود على المريض إلا بالضر .

إن عدم الإكراه يصحبه ما قدمنا من توهين أمرالمرض ،والدعاء للمريض ،وتقويةطاقة تحمله بالتنفيس في أجله .وبهذا يكون الجو انعام الذي يحيط بالمريض هو جو رفيق مؤنس يرتاح له المصاب يقضي على الخوف ويحقق الطمأنينة . ذلك أن الخوف يؤثر على نبضات القلب ويصحبه من الإفرازات ما يجعل الاضطراب في سير بعض الأجهزة الإنسانية يتبعه حتما اختلال في توزيع الدم على الأعضاء .

ومن ناحية أخرى فإنه مما استقر في نفس المؤمن من حسن التوكل على الله والالتجاء إليه ينفتح باب الرجاء ويقضي على اليأس والظلام الباطني المحبط للنشاط والمعوق للإرادة عن الفعل الباطني ، يبدو ذلك في صرف الإنسان عن التفكير في أساه والسمو إلى الله مع إشراقة الرجاء . قال تعالى ﴿ **أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ (سورة النمل

آية ٦٢) . ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾ (الشعراء آية ٨٠) .

إنه بواسطة التحويل من الاستغراق في الإحساس بالألم إلى التوجه إلى الله لعبادته ولدعائه ثم تَقَبُّل النهاية الحتمية بأن قضاء الله يجب الرضا به يكون التعليم النبوي قد انتشل المريض من العذاب النفسي . إن آخر كلمة نطق بها رسول الله ﷺ تعلم المؤمن كيف تكون صلته بقضاء الله إنها صلة الرضا الكامل إنها الابتسامة التي تنفرج بها شفتا المؤمن عندما يودع هذه الحياة إلى الحياة الآخرة .فقد روى مسلم عن عائشة قالت لما مرض رسول الله ﷺ وثقل أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع فانتزع يده من يدي ثم قال :اللهم اغفر لي واجعلني مع الرفيق الأعلى قالت فذهبت انظر فإذا هو قد قضى . (مسلم جـ ٦ ص ١٢) .

الرقية : هي مجموعة من التوجهات قد تصحبها إشارات وحركات يقوم بها المريض أو غيره قصد تحصيل الشفاء أو التخفيف .

والرقية قديمة عرفها العرب قبل البعثة المحمدية ولعلها من بقايا الديانة الإبراهيمية فيما بقي منها متوارثا عندهم صحفت حسب انحراف العقيدة ومالابسها من وثنية ، ونجد في السنة النبوية الصحيحة أحاديث تأذن بالرقية وأحاديث يفهم منها النهي عن الرقية .

فمن الأحاديث الدالة بظاهرها على عدم الإذن ،الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ (عرضت علي الأمم فأجد النبي يمر معه الأمة والنبي يمر معه النفر والنبي يمر معه العشر والنبي يمر معه الخمسة والنبي يمر وحده فنظرت فإذا سواد كثير قلت يا جبريل هؤلاء أمتي ؟ قال لا ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال هؤلاء أمتك وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب قلت : ولِمَ ؟، قال : كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام إليه عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم قال (اللهم اجعله منهم) ثم قام إليه رجل آخر قال ادع الله أن يجعلني منهم قال (سبقك بها عكاشة) (فتح الباري جـ ١٤ ص ٢٠٤) وبما يقاربه لمسلم (إكمال الاكمال جـ ١ ص ٢٧٧) .

الحديث يدل بظاهره على أن الذين لا يسترقون لهم ميزة يوم القيامة تتمثل في السبق إلى الجنة بدون حساب فمعنى هذا أن الذين يسترقون أحط رتبة منهم والنزول عن مراتب الكرامة لا يكون أثرا للحلال والمندوب والواجب وإنما هو للمكروه والحرام وهذا الظاهر يعارضه أحاديث أخرى جاءت في تفصيل الرقية وأنه ﷺ فعلها وأقر عليها وأذن بها . فقد اجتمعت في الرقية ضروب الهداية بالسنة من جميع وجوهها القول والفعل والإقرار ويستحيل أن يكون الأمر الواحد مأموراً به منهيا عنه فلابد من تعميق النظر للجمع بين النصوص .

نقل عياض عن الداودي أن النهي عن الرقية هو منصب على من يفعل ذلك في الصحة معناه اتخاذ الرقية وسيلة وقاية . وهذا تأويل لا يدل عليه الحديث وزيادة غير مستندة لأصل وثانيا فقد وردت أحاديث صحيحة تدل على أن الرقية قد أذن فيها في الصحة كما سيأتي .

ثم ذكر أن الحديث لا يحْوج إلى التأويل لأن النبي ﷺ لم يذم من قال بالكي والرقى وإنما أخبر عن كرامة السبعين ألفا من أمته قاله على وجه التفسير لهم : هم كذا وليس السبب من كرامتهم تجَنبهم اعتقاد نفع الأدوية .

وتعقب الأبي هذا التوجيه أن الحديث عند من أخذ منه الكراهة خرج مخرج المدحة على الترك وهو خاصية المكروه لا مخرج التفسير والرد عليه بأنه لم يذم لا يتم لأن الذم على الفعل خاصية المحرم (إكمال الاكمال جـ ١ ص ٣٧٨) والذي يظهر لي أن المزية لا توجب الأفضلية فليس معنى الحديث أنهم أفضل من غيرهم بل قد يكون أن هؤلاء الذين جمعوا بين الصفات الواردة في الحديث (١) لا يكتوون (٢) لا يتطيرون (٣) لا يسترقون (٤) يتوكلون على الله حق التوكل قد وعدهم الله ما وعدهم مع أنه يمكن أن يكون غيرهم أفضل منهم وهو لا يدل على الكراهة كما روى أبو داود عن رسول الله ﷺ لا رقية إلا من عين أو حمة وقد أجاب عن هذا الحديث ابن القيم في زاد المعاد وفي الطب النبوي بأن محمله على الأولوية أي لا رقية أنفع من رقية العين والحمة (ص ١٣٧) .

وأما الأحاديث الدالة على الرقية فكثيرة جداً مروية عن عائشة وعن أسماء بنت عميس وعن وجابر وعوف بن مالك الأشجعي وعثمان بن أبي العاص الثقفي وعن أم سلمة وعن أنس بن مالك وعن الشفاء بنت عبدالله وعن سهل بن حنيف وعن أبي هريرة وعن ابن عباس وعن ميمونة بنت أبي عسيب وعن كعب بن مالك وعن أبي سعيد الخدري وعن عبادة بن الصامت وعن أبي الدرداء وعن رافع بن خديج وعن ابن عُمر وعن جبلة بن الأزرق وعن عمار بن ياسر وعن علي بن أبي طالب وعن الحارث بن عمرو البرجمي وعن بديل بن عمرو الخطمي وعن محمد بن حاطب .

هؤلاء الصحابة وغيرهم رووا أحاديث عن رسول الله ﷺ كلها تثبت صيغا من الرقى أو تنقل إذنا منه في الرقية كما وقع لآل حزم وخال جابر وعوف بن مالك الأشجعي كما رواه مسلم في صحيحه (الاكمال جـ ٦ ص ١٥)

وكما ثبت عن رسول الله ﷺ الرقية بعد الإصابة روي عنه الرقية المحصنة من الإصابة فقد روت عائشة عن النبي ﷺ أنه كان إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد وبالمعوذتين جميعا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده قالت عائشة فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل به ذلك .

وناحية أخرى أرشد إليها رسول الله ﷺ هي الاستقرار النفسي بالرقية مع عدم ا لمرض ولكن من أجل التشويش الذي يحصل في العقل فقد روى مسلم عن عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله ﷺ ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهبه الله عني . (إكمال الاكمال جـ ٦ ص ١٧) .

كما روى البيهقي عن أبي العالية أن خالد بن الوليد قال يا رسول الله إن كائدا من الجن يكيدني قال : (قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر ما يعرج في السماء وما ينزل منها ومن شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يا رحمان (قال : ففعلت ذلك فأذهب الله عني . (منتخب كنز العمال جـ ٤ ص ٢١) .

إن كل الرقى التي رويت عن رسول الله ﷺ تؤكد صلة المسلم بربه وتزيده وثوقا بأنه غير مهمل وأن حفظ الله يرعاه

وأن عونه يسعده وأن قدرته لا يعجزها أمره وأن رحمته تسع كل داء فتشفيه إذا ماتعلقت الإرادة وسبق القضاء وهي بهذا تفارق كل ما عرف من الرقى الجاهلية التي كانت تعتمد الكهانة والكلام غير الواضح والطلاسم أو التقرب للأرواح الشريرة واستعطافها لتزيح غضبها كما أنه من ناحية أخرى أزال الاختصاص الذي كان يدعيه بعض البشر من اقتدارهم على طرد الأرواح الشريرة إذ وصل بين المؤمن وبين ربه يدعوه بكلام واضح ويلجأ إليه بقلب واثق في الرحمة الربانية .

وأعظم من كل ذلك ما أكد عليه الإسلام فجعله الركن الثاني من أركان هذا الدين أعني الصلاة .

إن الصلاة بما يتقدمها من طهارة وإقامة تساعدان على التركيز والتحول والسمو وما تألفت منه من نية وأقوال واضحة ، وأفعال تصحبها أقوال لتعتبر أفضل ما يعيد للإنسان طمأنينته ويرخي توتره الباطني ويعطيه مناسبة للاعتدال النفسي بل حتى المادي .

كَتبَ الصحفي كينيث بريغر ، بصحيفة النيورك تايمز فصلا عن الصلاة كان ما جاء فيه أن الدكتور هوبرت بنسون أخصائي القلب وضغط الدم بهيئة التدريس بكلية الطب بجامعة هارفارد قال : إن ممارسة الصلاة يمكن أن تخفض ضربات القلب وضغط الدم والأيض ومن ثم تخفض من مستويات التوتر وأوصى مرضاه بتكرار كلمة أحد في حالة من سلبية كاملة للعقل مدة ٢٠ دقيقة كل صباح وكل مساء ثم يقول كيف يحدث هذا ؟ نحن لا نعرف لكن هناك صفاء العقل وتخفيض ملموس في التوتر وتوسيع القدرة على الإبداع لدى كثير من الناس .

وإن تربية المؤمن التي كون عليها رسول الله ﷺ المؤمنين لتتمثل في الاتصال الدائم بالله ذكرا له ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ (الرعد٢٨) . واستسلاما رضيا إلى عزته ورعايته ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (الأنعام آية ١٦٢ ـ ١٦٣) . وإن هذا الإسلام إلى الله هو سنة المرسلين كما جاء على لسان ابراهيم ﴿ **الذي خلقني فهو يهديني والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾ (الشعراء : ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عليه توكلت وإليه أنيب .

رئيس الجلسة : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

شكرا لفضيلة الشيخ / محمد المختار السلامي على هذه الكلمة الطيبة التي تناول فيها بيان حقيقة الطب النبوي ثم رد الطب النبوي فيها إلى القواعد العامة المعروفة عند علماء الإسلام كما فصل النصوص الحديثة على الأبواب التي ترد إليها جميعا .

بقي لنا الآن الجزء الثالث من جلسة هذا الصباح وهو يتمثل في مجموعة من البحوث التي يلقيها حضرات الأساتذة الدكاترة وأرجو أن يلتزم حضراتهم بالوقت حيث سيعطي كل فرد منهم عشر دقائق لنتمكن بعد ذلك من إجراء النقاش حول هذه الموضوعات والبحوث .

الكلمة الآن للدكتور / محمد سليمان الأشقر فليتفضل ويحدثنا عن مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشئون الطبية .

المجموعة الثالثة
(من القسم الأول)
توثيق بعض ما نسب إلى الرسول في مجال الطب

أبحاث قبلت للالقاء أثناء المؤتمر

١ ــ «مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية في الشؤون الطبية والعلاجية»
الدكتور/ محمد الأشقر

٢ ــ «التراث الطبي النبوي»
الدكتور/ أحمد عمر هاشم

٣ ــ «أحاديث الطب ـ خصائصها وتصنيفها ومنهج جمعها»
الدكتور / عبدالستار أبو غدة

٤ ــ «المخطوطات التركية في الطب النبوي»
الدكتور/ أكمل الدين احسان أغلو

المناقشات

مدى الاحتجاج بالأحاديث النبوية
في الشؤون الطبية والعلاجية

للدكتور محمد سليمان الأشقر
الكويت

الفصل الأول
في الأحاديث الواردة في الشؤون الدنيوية بصفة عامة

الأصل في أقوال النبي محمد ﷺ وأفعاله وتقريراته أنها حجّة شرعية على عباد الله ، إن ثبتت بطريق صحيح .

وقد تكفل ببيان ذلك والاستدلال له علم أصول الفقه .

وهذا واضح كل الوضوح فيما كان من ذلك مبيِّناً لأمور الدين ، كالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وكالأحاديث المبيّنة لأحكام الله تعالى من الحلال والحرام والفرائض وأنواع التعبّدات والمعاملات وغيرها من أمور الشريعة .

أما الأمور الدنيوية ، فهل يلزم أن تكون اعتقاداته وأقواله ﷺ فيها مطابقة للواقع بمقتضى نبوته ، أو أن هذا أمر لا صلة له بمنصب النبوة ؟

اختلف العلماء في ذلك على مذهبين :

المذهب الأول : أنه ﷺ معصوم من خطأ الاعتقاد في أمور الدنيا ، بل كل ما يعتقده في ذلك فهو مطابق للواقع ، وكذلك ما يقوله ويخبر به .

ولم نجد أحداً من قدماء الأصوليين صرح بمثل هذا المذهب .

ولكنه لازمٌ لمن جعل جميع أقواله وأفعاله ﷺ حجة حتى في الطيّبات والزراعة ونحوها . وهو لازم أيضا لمن صحح منهم أن تقريره ﷺ لمُخْبِرٍ عن أمر دنيوي يدل على صحة ذلك الخبر ، كما فعل السبكي وأيده المحلي والبناني[1] .

وابن القيم في كتابه (الطب النبوي)[2] يذهب إلى حجّيّة أقواله وأفعاله ﷺ في الطبّ . وقال : طبّ النبي ﷺ متيقَّنٌ قَطْعِي إلهيّ ، صادر عن الوحي ومشكاة النبوة وكمال العقل[3] .

ويظهر أن هذه طريقة المحدِّثين . فإنا نجد عند البخاريّ مثلاً هذه الأبواب (باب السّعوط) (باب أيّ ساعة يحتجم) (باب الحجامة في السفر) (باب الحجامة على الرأس) (باب الحجامة من الشقيقة والصداع)[٣] وعند غيره من المحدِّثين ، كأصحاب السنن ، تبويبات مشابهة . ويوافقهم الشرّاح غالبا على ذلك ، فيذكرون استحباب أدويةٍ معيّنة لأمراض معينة ، بناء على ما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية .

المذهب الثاني : أنه لا يجب أن يكون اعتقاده ﷺ في أمور الدنيا مطابقاً للواقع ، بل قد يقع الخطأ في ذلك الاعتقاد قليلا أو كثيرا ، بل قد يصيب غيره حيث يخطيء هو ﷺ .

قالوا : وليس في ذلك حطٌّ من منصبه العظيم الذي أكرمه الله به ، لأن منصِب النبوة مُنصَبٌّ على العلم بالأمور الدينية ، من الإعتقاد في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ومن الأمور الشرعية . أمّا إن اعتقد أن فلاناً مظلوم فإذا هو ظالم ، أو أن دواء معينا يشفي من مرض معين ، فإذا هو لا يشفى منه ، أو أن تدبيراً زراعياً أو تجارياً أو صناعياً يؤدي إلى هدف معين ، فإذا هو لا يؤدي إليه ، أو يؤدي إلى عكسه ، أو أن تدبيراً عسكرياً أو إدارياً سينتج مصلحة معينة ، أو يدفع ضرراً معيناً ، فإذا هو لا يفعل ، فإن ذلك الاعتقاد لا دخل له بالنبوة ، بل هو يعتقده من حيث هو إنسان ، له تجاربه الشخصية ، وتأثّراته بما سبق من الحوادث ، وما سمع أو رأى من غيره ، مما أدّى إلى نتائج معينة . فكل ذلك يؤدي إلى أن يعتقد كما يعتقد غيره من البشر ، ثم قد ينكشف الغطاء فإذا الأمر على خلاف ما ظنّ أو اعتقد .

وقد صرح بأهل هذا المذهب ، دون تفاصيله ، القاضي عياض[٤] والقاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي[٥] والشيخ محمد أبو زهرة[٦] . وظاهر الحديث أنه ﷺ كغيره من الناس في ذلك ، بل فيه التصريح بأن أصحاب الخبرة في صنائعهم وتجاراتهم وزراعاتهم قد يكونون أعلم منه بدقائقها ، إلا أن القاضي عياضاً أوجب أن يكون الخطأ في ذلك نادراً لا كثيراً يؤذن بالبَلَهِ والغفلة .[٧]

ويحتج لهذا المذهب بأدلة ، منها :

أولا : حديث تأبير النخل . ففي صحيح مسلم عن رافع بن خديج ، أنه قال « قدم النبي ﷺ المدينة ، فإذا هم يأبِرون النخل ـ يقول : يلقّحون النخل ـ فقال : ما تصعنون ؟ قالوا : كنا نصنعه . قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا . فتركوه ، فنفضت ، فذكروا ذلك له ، فقال : إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » .

وفي رواية طلحة ، قال ﷺ « ما أظنّ ذلك يغني شيئا » فأُخبِروا بذلك ، فتركوه . فأُخبِر رسول الله ﷺ بذلك . فقال : « إن كان ينفعهم ذلك فيصنعوه ، فإني إنما ظننت ظنا ، فلا تؤاخذوني بالظنّ ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله » .

وفي رواية عائشة وأنس : « أن النبي ﷺ مرّ بقوم يلقحون ، فقال : لو لم يفعلوا لصلح . قال : فخرج شِيصاً ، فمرّ بهم فقال : ما لنخلكم ؟ قالوا : قلت كذا وكذا . قال : « أنتم أعلم بدنياكم »[٨] .

وشبيه به حديث ابن عباس في قصة الخرص[٩] ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ « إنما أنا بشر ، فما حدثتكم عن الله فهو حق ، وما قلت فيه من قِبَل نفسي فإنما أنا بشرٌ أخطيء وأصيب » .

وقد رُدَّ الإستدلال بهذا الحديث بأن المراد : أنتم أعلم بدنياكم من أمر دينكم[١٠] . ويكون توبيخا لهم . وسياق الحديث على اختلاف رواياته يأبى هذا التأويل ويبطله .

ثانيا : حديث أم سلمة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال[١١] : « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليّ . ولعلّ بعضكم أن يكون ألْحَنَ بحجّتهِ من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه ، فإنما أقطع له قطعة من النار » .

وفي رواية الزهري للحديث المذكور[١٢] « إنما أنا بشر ، وإنه يأتيني الخصم . فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسِبُ أنه صادق ، فأقضي له بذلك » .

رأينا في ذلك :

نختار المذهب القائل بأن أقوال النبيّ ﷺ وأفعاله الدنيوية ليست تشريعا ، وذلك لأجل الأدلة الآتية :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحىٰ إليّ** ﴾ وقوله ﴿ **قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا** ﴾ وقد تكرر التأكيد في الكتاب على بشرية الرسول ﷺ وأنه لا يعلم الغيب وأنه ليس ملكاً ، ومن المعلوم أنه لما نبّأه الله عزوجل ، لم يمنعه من تصرفاته البشرية كما يتصرف غيره من الناس على غالب الظنون والتقادير التي تخطيء وتصيب ، ولا تعهّد له بأن يمنعه من الخطأ في ذلك . وهذا بخلاف أمور الشريعة ، فإن كلامه فيها لا يستقر فيه خطأ ، كما هو ثابت في علم أصول الفقه . فالأصل استمرار حاله في أمور الدنيا كما كان قبل النبوة ، لمّا لم يدل على انتقاله عن ذلك دليل . وقد أكدت السنة النبوية ما بيّنه القرآن من ذلك . كما يأتي .

٢ ــ قوله ﷺ « إنما أنا بشر ، فإذا أمرتكم بأمر دينكم فاقبلوه ، وإذا أمرتكم بشيء من دنياكم فإنما أنا بشر » وفي رواية : « أنتم أعلم بدنياكم » وقد تقدّم هذا الحديث .

وبهذا الحديث ، برواياته المختلفة ، يؤصّل النبي ﷺ أصلا عظيما في الشريعة ، ويبيّنه لنا ، ويشعرنا بأن بعض أفراد الأمة قد يكونون أحيانا أعلم منه ﷺ بما يتقنونه من أمور الدنيا ، والمقصود أهل الخبرة في كلّ فن وصناعة ، وأنه لا داعي شرعا لالتفاتهم إلى ما يصدر عنه ﷺ من ذلك إلا كما يلتفتون إلى قول غيره من الناس .

٣ ــ ما ذكر ابن إسحق في سيرته[٢٣] في سياق غزوة بدر ، قال : حُدِّثت عن رجال من بني سلمة ، أنهم ذكروا أن الحُباب بن المنذر ، قال : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكَهُ الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نغوِّر ما وراءه من القُلُب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشربُ ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي .

٤ ــ ما ورد في الحديث أن نفراً دخلوا على زيد بن ثابت ، فقالوا له : حدِّثنا أحاديث رسول الله ﷺ . قال : كنت جاره ، فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليَّ فكتبته له . فكان إذا ذكْرنا الدنيا ذكَرَها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذَكَرها الطعام ذكره معنا ، فكلَّ هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ !؟[١٤]

٥ ــ ما ورد عن هشام بن عروة ، أن عروة بن الزبير كان يقول لعائشة[١٥] « يا أماه ، لا أَعْجَبُ من فهمِكِ ، أقول : زوجةُ رسول الله ﷺ وبنتُ أبي بكر . ولا أعجب من علمِكِ بالشعر وأيام الناس ، أقول : ابنة أبي بكر ، وكان أعلم الناس ، أو من أعلم الناس . ولكن أعجب من علمك بالطبّ ، كيف هو ومن أين هو ؟ » قال : فضربتْ على منكبه ، وقالت : « أي عُرَيَّة ! إن رسول الله ﷺ كان يَسْقَمُ عند آخر عمره ، أو في آخر عمره . فكانت تَقْدَم عليه وفودُ العرب من كل وجه ، فَيَنْعتُونَ له الأنعاتَ ، وكنت أعالجها له » .

وممن صرح بهذه القاعدة بصفتها العامة ، من الأصوليين القدامى القاضي عبد الجبار .[١٦]

وصرح به حديثاً الشيخ وليّ الله الدهلوي[١٧] ، والشيخ محمد أبو زهرة[١٨] ، والشيخ عبد الوهاب خلاف ، والشيخ عبدالجليل عيسى[١٩] ، والشيخ فتحي عثمان .[٢٠]

أما من حيث التفصيل فقد قال ابن خلدون : « الطبّ المنقول في الشرعيّات من هذا القبيل (يعني طبّ البادية المبني على تجارب قاصرة) وليس من الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عاديا للعرب ، ووقع في ذكر أحوال النبي ﷺ من نوع ذكر أحواله التي هي عادة وجبلة ، لا من جهة أن ذلك مشروع على ذلك النحو من العمل ، فإنه ﷺ إنما بعث ليعلِّمنا الشرائع ، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديّات . وقد وقع له في شأن تلقيح النخل ما وقع . فقال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » . قال : « فلا ينبغي أن يحمل شيء من الطب الذي وقع في الأحاديث المنقولة على أنه مشروع ، فليس هناك ما يدل عليه ، اللهمّ إلا إذا استُعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني ، فيكون له أثر عظيم النفع ، وليس ذلك في الطب المزاجي » . اهـ[٢٢]

وقال القاضي عياض في الشفاء :[٢٣] (فصل) فأما أحواله في أمور الدنيا فنحن نسير بها على أسلوبنا المتقدم بالاعتقاد والقول والفعل . فأما العقد بها [يعني اعتقادها] فقد يعتقد في أمور الدنيا الشيءَ على وجهٍ ويظهَرُ خلافه ، أو يكون منه على شك أو ظن ، بخلاف أمور الشرع .

ثم ذكر القاضي عياض حديث تأبير النخل ، وحديث الخرص ، ثم قال : وهذا على ما قررناه فيما قاله من قِبَلِ نفسه في أمور الدنيا وظنِّه من أحوالها ، لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرعٍ شرعه وسنةٍ سنَّها . ثم ذكر القاضي عياض حديث ابن إسحاق في قصة غزوة بدر ، وما أشار به الحباب بن المنذر على النبي ﷺ ، وأنه قال : « أشرت بالرأي » وفَعَل ما قاله . وقد قال الله تعالى له ﷺ ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ ، وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث ثمار المدينة ، فاستشار الأنصار ، فلما أخبروه برأيهم رجع عنه . قال القاضي عياض : فمثل هذا وأشباهُهُ من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانةٍ ولا اعتقادها ولا تعليمِها يجوز عليه فيها ما ذكرناه ، إذ ليس في هذا كله نقيصةٌ ولا مَحَطّة ، وإنما هي أمور اعتيادية يعرِفُها من جرَّبَها وجعَلَها همَّه وشَغَل نفسه بها ، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الرّبوبية ، ملآن

الجوانح بعلوم الشريعة ، مقيّد البال بمصالح الأمة الدينية والدّنيوية . ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النّادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة . انتهى كلام القاضي عياض .

وقال شاه ولي الله الدهلويّ :

« باب بيان أقسام علوم النبي ﷺ : اعلم أن ما روي عن النبي ﷺ ودُوِّن في كتب الحديث على قسمين : أحدهما ما سبيله سبيل تبليغ الرسالة ، وفيه قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ فمنه علوم المعاد ، وعجائب الملكوت ، ومنه شرائع وضبطٌ للعبادات والارتفاقات الخ .

والقسم الثاني : ما ليس من باب تبليغ الرسالة ، وفيه قوله ﷺ « إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » وقوله ﷺ في قصة تأبير النخل « إني إنما ظننت ظنًّا ولا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإني لم أكذب على الله » قال : فمنه الطبّ ، ومنه باب قوله ﷺ : « عليكم بالأدهم الأقرح » ومستنده التجربة ، ومنه ما فعله ﷺ على سبيل العادة دون العبادة . . . وقول زيد بن ثابت حيث دخل عليه نفر ، فقالوا له : حدثنا أحاديث رسول الله ﷺ . قال : كنت جاره . فكان إذا نزل عليه الوحي بعث إليّ ، فكتبته له ، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ ؟!(٢٦)

وقال الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « تاريخ المذاهب الإسلامية » في شأن حديث تأبير النخل « الحديث يتعلق بالصناعات وفنون الزراعة ، وتثمير الأشجار ، فهل يتصور أن النبي يمكن أن يكون حجة وذا خبرة في فنون الزراعة والتجارة ، وصناعة الزجاج والجلود ، ونسج الأقطان والحرير ، وغير ذلك مما يتعلق بالمهن المختلفة !؟ إن كانوا يتصورون ذلك ، فقد خلطوا خلطا كبيرا ، ولن يميِّزوا بين رسول جاء بشرع من السماء ، وصانع ذي خبرة فنية ، وتاجر عالم بالأسواق .

إن الحديث وارد في مثل موضوعه ، وهو تأبير النخل وغيره من الصناعات والزراعات ونحوها ، فما كان الرسول مبعوثا لمثل هذا ، والتشريع فوق هذا ، وهو الذي جاء به النبي ﷺ » ا هـ كلام الشيخ أبي زهرة .

والأمور الدنيوية التي هذا سبيلها ، ووردت فيها أحاديث نبوية ، هي على ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

الأمور الغائبة عنه ﷺ مما شأنه أن يعرفه من رآه أو سمع به ، ولا يعرفه الإنسان المعتاد بمجرّد الفكر ، كمعرفة ما في بيت مغلق ، أو معرفة ما يجري في مكان بعيد من أرض الله . فهذا من علم الغيب ، لا يعلمه إلا الله ، لقوله : ﴿ **قل يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ وقوله ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ فلا يعلم النبي ﷺ مثل ذلك إلا بطرق المعرفة المعتادة ، ما لم يخبرنا أن الله أطلعه عليه ، أو أوحى إليه به . كما ورد أن ناقة نبيّ الله ﷺ ضلّت ، فخرج بعض أصحابه يبحثون عنها . فقال بعض المنافقين : يزعم محمدٌ أنه نبيّ ولا يدري أين ناقته ؟! فلما

علم بذلك النبي ﷺ قال : « إني والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وإن الله قد دلّني عليها . وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حسبتها شجرة بزمامها » فذهبوا فأتوا بها .[٢٧]

النوع الثاني :

أمور البشر وأسرارهم ، وما في قلوبهم ، وما عملوا في حال غيبتهم ، فلا يعلم النبي ﷺ ذلك بغير إطلاع خاص من الله تعالى ، كما أطلعه على حال بعض المنافقين . ثم قد يعتقد الشيء من ذلك الذي لم يوح إليه به على غير ما هو عليه . قال القاضي عياض : أما ما يعتقده في أمور البشر الجارية على يديه وقضاياهم ، ومعرفة المحق من المبطل ، وعلم المصلح من المفسد ، فكذلك ، لقوله ﷺ « إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إليّ ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا ، فإنما أقطع له قطعة من النار » وفي رواية الزهري عن عروة : « فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صادق ، فأقضي له » وكان يُجْري أحكامه ﷺ على الظاهر وموجَبِ غلبة الظنّ ، بالشاهدين ، أو يمين الحالف ، أو مراعاة الأشبه ، أو معرفة القرائن . ولو شاء الله لأطلعه على سرائر عباده ومخبّآت ضمائر أمته ، ولكنّه غيّب عنه ذلك .[٢٨]

النوع الثالث :

ما يدخل من أمور الدنيا ضمن ما يسمى العلوم البحتة والعلوم التطبيقية ، وهي ما يفعله الإنسان بقصد تحصيل نفع في البدن أو المال ، له أو لغيره ، أو دفع ضرر كذلك ، أو يدبّر تدبيرا في شأنه خاصة ، أو شؤون المسلمين عامة ، لغرض التوصل إلى جلب نفع أو دفع ضرر .

ويشمل هذا النوع الأضرب التالية :

الضرب الأول : الأمور الطبّيّة ، وهي ما يُجريه على بدنه خاصة ، أو أبدان غيره من الناس بقصد دفع مرض حاضر أو متوقع .

فقد تناول النبي ﷺ ، أو أعطى غيره ، أو وصف له ، أطعمةً وأشربةً متنوعةً على سبيل حفظ الصحة ، أو لدرء أمراض معينة ، كألبان الإبل وأبوالها .[٢٩]

وكذلك تعاطى أو أعطى أنواعا مختلفة من العلاج ، فقد احتجم واستعط ،[٣٠] وكانت حجامته في وسط رأسه ،[٣١] وكانت حجامته من شقيقةٍ كانت به .[٣٢] ولما اشتد به وجعه أهريق عليه من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ،[٣٣] ولما جرح بأُحُدٍ أُلْصِقَ على جرحه رماد حصير ليرقأ الدم[٣٤] . وداوى بريقه مع تراب .[٣٥] ورفض أدوية معينة كاللّدود .[٣٦]

الضرب الثاني : شؤون الزراعة ، بأن يزرع الإنسان أنواعا معينة من النبات ، أو يزرع بطريقة ما ، أو يسقي المزروعات كذلك ، أو يفعل بالنبات شيئا بقصد تكثير إنتاجه أو تحسينه أو نحو ذلك .

وشبيه بها ما يفعل بالحيوان بقصد تكثير إنتاجه وتحسينه ، كإطعامه أعلافا معينة ، أو المزاوجة بين سلالات منه مختلفة بقصد الحصول على نسل أجود .

الضرب الثالث : الصناعة ، بأن يصنع الإنسان بمادّةٍ شيئا ما بقصد تحويلها إلى شكل ذي أوصاف مخالفة لشكلها الأول ، لتكون أنفع ، أو يحلل مادة ما إلى حالات أبسط ، أو يركِّب مادة مع مادة بقصد الحصول منهما على مادة جديدة ، هي أنفع من الأصل .

الضرب الرابع : التجارة ، بأن يعمل في البيع والشراء ، في أشياء معينة ، في ظروف معينة ، بقصد تحصيل مكسب عن فروق الأسعار .

الضرب الخامس : أنواع أخرى من المكاسب كرعي الغنم ، أو العمل للغير بأجر .

الضرب السادس : مثل التدابير الفنّية التي اتخذها ﷺ في الحرب ، من استعمال المجانيق والسيوف والرماح والسهام ، وتربية الخيل للقتال ، وحفر الخنادق ، وترتيب الجيوش وتدريبها .

الضرب السابع : مثل التدابير التي اتخذها ﷺ في الإدارة المدنية ، من اتخاذ الولاة والكتاب والحراس والحجّاب والسفراء ، وكذلك الأعلام والشعارات ، والمرافق من الطرق والحصون وغيرها .[٣٧]

فهذه الأضرب وأمثالها قد وقع من ا لنبي ﷺ الكثير من أفرادها ونقل إلينا أشياء من ذلك .
والنظر في الأحكام التي يمكن أن تدل عليها مثل تلك الأحاديث من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أصل الطب والزراعة والصناعة والتجارة والقصد إلى تحصيل المكاسب ، والسعي لتحقيق التدابير المدنية والعسكرية المناسبة ، ونحو ذلك : تعتبر أقواله ﷺ في ذلك حجة يجب اعتقادها واتباعها ، ويستفاد من الأحاديث القولية والفعلية في ذلك إباحته ، وأنه لا يخالف العقيدة ولا الشريعة . وقد يرتقي إلى درجة الاستحباب أو الوجوب ، بحسب الأحوال الداعية إليه ودلالة نُطْقِهِ في ذلك .

وفي الحديث إشارة إلى ذلك حيث قال ﷺ[٣٨] : « ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » فهذا في الصناعة ، وقال : « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين يوم القيامة » فهذا في التجارة ، وورد في الزراعة وغيرها أحاديث أخرى ، وتأتي الأحاديث التي تأمر بالتطبيب والعلاج .

الوجه الثاني : إرشادات وتوجيهات شرعية في ممارسة تلك الأعمال ، كتجنب البول وقضاء الحاجة تحت الشجر المثمر ، ووجوب إحسان الذبح ، وتحديد الشفرة ، لئلا يتعذب الحيوان المذبوح ، وإمكانية استعمال المنجنيق في الحرب ، وتجنب قتل النساء والأطفال فيها ، ونحو ذلك ، فهذا شرع يؤخذ كما يؤخذ غيره من الشرع في العبادات ونحوها .

الوجه الثالث : الأمر الذي عمله بخصوصه ، هو مباح له ، وقد يكون مستحبا له ، أو واجبا عليه ، لاعتقاده

ﷺ أنه هو المؤدي إلى غرض مستحب أو واجب . ولكن هل يكون حكم مثله بالنسبة إلينا كذلك ؟ كما لو شرب دواء معينا لعلاج مرض معين ، فهل يستحب لنا شرب ذلك الدواء لذلك المرض مثلا ، أو يجب ، بل هل يباح بناء على ذلك أم لا ؟

هذا ينبني على القاعدة التي سبق تحريرها ، وقد رجحنا فيها قول من قال من العلماء إن أقواله ﷺ وأفعاله في ذلك الباب ليست حجّة ، ولا يلزم الأخذ بها ، بل هي أقوال وأفعال مبنية في الأصل على التجارب الشخصية للنبي ﷺ من حيث هو بشر ، وما قد سمع به من أهل التجربة والمعرفة ، وكثيرا ما تكون تلك المعرفة والتجربة صحيحة ، ولكن احتمال الخطأ قائم ، كما قال ﷺ « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب » .

وأحب أن أنبّه هنا إلى أنه إذا نصّ القرآن على أمرٍ دنيوي فهو حقٌّ لا مرية فيه ، لأنه من الله تعالى الذي لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض .

فإذا كان الحديث النبوي في الشؤون الدنيوية استجابةً لإرشادات القرآن التي تتعلق بذلك الأمر ، فيكون الفعل بياناً أو امتثالاً للقرآن ، ويحمل على الشرعيّ . ولعل خير مثال على ذلك شربه ﷺ العسل للتداوي ، فإن ذلك تطبيق لقوله تعالى : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ .

وشبيه بذلك ما أخبَرَ ﷺ أنه فعله عن وحي من الله تعالى .

وأُنبِّه إلى أمر آخر وهو أنه إذا تردد الفعل بين أن يكون دنيويا أو دينيًّا ، حُمِل على الدينيّ ، لأنه الأكثر من أفعاله ﷺ . والله أعلم .

الفصل الثاني
في الأحاديث الواردة في شأن الطب والعلاج

بعد تأصيل القواعد العامة التي ذكرت في الفصل الأول ، والتي تصدق على جميع الأحاديث النبوية المتعلقة بالشؤون الدنيوية المختلفة ، نخص بالكلام الأحاديث الواردة في الشؤون الطبية بالذات ، بتطبيق القواعد السابقة عليها :

فنقول : إن الأحاديث المذكورة نوعان رئيسيان : **أولهما** : ما يعتبر شرعا يتّبع ، ويعمل به ، كسائر الأحاديث الواردة عنه ﷺ في شؤون الاعتقادات والعبادات والمعاملات والأحكام المختلفة التكليفية والوضعية . **والثاني** : مالا يعتبر شرعا ، ولا يلزم العمل به ، وسبيله سبيل الشؤون الدنيوية التي تقدم بيانها ، يعتبر قول النبي ﷺفيها كقول سائر الناس :

النوع الأول

وهو ما ورد من الأحاديث في الطب ويعتبر شرعا يتبع :
ويشمل فئات :

الفئة الأولى :

أ ــ ما كان من الأحاديث الواردة في حكم أصل العمل بالطب والمعالجات وتناول الأدوية .

فهذا النوع شرع يتّبع ، لأن الطبّ فعل من أفعال المكلفين ، والشرع جاء ليحكم أفعال المكلفين ببيان ما يوجبه الله منها وما يحرّمه ، أو يستحبه أو يكرهه ، أو يجيزه بلا تفضيل لفعله على تركه ولا عكسه ، وهي الأحكام التكليفية الخمسة : الواجب ، والمحرم ، والمستحب ، والمكروه ، والمباح ، ولا يخرج عنها أي فعل من أفعال المكلفين .

وقد وردت في أصل العمل بالطبّ أحاديث منها :
حديث الأمر بالتداوي ، وأن الله تعالى ما أنزل داء إلا أنزل له دواء ، غير داء واحد ، اختلفت الأحاديث في تعيينه ، ففي بعضها : هو الهرم ، وفي بعضها : هو الموت . فمن ذلك حديث أسامة بن شريك أن رسول الله ﷺ قال : « يا عباد الله تداووا ، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء ، غير داء واحد : الهرم » . رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة .[٣٩]

وحديث أبي سعيد الخدري مرفوعا : « إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء ، عَلِمه من عَلِمه ، وجهله من جهله ، إلا السام ، وهو الموت » رواه الحاكم . وبمعناه من حيث الجملة روي من طريق أنس ، وأبي هريرة ، وأم الدرداء ، وابن مسعود ، وجابر .(٤٠) ورواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا مختصرا هكذا « ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء »(٤١) وفي صحيح مسلم من حديث جابر « لكل داء دواء ، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى » وفي الموطأ مرسلا « أن النبي ﷺ قال لرجلين : أيكما أطبّ ؟ قالا : يا رسول الله ، وفي الطب خير ؟ فقال : أنزل الداء الذي أنزل الدواء »(٤٢) .

قال ابن حجر : في هذه الأحاديث الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله ، وفيها الإشارة إلى أن بعض الأدوية لا يعلمها كل أحد ، وفيها إثبات الأسباب ، وأن العمل بالطب لا ينافي التوكل على الله ، لقوله « بإذن الله » والتداوي لا ينافي التوكل كما لا تنافيه سائر الأسباب ، كدفع الجوع والعطش بالأكل والشرب ، وكتجنب المهلكات ، وكالدعاء بطلب العافية ، ودفع المضار ، ونحو ذلك .

وقد أخرج ابن ماجه حديث أبي خزامة عن أبيه قال« قلت : يا رسول الله ، أرأيت رُقىً نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، هل يرد من قدر الله شيئا ؟ قال : هي من قدر الله » ا هـ(٤٣) .

ومثلها الأحاديث الواردة التي تفيد أن النبي ﷺ كان إذا مرض يتداوى ، وربما سأل الأطباء عن دواء مرضه ، وكانت وفود العرب تصف له الأدوية ، فكانت عائشة رضي الله عنها تعالج له تلك الأدوية أي تمزجها وتهيئها ، ومن ثم كان لها علم بالطب . وكان إذا مرض غيرُه وصف له دواء ، وربما أرشده إلى طبيب ليداويه ، كما يعلم من سائر الأحاديث الواردة في هذا البحث .

فكل ذلك يشير إلى أن الطب من حيث الأصل مشروع ، والتداوي مطلوب شرعا ، فليس هو حراماً ، ولا يخالف عقيدة الإسلام ولا شريعته . وذلك واضح من القواعد الشرعية العامة أيضا ، فإن الشريعة تأمر بالسعي في أسباب المصالح ، ودرء المفاسد ، وتوقي الأضرار والمهلكات .

لكن هل التداوي في حيز الواجبات ، أو حكم المستحبات ، أو حكم المباحات ؟

حكم التداوي :

اختلف العلماء في حكم التداوي لمن به مرض :

فذهب الشافعية إلى أنه سنة ، واحتجوا بالحديث المتقدم « ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء » وقالوا : قد فعله النبي ﷺ .

قالوا : ولا نقول بوجوبه ، لأنه لا يقطع بنفعه ، أي بخلاف الطعام والشراب لمن هو في مخمصة وخشي الهلاك ، فإنه يجب عليه تناوله لأنه مقطوع بنفعه .

لكن قال الأسنوي من الشافعية : يحرك ترك التداوي في جرح يظن فيه التلف ونحو ذلك .[٤٤] أي لأنه لو كان جرحا بالغا وتركه ينزف لمات منه ، وَرَبْطُ الجرح حينئذ نافع يقينا أو شبه اليقين . وقد داوى النبي ﷺ جرحه يوم أحد . غير أن بعض الفقهاء ، منهم النووي في شرح المهذب ، ادّعوا أن ترك التداوي توكّلاً أفضل . وقال بعضهم : التداوي لضعيف التوكّل ، وترك التداوي لقويّ التوكل أفضل .[٤٥]

وهذا لا يستقيم مع ما عُلِمَ قطعاً أن النبي ﷺ تداوى مرات كثيرة ، وأنه كانت وفود العرب ترد عليه ، وتَنْعَتُ له الأدوية ، فتصنِّعها له عائشة ، كما تقدمت الرواية بذلك ، وهو أقوى المتوكلين بلا شك . وقد قدّمتُ قول ابن حجر إنه لا منافاة أصلا بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل .

ولم يرد في القرآن فيما نعلم ما يفيد المنافاة المذكورة .

وورد في السنة في باب الطب حديثان ظاهرهما يفيد ذلك :

أولهما : حديث عمران بن حصين عند أحمد والبخاري ومسلم ، وفيه أن النبي ﷺ ذكر سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، ثم قال : « هم الذين لا يسترقون ولا يتطيّرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون » .

فهذا ظاهِرُهُ أنهم تركوا التداوي بالكيّ توكّلاً على الله .

ولكن يحتمل أن صفة التوكل في الحديث ليست متعلقة بالأمور الثلاثة ، وهي ترك الاسترقاء والتطيّر والاكتواء ، بل هي أمر رابع مستقل مضاف إلى الثلاثة ، فلا تنافيَ أصلاً .

ويحتمل ـ وهو الأوجَهُ ـ أنه لما كان الكيّ منهيّاً عنه ، لما فيه من التعذيب بالنار ، فقد أُمِرنا بتركه والبحث عما سواه من أنواع المداواة ، مع التوكل على الله في أن ييسر دواء آخر . قال ابن قتيبة : الكيّ نوعان : كيّ الصحيح لئلا يعتلّ ، فهذا الذي قيل فيه « لم يتوكل من اكتوى » والثاني كيّ الجرح إذا نغل أي فسد ، والعضو اذا قطع ، فهو الذي يشرع التداوي له . فإن كان الكي لأمر محتمل فهو خلاف الأولى ، لما فيه من التعذيب بالنار لأمر غير محقق . ا هـ .[٤٦]

وثانيهما : حديث في الكيّ أيضا ، وهو ما رواه المغيرة أن رسول الله ﷺ قال : « من استرقى أو اكتوى برىء من التوكل » رواه أحمد والترمذي .[٤٧] والقول فيه شبيه بما تقدم .

ونقل ابن حجر في موضع آخر ، بعض كلام من أوغل في هذا الباب ، وادّعى أن خواصّ الأولياء الذين اشتد توكلهم لا يضرهم ترك الأسباب . وأن مَنْ تَرَكَ الأسباب وفوّض وأخلص في ذلك كان أرفع مقاما ، أي ممن باشرها ، وأن الذي يستحق اسم التوكل هو من لم يخالط قلبه شيء ، حتى من السَّبُع الضاري ، والعدو ، ومن لم يسع في طلب رزق ، ولا مداواة ألم .[٤٨]

وعندي أن هذا من أعظم الانتكاسات التي طرأت على العقلية الإسلامية بتأثير ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام ، والتي أدت إلى التواكل ، والإنصراف عن الأخذ بأسباب الصحة والقوة والتقدم والنصر ، اعتمادا على وضع

فكرة التوكل في غير موضعها . وأصبح ذلك في الأمة الإسلامية مرضا مزمنا عزّ علاجه ، وأيس منه الأطباء ، إلا من شاء الله له أن يستمسك بالكتاب والسنة الصحيحة ، عالما أن الحق كل الحق فيما ورد فيهما بعد أن يفهما حق الفهم ، والله المستعان .

وقد سأل رجلٌ الإمامَ أحمدَ قائلا : إنه يريد أن يخرج من العراق إلى مكة للحج بلا زاد ، توكلاً على الله . فقال الإمام أحمد للسائل : أخرُجْ مع غير القافلة . قال : لا أستطيع . فقال : إنك لم تتوكل على الله ، ولكن توكلت على أزواد الناس .(٤٩)

ولذا قال ابن حجر رحمه الله « الحق أن من وثق بالله ، وأيقن أن قضاءه عليه ماضٍ ، لم يقدح في توكله تعاطي الأسباب اتباعا لسنته وسنة رسوله ، فقد ظاهَرَ ﷺ بين درعين ، ولبس على رأسه المغفر ، وأقعد الرماة على فم الشعب ، وخندَقَ حول المدينة ، وأذن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة ، وهاجر هو ، وتعاطى أسباب الأكل والشرب ، وأدَّخر لأهله قوت سنتهم ، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء ، وهو كان أحقَّ الخلق أن يحصل له ذلك . وقال للذي سأله : « أَعقِلُ ناقتي أو أَدَعُها ؟ » قال « اعقِلْهَا وتَوَكَّلْ » فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل . اهـ كلام ابن حجر .

وأنا ألتمس من كل من يذهب هذا المذهب المردود المرفوض ، أن يدلني ولو على واقعة واحدة ترك فيها النبي ﷺ الأخذ بسبب معتاد ، وهو يقدر عليه ، في أمر يحتاج إليه ، فترك الأخذ بالسبب توكلاً على الله . بل كان ﷺ يأخذ بالأسباب التي يقدر عليها ويتوكل على الله .

وقد قال ابن القيم في ذلك كلمة عظيمة لمن يعقلون شرع الله ، قال : «التداوي لا ينافي التوكل ، كما لا ينافيه دفع داء الجوع والعطش والحرّ والبرد بأضدادها ، **بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضياتٍ لمسبَّباتها قَدَراً وشَرْعاً ، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل ، كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه ، من حيث يظنّ معطلها أن تركها أقوى في التوكل** ، الذي حقيقته : اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه ، ودفع ما يضره فيهما ، **ولابد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب ، فلا يجعل العبد عجزه توكلا ، ولا توكله عجزا** » اهـ .(٤٩م)

ب ــ ومنها حديث أبي رِمْثَةَ أن النبي ﷺ قال لطبيب « الله الطبيب ، بل أنت رفيق ، طبيبها الذي خلقها » رواه أبو داود .(٥٠)

هذا الحديث إقرار للعمل بالطب . وفيه التنبيه إلى قوى البرء المركبة في البدن الإنساني في أصل خلقته ، وأن مهمة الطبيب الرفق بالمريض لإتاحة الفرصة لهذه القوى كي تعمل عملها .

وشبيه بهذا قول النبي ﷺ في رقية المريض ، كما في صحيح البخاري ، عن عائشة « اللهم اشفِ ، وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك »(٥١) فبيّن أن حقيقة الشفاء هي بيد الله تعالى وحده .

الفئة الثانية :

أحاديث فيها توجيهات شرعية متعلقة بعملية التداوي وشؤون المرضى :

أ ــ من ذلك حديث البخاري عن الصحابيّة ربيّع بنت معوّذ ، قالت « كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ، ونخدمهم ، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » وفي رواية « ونداوى الجرحى » .

ففيه جواز مداواة المرأة للجرحى من الرجال . قال ابن حجر : يجوز عند الضرورة ، وتقدّر بقدرها فيما يتعلق بالنظر والجس باليد وغير ذلك .(٥٢)

وهذا الذي قاله عندي فيه نظر ، فليس في الحديث إشارة إلى أي ضرورة ، بل هي الحاجة إلى العلاج ، والحاجة أخف من الضرورة . وقد كان يمكن تفريغ بعض الرجال لذلك العمل ، لو كان في الأصل محرّما .

وأيضا ما ورد أن رفيدة الأسلمية كان لها خيمة بالمسجد تداوي فيها الجرحى ، ينفي وجوب الاقتصار على قدر الضرورة .

ب ــ ومنها أحاديث الأمر بعيادة المريض ، وأن النبي ﷺ كان يعودهم ، حتى « إن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي ﷺ ، فمرض ، فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال : أسلم . فأسلم »(٥٣) وكان إذا عاد المريض ربما وضع يده على جبهته ، ومسح على صدره وبطنه ، ودعا له . نقل البخاري أنه ﷺ فعل ذلك عندما زار سعداً .(٥٤) وربما رقَى المريض . ففي صحيح البخاري من حديث عائشة : « أن النبي ﷺ كان إذا أتى مريضا ، أو أتي إليه به قال : «أذهب البأس ربّ الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما »(٥٥)

جـ ــ ومنها حديث النهي عن التداوي بالمحرّمات :

كحديث أنه ﷺ سئل عن الخمر يتداوى بها فقال : « إنها ليست بدواء ولكنها داء » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي

وكحديث : « أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » رواه عبد الرزاق والطبراني مرفوعا . ورواه الحاكم عن ابن مسعود موقوفا .(٥٦)

وكحديث « إن الله جعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداوا بحرام »

فهذه الأحاديث هي من قبيل الشرع ، لأنه ﷺ ناط الحكم بمعنى شرعي ، وهو التحريم ، فما كان من المواد محرّما لم يجز التداوي به .

ولا يعني هذا أنه لا يجوز استعماله عند الضرورة ، مع عدم وجود دواء آخر غير الدواء المحرم ، بل إن الضرورة تبيح المحظور ، فيعود حلالا لذلك المضطر ، لقوله تعالى : ﴿ **وقد فصّل لكم ما حرَّمَ عليكم إلا ما اضطررتم إليه** ﴾ فإذا عاد حلالا لم يكن داخلا في قوله ﴿ **إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم** ﴾

ومن هذا القبيل التداوي بالنجاسات .

وفي كل من النوعين خلاف يعرف بالرجوع إلى كتب الفقه .(٥٦)

د ــ ومنها : حديث أم سلمة عند البخاري « أن امرأة توفي زوجها، فاشتكتْ عيْنَها، فذكروها للنبي ﷺ ، وذكروا له الكحل وأنه يخاف على عينها »[٥٧] في الحديث أنه نهاها عن ذلك ، أي لأن المعتدة لا يحل لها شرعا أن تتزين بكحل أو غيره .

أما إن كان النهي عن الدواء لا لعلة شرعية ، بل لكونه ﷺ قَدَّرَ فيه ضررا بمقتضى تجربته وخبرته الدنيوية فلا يكون من هذا الباب ، بل يكون من النوع الثاني ، وهو ما لا يكون شرعا يتبع . فمنها النهي عن الغَيْل ، وهو رضاع الحامل ، ومنها النهي عن علاج العُذْرة بالعِلاَقِ كما يأتي في النوع الثاني .

الفئة الثالثة :

أحاديث أبطلت أنواعا من المعالجات، كانت سائدة في الجاهلية، تنافي صحة الاعتقاد الإيماني ، لأنها ليست أسبابا حقيقية للشفاء :

أ ــ من ذلك ما ورد أن النبي ﷺ « دخل عليه رجل وفي يده حلقة من صُفر . فقال ما هذا ؟ فقال : من الواهنة . فقال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، وأنت لو متّ وأنت ترى (أي تعتقد) أنها تنفعك لمتَّ على غير الفطرة » رواه أحمد والطبراني من حديث عمران بن حصين . ورواه الطبري .[٥٨]

(الواهنة ريح تأخذ في المنكبين عند الكِبَر . وقيل مرض يأخذ في عضد الرجل . كذا في لسان العرب) .

ب ــ ومنها « أن عبدالله بن عكيم الجهني الصحابي رضي الله عنه خرج به خراج ، فقيل له : ألا تعلّق عليه خرزا ؟ فقال : لو علمت أن نفسي تكون فيه ما علّقته . ثم قال : إن نبي الله ﷺ نهانا عنه » رواه ابن جرير وصححه .[٥٩]

جـ ــ ومنها قوله « إن الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة شرك » رواه أحمد وأبو داود والحاكم من حديث ابن مسعود . ومثله حديث : « من علّق تميمة فقد أشرك »[٦٠] والمراد بالرقى الرقى المجهولة، وما كانت الاستعاذة فيها بغير الله تعالى ، بخلاف الرقية بالفاتحة والمعوذتين والأدعية المشروعة . والمراد بالتمائم الأحجبة التي تعلق على الأطفال والبيوت والسيارات ونحو ذلك، يزعم الجهلة أنها ترد العين، أو تمنع المرض والحوادث. والتِّوَلَةُ شيء كانوا يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها .

الفئة الرابعة :

أحاديث أمرت بأدوية ومعالجات ربطتها بأحكام تعبدية وشعائر دينية .

أ ــ من ذلك حديث أحمد والنسائي عن عائشة مرفوعا : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرّب »[٦١] وفي صحيحي البخاري أيضا « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة » .[٦٢]

ب ــ ومنها أحاديث الاسترقاء ، منها ما في صحيح البخاري من حديث عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعا ، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده . قالت عائشة

فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به »[٦٣] فسَّرته في رواية عند البخاري أيضا بأنها كانت تمسح جسد النبي ﷺ بيد نفسه بعد أن ينفث هوَ بها .

جـ ــ ومنها أحاديث الدعاء للمريض ، كقوله ﷺ « اللهم ربّ الناس ، مذهب الباس ، اشف وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما » .[٦٤]

د ــ ومنها حديث « داووا مرضاكم بالصدقة »[٥٦] .

الفئة الخامسة :

أحاديث مبنية على النص القرآني :

أ ــ فمن ذلك أحاديث التداوي بالعسل ، منها حديث البخاري عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ قال « إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لذعةٍ بنار توافق الداء . وما أحب أن أكتوي »[٦٦] .

وإنما قلنا إنها حجة لكونها أخذا بنص القرآن : ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾

ب ــ ومنها ما روى عمر بن الخطاب عند أحمد والترمذي والحاكم أن النبي ﷺ قال « كلوا الزّيت وادَّهِنُوا به ، فإنه من شجرة مباركة »[٦٨] فإنه ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ **وشجرةً تخرُجُ من طور سَيْنَاء تَنْبُتُ بالدُّهنِ وصِبغٍ للآكلين** ﴾[٦٩]

الفئة السادسة :

أحاديث فيها ذكر أدوية أو معالجات يخبر النبي ﷺ أنه علمها بطريق الوحي ، أو إخبار الملائكة ، أو أن الله يحبها ، أو يكرهها ، ونحو ذلك .

وإنما كان هذا النوع من الأدوية صحيحا ومشروعا لأنه منسوب إلى الله تعالى أو ملائكته . وقد تقدم قول النبي ﷺ في حديث تأبير النخل « ما حدثتكم عن الله فخذوا به ، وما حدثتكم من رأيي فإنما أنا بشر أخطىء وأصيب » فهذه الفئة منضمَّة إلى ما حدثنا به النبي ﷺ عن الله تعالى من سائر أمور الدين ، فلزمنا العمل به ، سواء كان نهيا ، فيمنع التداوي به ، أو أمرا فيكون دواء مقبولا .

أ ــ فمن ذلك أحاديث الأمر بالتداوي وأصل العمل بالطب كما تقدم في الفئة الأولى لأن فيه « أن الله ما أنزل من داء إلا أنزل له شفاء » فأسند ذلك إلى الله تعالى ، ومنها أحاديث النهي عن التداوي بالمحرمات كما تقدم في الفئة الثانية ، كما في رواية « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم » .

ب ــ ومنها حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والحاكم أن النبي ﷺ قال : « إن كان في شيء مما تتداوون به خير فالحجامة » في رواية ابن مسعود أنه قال : « ما مررت ليلة أُسْرِيَ بي بملأ من الملائكة إلا قالوا : يا محمد بشّر أمتك بالحجامة » رواها الترمذي . وروى مثلها أحمد والحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا .[٧٠] وأحاديث الأمر بالحجامة كثيرة ، ولكن ليس في شيء منها إسناد الخَبر عنها إلى الملائكة ، إلا رواية ابن مسعود ، فإن صحت رواية ابن مسعود ، وإلا تكون أحاديث الحجامة كلها من النوع الثاني ، وهو ما لا حجة فيه .

تنبيــه :

لابد لاعتبار الأحاديث التي من هذه الفئة الأخيرة حجة في باب الطب من أحد أمرين :

الأول : أن يكون الحديث على درجة عالية من الصحة ، لأن تطبيقه على الأجسام الإنسانية قد يكون فيه ضرر كبير ، فإن وقع الضرر فلا يكون للطبيب عذر أن يتبيّن كون العلاج مبنيا على حديث صحيحٍ ظاهراً لكنه في الحقيقة موهوم أو مكذوب .

ولذا أقترح أن لا يعتبر حجة من الناحية الطبية الصرفةِ حديثٌ ما لم يكن ثابتا على سبيل القطع ، وهو الحديث المتواتر ، أو على شبه القطع ، وهو ما ورد من طريقين على الأقل ، منفصلين ، من أول السند إلى آخره ، بحيث يعرف أنه لم ينفرد برواية الحديث راو واحد في أي طبقة من طبقات السند ، حتى ولو كان صحابيا ، لاحتمال الوهم والغلط ، مع اشتراط كون كلٍّ من الروايتين أو الروايات صحيحة لذاتها ، طبقا لما هو معمول به في علم مصطلح الحديث . وهذا الأمر إذا أريد تحقيقه يَطْرَحُ عبئا على المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، لتكليف بعض أهل الاختصاص العمل لذلك ، حتى يعرف من الأحاديث الطبية ما هو مقطوع به طبقا لما ذكرنا هنا .

الثاني : أن يخضع مضمون الحديث للتجارب الطبية تحت نظر الاختصاصيين . فإن ثبتت صلاحيتـه كفى ، وتكون التجارب هي الحجة في ذلك .

النــوع الثـاني
وهو ما لا حجة فيه من أحاديث الطب

وهو سائر الأحاديث النبوية الواردة في الطبّ والعلاج ، وليس فيها ما يشعر أنها من قبل الله تعالى ، أو أنها من قبيل الشرع .

وقد وضح من القواعد المذكورة في الفصل الأول أن هذا النوع من الأحاديث ليس من قبيل التشريع .

ونحن نذكر جملة من تلك الأحاديث على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر :

١ ــ فمنها حديث : « أصل كل داء البَرَدة » رواه ابن السني وأبو نعيم في « الطب » والدارقطني في « العلل » ، من حديث عليّ وأبي سعيد وأنس بن مالك .[٧١]

البردة : برودة المعدة .

٢ ــ ومنها حديث مقدام بن معدِ يكرب عند أحمد والترمذي مرفوعاً « ما ملأ آدميٌّ وعاء شرا من بطنه ، بحسْبِ ابن آدم لقيمات يُقِمْنَ صُلْبَه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه . »[٧٢]

ومنها حديث . . . . عند الإمام أحمد مرفوعا « كلوا الرمان بشحمه فإنه دباغ المعدة »[٧٣]

٣ ــ ومنها أحاديث الحجامة ، كما تقدم في الفئة السادسة من النوع الأول ، إن لم يصح الحديث بأن الملائكة أمروا النبي ﷺ بها .

فمنها قوله ﷺ « إذا إشتد الحرُّ فاستعينوا بالحجامة ، لا يَتَبَيَّغْ بأحدكم الدم فيقتله »[٧٤] رواه الحاكم من حديث أنس[٧٥] .

٤ ــ ومنها حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود مرفوعا « إن كان في شيء مما تتداوون به خير فالحجامة »[٧٦]

في أحاديث مختلفة جمعَها صاحب كنز العمال ، أن الحجامة تُذهِب الدم ، وتجلو البصر ، وتُخِفُّ الصلب ، وتنفع من وجع الرأس ، والأضراس ، والنعاس ، والبرص ، والجنون .

وروى عبد الرزاق من حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن يهودية قدمتْ للنبي ﷺ في خيبر طعاما مسموما ، فأكل منه ، وأكل منه بعض أصحابه . وفي القصّة أن الوحي أخبره بالسم ، فاحتجم النبي ﷺ ثلاثةً على الكاهل ، وأمر أصحابه أن يحتجموا ، فاحتجموا فمات بعضهم[٧٧] .

٥ ــ ومنها حديث ابن عباس عند الترمذي والحاكم ، وحديث ابن مسعود عند الترمذي وأبي نعيم في الطب « إن خير ما تداويتم به اللَّدود والسَّعوط والحجامة والمَشْي ، وخير ما اكتحلتم به الإثمِد ، فإنه يجلو البصر وينبت الشّعر »[٧٧م] .

اللّدود : هو الدواء الذي يسقاه المريض من أحد جانبي الفم .

والسَّعوط : الدواء الذي يُستنشَق ، أي من الأنف .

والمشي : الإسهال . والمراد أخذ المسهل .

٦ ــ ومنها حديث أنس عند مالك وأحمد مرفوعا « أمثَلُ ما تداويتم به الحجامة والقُسْط البحري »[٧٧م]

(القسط البحري : عود يجاء به من الهند ، يتبخَّر به النساء والأطفال . وقيل هو العود المعروف (كذا في لسان العرب) أي هو عود الطيب الهندي) .

٧ ــ ومثل هذا حديث آخر في العود ، وهو ما رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث أم قيس بنت مِحْصَنٍ أن النبي ﷺ قال : « عَلامَ تَدْغَرْنَ أولادكنّ بهذا العِلاق ؟ عليكنَّ بهذا العود الهندي ، فإن فيه سبعة أشفيةٍ من سبعة أدواء ، منها ذاتُ الجَنْبِ ، ويُسْعَط به من العُذْرة ، ويلدّ به من ذات الجنب »[٧٨] .

جاء في لسان العرب ، ومثله في فتح الباري (١٠ / ١٤٩) : العُذْرة وجع في الحلق يهيج من الدم . وقيل هي قرحة تخرج في الحزم الذي بين الحلق والأنف ، يعرض للصبيان عند طلوع العذرة (وهي نجم يطلع في أيام الحرّ) فتعمد المرأة إلى خِرقةٍ ، فتفتلها فتْلاً شديدا ، وتدخلها في أنف الصبي ، فتَطْعَنُ ذلك الموضع ، فينفجر منه دم أسود ربّما أقرحه . وذلك الطعن يسمى الدَّغْر . اهـ .

٨ ــ ومنها حديث عائشة مرفوعا ، عند أحمد « مكانَ الكيِّ التكميد ، ومكانَ العِلاق السَّعوط ، ومكانَ النفخ اللّدود » .[٧٨م]

٩ ــ ومنها حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم وأبي داود « من تصبَّح كل يوم بسبعِ تمراتِ عجوةٍ لم يضرّه في ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْر . »[٧٩]

وحديث عائشة مرفوعا عند مسلم « إن في عجوة العالية شفاء ، وإنها تِرياقٌ أوّلَ البُكْرة . »[٨٠]

(العالية القرى والحوائط التي بجوار المدينة المنوّرة من جهتها العليا من جهة نجد ، والسافلة ما كان من أسفلها من قبل البحر ، والترياق دواء السم) .

وحديث عائشة مرفوعا أيضا عند ابن عدي وأبي نعيم في « الطب » : « ينفع من الجذام أن تأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة كل يوم ، تفعل ذلك سبعة أيام »[٨١] .

١٠ ــ ومنها حديث سعد مرفوعاً عند أبي داود « إنك رجل مفؤود ، ائت الحارث ابن كلدة أخا ثقيف ، فإنه رجل يتطبَّب ، فليأخذ سبع تمراتٍ من عجوة المدينة ، فَلْيَجَأْهُنَّ بنواهن ، ثم لْيَلُدَّكَ بهنّ »[٨٢] .

١١ ــ ومنها حديث عائشة مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم « التلبينة مَجَمَّةٌ لفؤاد المريض ، تذهب ببعض الحزن » وحديثها المرفوع ، عند ابن ماجه والحاكم « عليكم بالبغيض النافع ، التلبينة ، فوالذي نفسي بيده إنه ليغسل بطن أحدكم كما يغسل أحدكم الوسخ عن وجهه بالماء »[٨٣] .

(التلبينة حساء من دقيق أو نخالة وربما جعل فيها عسل) .

١٢ ــ ومنها حديث ابن عباس مرفوعا ، عند أحمد والبخاري ومسلم « الحمّى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » وروي مثله عن إبن عمر وعائشة ورافع بن خديج وأسماء بنت أبي بكر .

١٣ ــ وحديث عائشة أنه ﷺ في مرض موته « صُبَّ عليه من سبعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوكِيَتُهُنّ . »[٨٤]

١٤ ــ ومنها حديث أبي هريرة مرفوعا عند أحمد والترمذي « العجوة من الجنّة ، وفيها شفاء من السّمّ ، والكمأة من المنّ ، وفيها شفاء للعين » وروىٰ مثله أبو سعيد وجابر مرفوعا عند أحمد والنسائي .[٨٥] وروىٰ نصفه الثاني البخاري ومسلم وأحمد والنسائي مرفوعا من حديث سعيد بن زيد .[٨٦]

١٥ ــ ومنها حديث أنس عند أحمد والحاكم « شفاء عرق النّسا ألية شاة أعرابية ، تذاب ، ثم تجزَّأ ثلاثة أجزاء ، ثم تُشْرَبُ على الريق كلَّ يوم جزءٌ »[٨٧] .

١٦ ــ وحديث طارق بن شهاب عند أحمد ، وابن مسعود عند الحاكم ، مرفوعا « عليكم بألبان البقر فإنها تَرُمُّ من كل الشجر ، وهو شفاء من كل داء » وفي رواية الطبراني في الكبير « عليكم بألبان البقر فإنها دواء ، وأسمانها شفاء ، وإياكم ولحومها فإنها داء »[٨٨] .

١٧ ــ وحديث أبي هريرة مرفوعا عند أحمد والبخاري ومسلم ، ومثله عند أحمد عن عائشة ، وعند ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا « في الحبّة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » والسام الموت .[٨٩]

١٨ ــ ومنها حديث أنس عند النسائي مرفوعا ، ونحوه عند أحمد والترمذي والحاكم عن أسماء بنت عميس مرفوعا « ثلاث فيهنّ شفاء من كل داء إلا السام : السَّنا والسَّنوت »[٩٠]

١٩ ــ وحديث طلحة عند الطبراني والحاكم والضياء مرفوعاً : « أتيت النبي ﷺ وبيده السفرجل ، فقال : دونكها يا أبا محمد ، فإنها تشد القلب ، وتطيّب النفس ، وتذهب بطخاوة الصدر »[٩١] .

٢٠ ــ ومنها حديث أحمد والبخاري وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامْقُلوهُ ، فإن في أحد جناحيه داء ، وفي الآخر دواء »[٩٢] زاد أحمد في رواية « وإنه يتّقي بجناحِهِ الذي فيه الداء ، فليغمسه كلَّه »[٩٣] وأخرجه كلّه أحمد والنسائي وابن ماجه من رواية أبي سعيد الخدري مرفوعا .[٩٤]

٢١ ــ ومنها الأحاديث الواردة في العدوى :

فمنها حديث أبي هريرة مرفوعا « لا يوردَنَّ مُمْرِض على مُصِحٍّ » رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود .[٩٦]

المُمْرِض هو الذي له إبل مريضة ، نهاه أن يوردها على الإبل الصحيحة .

ومنها حديث أبي هريرة عند البخاري أن النبي ﷺ قال « لا عدوى ولا صَفَر ولا هَامَة . فقال أعرابيّ : يا رسول الله ، فما بال الإبل تكون في الرَّمْل كأنها الظباء ، فيخالطها البعير الأجرب فيُجْرِبها ؟ فقال رسول الله ﷺ : « فمن أعدى الأول ؟ »[٩٧]

ومنها حديث أحمد والبخاري عن أبي هريرة مرفوعا « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفَر، وفِرَّ من المجذوم فِرارَك من الأسد »[٩٥] .

وروى مسلم أوّلَه .

٢٢ ــ ومنها أحاديث الجذام :

أ ــ كحديث ابن سعد عن عبدالله بن جعفر مرفوعا « اتقوا صاحب الجُذم كما يُتَّقَى السبع : إذا هبطَ وادياً فاهبطوا غيره » .

ب ــ وحديث أحمد والطبراني وعبد الرزاق وابن جرير عن الحسين مرفوعا « لا تُدِيموا النظر إلى المجذومين إذا كلّمتموهم فليكن بينكم وبينهم قيد رمح »[٩٨]

وفي صحيح مسلم من حديث جابر أنه ﷺ قال للمجذوم « ارجع فقد بايعناك »[٩٨م]

٢٣ ــ ومنها أحاديث الغَيْل :

أ ــ كحديث مالك ومسلم عن جذامة بنت وهب مرفوعا : « لقد هممت أن أنهى عن الغيل ، فنظرت في فارس والروم فإذا هم يَغِيلون أولادَهم فلا يضرُّ أولادَهم ذلك شيئا . »[٩٩]

ب ــ وكحديث أحمد وأبي داود من حديث أسماء بنت السكن مرفوعا : « لا تقتلوا أولادكم سرًّا ، فإن الغَيْلَ يدرك الفارس فيُدَعثِرهُ »[١٠٠] قال السيوطي : وقد فسَّر مالك الغيل بأن يطأ الرجل امرأته وهي ترضع . وفسّره إبن السكيت بأن ترضع المرأة وهي حامل . كان الأطباء يقولون إن ذلك اللبن داء . والعرب تكرهه وتتقيه . اهـ[١٠١]

٢٤ ــ ومنها أحاديث الطاعون ، كحديث أسامة بن زيد وعبد الرحمن بن عوف عند البخاري « إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » رواه مسلم .[١٠٢]

٢٥ ــ ومنها ما رواه مسلم من حديث جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ بعث إلى أُبَيِّ بن كَعْبٍ طبيبا، فقطَع له عرقاً وكواه عليه . »[١٠٣]

٢٦ ــ ومنها حديث عند الإمام أحمد مرفوعا « إن في أبوال الإبل وألبانها شفاء »[١٠٤] وحديث ابن عباس مرفوعا عند ابن المنذر « عليكم بأبوال الإبل فإن فيها شفاء للذَّرِبَةِ بطونُهم »[١٠٥]

ومثله حديث أنس في الصحيحين « أن ناسا اجتووا في المدينة ، فأمرهم النبي ﷺ أن يلحقوا براعيه ـ يعني راعي

الإبل ـ فيشربوا من أبوالها حتى صلحت أبدانهم . . الحديث »[١٠٦] وفي رواية النسائي « فاجتووا المدينة حتى اصفرّت ألوانهم وعظمت بطونهم » .

٢٧ ــ ومنها حديث ابن عباس عند الترمذي وحسّنه ، وابن ماجه ، وابن حبان وصححه مرفوعا « اكتحلوا بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر »[١٠٧]

٢٨ ــ ومنها حديث إستعمال الرماد لقطع دم الجرح ، وهو ما رواه البخاري في قصة أُحُدٍ لما دَمِيَ وجه النبي ﷺ « عَمَدت فاطمة إلى حصير فأحرقتها وألصقتها على جرح رسول الله ﷺ فرقأ الدم »[١٠٨]

٢٩ ــ ومنها حديث ابن عمر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال في الأبتر وذي الطفيتين من الحيّات : « إنهما يلتسمان البَصَر، ويُسْقِطان الحَبَل »[١٠٨م]

٣٠ ــ ومنها حديث جابر في صحيح مسلم مرفوعا « غَطُّوا الإناء، وأَوْكُوا السّقاء، فإن في السنة ليلةً ينزل فيها وباءٌ لا يمرُّ بإناءٍ ليس عليه غطاء ، أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا وقع فيه ذلك الداء »[١٠٨م]

فهذه الأحاديث المذكورة في هذا النوع الثاني، ونحوها من الأحاديث التي تدخل في صلب الأمور الطبية والعلاجية، لا ينبغي أن تؤخذ حجة في الطب والعلاج ، بل مرجع ذلك إلى أهل الطبّ ، فهم أهل الاختصاص في ذلك ، وقد تقدَّم إثبات ذلك في الفصل الأول من هذا البحث ، ونقلنا هناك قوله ﷺ لأهل النخيل والزراعة « أنتم أعلم بأمور دنياكم » فشؤون الطب الصِّرفة هي من هذا الباب ، أهلُ الطب هم أهل الحذق والمعرفة بها ، وإليهم المرجع في هذا الباب . وقد يتبيّن في شيء من هذه الأحاديث الخطأ من الناحية الطبّيّة الصرفة ، وكما قال القاضي عياض : ليس في ذلك مَحَطَّةٌ ولا نقيصة ، لأنها أمور اعتيادية يعرفها من جَرَّبها وجَعَلها هَمَّهُ وشَغَل نفسه بها ، ولذا يجوز على النبي ﷺ فيها ما ذكرنا ـ يعني الخطأ والصواب .[١٠٩]

ثم إنه وإن قلنا في هذه الأحاديث التي من النوع الثاني من الفصل الثاني وفي أمثالها إنها ليست بحجة في باب الطب ، لأنها في نظرنا لا تدخل في الفئات الست المذكورة في النوع الأول ، فذلك على الأصل في الأحاديث الواردة في الشؤون الطبية . لكن قد يبدو لبعض أهل العلم في شيء منها ملحظ صحيح يكون قرينة على أنها تشريع ، فتخرج بذلك عن أن تكون من هذا النوع الثاني ، وتدخل في النوع الأول ، وتعتبر حجة في باب الطب ، كما ظهر لنا في الفئات الست . والله أعلم .

إثبات فاعلية هذه الأدوية والمعالجات :

إنه وإن قلنا في أحاديث هذا النوع الثاني وأمثالها إنها ليست حجة في الأمور الطبية ، فإنه لا ينبغي مع ذلك إطّراحها بالكلية ، بل ينبغي أن تُثِير احتمالاً بالصحة، كسائر الأقوال الطبّيّة المأثورة عن أهل التجارب والمعرفة من غير أهل الاختصاص ، بل هي أولى منها ، للشبهة في أنها قد تكون مبنية على الوحي ، ولو كانت شبهة ضعيفة ، ولا يخفى ما في حديث الطاعون المتقدم ذكره من الحكمة البالغة التي يؤيدها الطب الحديث كل التأييد، على ما هو معلوم .

ولذا أرى أن تخضع للتحليل وللتجارب على الأسس المتعارفة عند أهل الاختصاص . فإن وجدت صالحة أُدخلت حيّز العمل ، ويكون التحليل والتجريب هو الحجة في صلاحيتها، دون كونها مما ورد عن النبي ﷺ ، وخاصةً وأن الكثير منها لا يثبت من حيث الرواية بطريق القطع أو شبهه على الوجه الذي تقدم بيانه في آخر الكلام على أحاديث النوع الأول ، فالحاجة إلى إثبات صلاحيتها أو عدمها قائمة أيضا لهذا المعنى .

وإن لم تثبت صلاحيتها أو ثبت ضررها فلا مانع من بيان ذلك للجمهور لئلا يستمر العمل بها .

تناول الأدوية المأثورة على أساس الاعتقاد الإيماني :

إن إبن خلدون رحمه الله بعد كلامه الذي نقلناه سابقا (ص) من أن الطب المنقول في الشرعيات عن النبي ﷺ لا ينبغي أن يحمل على أنه مشروع ، وأنه ليس هناك ما يدل على ذلك ، تابع كلامه قائلا « إلا إذا استعمل على جهة التبرك وصدق العقد الإيماني ، فيكون له أثر عظيم في النفع ، وليس ذلك في الطب المزاجي، وإنما هو من آثار الكلمة الإيمانية » ا هـ[١١٠]

وقال ابن حجر « استعمال كل ما وردت به السنّة بصدق ينتفع به من يستعمله ، ويدفع الله عنه الضرر بنيّته ، والعكس بالعكس »[١١١] ولعله يعني بالعكس أن من استعمل الأدوية المذكورة مع عدم تصديق بها ولا اعتقاد بفائدتها لا يحصل له انتفاع بها . وفي بعض كلام ابن حجر في فتح الباري تشبيه ذلك بالشفاء القرآني لما في الصدور ، كما قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ أي : فكما أن مواعظ القرآن لا ينتفع بها إلا من كان مؤمنا بالقرآن وهدايته، فكذلك الأدوية النبوية للأجسام لا ينتفع بها إلا من كان مؤمنا بنفعها لصدورها عن النبي ﷺ .

, والذي نقوله أنه لا شك أن من فضائل النبي ﷺ أنه يجوز التبرك بآثاره، والاستشفاء بها، فقد نُقِل أنه ﷺ دعا بقدح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه ومج فيه ، ثم قال لأبي موسى وبلال : اشربا منه ، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما .

وتوضأ وصبّ على جابر .

وأمر بشعره أن يقسم بين المسلمين .

وبعض ثيابه كانت تغسل بعده ويعطى ماؤها للمرضى يستشفون بها . ثبت ذلك في صحيح مسلم ومسند أحمد[١١٢] من حديث أسماء بنت أبي بكر .

وحنّك بعض صبيان الأنصار بالتمر .

وكلّ هذا من خصائصه ﷺ . فإن الصحابة رضي الله عنهم لم يتبركوا بأفاضلهم . وليس في الأمة بعد نبيها أفضل من أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، فلم ينقل عن أحد من الصحابة ، ولو حادثة واحدة ، أنهم تبركوا بهؤلاء الأولياء الأربعة أو غيرهم[١١٣] فهذا إجماع منهم على التَّرْك[١١٤] .

إذا علم هذا، فهل يكون ما ورد عن النبي ﷺ من المعالجات الطبية هو من جنس آثاره وملابسه ونحو ذلك، حتى يستشفى بها ويتبرك بها ؟

يبدو أن في هذا نظرا ، فإنه لمّا ثبت أن النبي ﷺ نَبَّه على أن ما يصدر عنه في مثل ذلك هو مجرد رأي يراه ، وأنه بشر يخطىء في ذلك ويصيب ، وأن الناس يأخذون من كلامه في الشؤون الدنيوية بما حدّث به عن الله تعالى ، وأما ما حدّث به من قِبَل نفسه فهم أعلم بدنياهم ، فكيف يتساوى ما نبّه على عدم نفعه من الشؤون التي قالها من عند نفسه، ما أذن فيه من التبرك بآثاره ؟ ﷺ .

ثم إن الصحابة الذين تركوا تأبير النخل إنما تركوه تصديقا لرسول الله ﷺ، وإيماناً به، وعملاً بقوله ، ومع ذلك خرج ثمره ذلك العام شِيصاً، أي تالفا غير صالح ، ولم يكن إيمانُهم وتصديقُهم كافيا ليصلح به الثمر ، لأنه ليس في الحقيقة سبباً لذلك . ولذلك فإن النبي ﷺ صحَّح لهم اعتقادهم، وأعلمهم أنهم ما كان لهم أن يأخذوا بقوله في ذلك ، فإن ذلك من شؤون الدنيا وهم بها أعلم . فكذلك هذه الأمور الطبية الصرفة، هي من صميم الأمور الدنيوية، لا يكفي فيها مجرد الإيمان والتصديق مع كونها ليست أسباباً في حقيقة الأمر .

وأما القياس على الشفاء القرآني بالمواعظ فهو قياس فاسد ، فإن مواعظ القرآن من لم يصدق بها لا يستمع إليها، وإن استمع إليها فإنه لا يقبلها ولا يعمل بها ، فكيف تنفعه ؟ كالدواء المادي إذا لم يتناوله المريض لا ينفعه . أما إن تناوله فإن تأثيره في الأجسام لا يختلف بالتصديق وعدمه .

هذا ما ظهر لي من نتائج هذا البحث ، وآمل أن تكشف مناقشات هذا المؤتمر عن وجه الصواب في هذا الأمر ، ليكون المسلمون ـ وخاصة العاملين في ميادين الطب ـ على بصيرة فيه من أمر دينهم ودنياهم .

والله أعلم. وصلى الله على عبده ورسوله نبينا وحبيبنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الهوامش :

(١) انظر جمع الجوامع وشرحه ، وحاشيته ١٢٧/٢ ، ١٢٨ ، وأيضا ٥٩/٢

(٢) هو بعض كتابه المشهور (زاد المعاد في هدي خير العباد) وقد طبع أيضا مفردا

(٣)م الطب النبوي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله ط ٧ ص ٣٥

(٣) صحيح البخاري (فتح الباري ١٤٥/١٠ ـ ١٥٢)

(٤) الشفاء ١٧٨/٢

(٥) المغني ٢٥٦/١٧ حيث جعل من شرط الاقتداء بالفعل « أن يكون مما له مدخل في الشرع ولا يكون مما يفعل للمنافع والمضار » .

(٦) كتابه : تاريخ المذاهب الفقهية ص ١٠

(٧) الشفاء ١٨٠/٢

(٨) راجع لروايات هذا الحديث : صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ١٨٣٥/٤ ومسند أحمد ١٥٢/٣

(٩) ذكره القاضي عياض : الشفاء ٢٠١/٢ ولم يعزه .

(١) البناني : حاشية على شرح جمع الجوامع ١٢٨/٢ وأيضا : علي القاري : شرح الشفا .

(١١) البخاري ١٥٧/١٣ ، وأصله عند مسلم وأبي داود .

(١٢) البخاري ١٧٢/١٣

(١٣) سيرة ابن هشام ، وعليها الروض الأنف للسهيلي ، بتحقيق عبد الرحمن الوكيل . القاهرة ، دار الكتب الحديثة (د.ت) ٥/٩٧
(١٤) ذكره الدهولي في حجة الله البالغة ١/٢٧٢ ولم يعزه .
(١٥) رواه أحمد في مسنده ٦/٦٧
(١٦) المغني ١٧/٢٦٩
(١٧) حجة الله البالغة ١/٢٧٢
(١٨) كتاب : تاريخ المذاهب الفقهية ، ص ١٠
(١٩) كتابه : أصول الفقه ص ٤٣
(٢٠) اجتهاد الرسول .
(٢١) الفكر القانوني الإسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه ، القاهرة ، مكتبة وهبة (د.ت) ص ٧٨
(٢٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٣
(٢٣) جـ ٢ ص ٢٠٠
(٢٦) حجة الله البالغة ١/٢٦٩ ، ٢٧٠
(٢٧) سيرة ابن هشام بتحقيق مصطفى السقا وزملائه . ط ٢ . القاهرة ، مصطفى الحلبي ١٣٧٥ هـ جـ ٢ ص ٥٢٣
(٢٨) الشفاء للقاضي عياض ص ٢٠٣
(٢٩) البخاري ١٠/١٧٨
(٣٠) البخاري ١٠/١٤٧
(٣١) البخاري ١٠/١٥٢
(٣٢) البخاري ١٠/١٥٣
(٣٣) البخاري وفتح الباري ١٠/١٦٧
(٣٤) البخاري ١٠/١٧٤
(٣٥) البخاري ١٠/٢٠٧
(٣٦) حديث اللدود : البخاري ١٠/١٦٩ واللدود ما سقي من الدواء بالمسعط في الفم (اللسان) .
(٣٧) انظر الكتاب القيم في تفاصيل ذلك : التراتيب الإدارية لمؤلفه عبد الحي الكتاني . نشرته ببيروت ، دار إحياء التراث العربي ، صورة بالأوفست .
(٣٨) رواه البخاري ٤/٣٠٣
(٣٩) كنز العمال ١٠/٤
(٤٠) كنز العمال ١٠/١١
(٤١) فتح الباري ، المطبعة السلفية ١٠/١٣٤
(٤٢) فتح الباري ١٠/١٢٤ والموطأ مع تنوير الحوالك ٣/١٢١
(٤٣) فتح الباري ١٠/١٣٥
(٤٤) شرح المحلي على منهاج النووي وحاشيتا القليوبي وعميرة ١/٣٤٤
(٤٥) شرح المحلي وحواشيه ١/٣٤٤
(٤٦) فتح الباري ١٠/١٥٥
(٤٧) كنز العمال ١٠/٧٣
(٤٨) فتح الباري ١٠/٢١٢
(٤٩) تفسير القرطبي عند قوله تعالى : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ من سورة البقرة .
(٥٠) كنز العمال ١٠/٨
(٥١) فتح الباري ١٠/٢٠٦
(٥٢) فتح الباري ١٠/١٣٦
(٥٣) فتح الباري ١٠/١١٩
(٥٤) انظر القصة في صحيح البخاري (فتح ١٠/١٢٠)
(٥٥) فتح الباري ١٠/١٣١
(٥٦) كنز العمال ١٠/٥٣

(٥٦) انظر مثلا : المجموع النووي ٥١/٩ وحاشية ابن عابدين ٢١٥/٤ ، والمغني لابن قدامة ٣٠٣/٨
(٥٧) فتح الباري ١٥٧/١٠
(٥٨) كنز العمال ١١٠/١٠ ، ٧٥
(٥٩) كنز العمال ١١٠/١٠
(٦٠) كنز العمال ٧٣/١٠
(٦١) فتح الباري ١٥٨/٤
(٦٢) فتح الباري ٣٧٤/٢
(٦٣) فتح الباري ٢٠٩/١٠
(٦٤) رواه البخاري (فتح ٢٠٦/١٠)
(٦٥) رواه أبو الشيخ في الثواب وحسنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في (صحيح الجامع الصغير) .
(٦٦) فتح الباري ١٣٩/١٠
(٦٧) سورة النحل ، الآية : ٦٩
(٦٨) كنز العمال ٤٨/١٠
(٦٩) سورة المؤمنون ، الآية : ٢٠
(٧٠) كنز العمال ١٢/١٠ ، ١٥
(٧١) كنز العمال ج ٤/١٠
(٧٢) جامع الأصول بتحقيق عبد القادر الأرناؤوط ٤١٠/٧
(٧٣) مسند أحمد ٣٨٢/٥ الطبعة القديمة .
(٧٤) كنز العمال ١١٩/١٠
(٧٥) كنز العمال ١٣/١٠
(٧٦) صحيح الجامع الصغير .
(٧٧) الطب النبوي ص ١٢٢
(٧٧)م كنز العمال ٢٤/١٠
(٧٨) كنز العمال ٢٦/١٠
(٧٨)م كنز العمال ٥١/١٠
(٧٩) كنز العمال ٢٩/١٠
(٨٠) كنز العمال ٢٧/١٠ ، ٢٨
(٨١) كنز العمال ٥٥/١٠
(٨٢) كنز العمال ٢٧/١٠
(٨٣) كنز العمال ٣٧/١٠ ، ٢٢
(٨٤) فتح الباري ٣٠٢/١
(٨٥) كنز العمال ٢٨/١٠
(٨٦) كنز العمال ٥٠/١٠ ، وفتح الباري ١٦٣/١٠
(٨٧) كنز العمال ٣٢/١٠
(٨٨) كنز العمال ٣٠/١٠
(٨٩) كنز العمال ٣٩/١٠
(٩٠) كنز العمال ٤٢/١٠ ، ٤٣
(٩١) كنز العمال ٤٠/١٠
(٩٢) كنز العمال ٢٣/١٠ ، ٤٩
(٩٣) مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ١٢٤/١٢
(٩٤) تعليق أحمد شاكر على المسند ١٢٤/١٢
(٩٥) كنز العمال ١١٩/١٠
(٩٦) صحيح الجامع الصغير

(٩٧) فتح الباري ٢٤١/١٠
(٩٨) كنز العمال ٥٤/١٠ ـ ٥٦
(٩٨م) الطب النبوي ص ١٤٧
(٩٩) صحيح مسلم ١٠٦٦/٢ وموطأ مالك معه تنوير الحوالك (١١٧/٢) في كتاب الرضاع ، جامع ما جاء في الرضاعة
(١٠٠) مسند أحمد ، الطبعة القديمة ٤٥٣/٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، وجامع الأصول ٥٢٨/١١
(١٠١) تنوير الحوالك على موطأ مالك ١١٧/٢
(١٠٢) فتح الباري ١٧٩/١٠ ـ ١٨٢
(١٠٣) الطب النبوي ص ٦٣
(١٠٤) مسند أحمد ٢٩٣/١
(١٠٥) فتح الباري ١٤٣/١٠
(١٠٦) فتح الباري ١٤٢/١٠
(١٠٧) فتح الباري ١٥٧/١٠
(١٠٨) فتح الباري ١٧٤/١٠
(١٠٨م) الطب النبوي ص ١٦٦
(١٠٨م)٢ الطب النبوي ص ٢٣٢
(١٠٩) الشفاء ٢٠١/٢
(١١٠) مقدمة ابن خلدون ، الفصل التاسع عشر من الباب الرابع (ص ٤٩٣)
(١١١) فتح الباري ١٦٦/١٠
(١١٢) صحيح مسلم ١٦٤١/٣ ، ومسند أحمد ٢٤٨/٦
(١١٣) الشاطبي : الاعتصام ٦/٢ ـ ١١
(١١٤) محمد سليمان الأشقر : أفعال الرسول ج ١ ص ٢٨٧

رئيس الجلسة : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

شكرا لفضيلة الشيخ الدكتور / محمد سليمان الأشقر على هذا البحث القيم الذي تناول فيه الاتجاهات المتقابلة في الأخذ بالسنة النبوية في ميدان العمل الطبي وذكر الفئات المتعددة من الأحاديث التي ينبغي قبولها وما يرد من ذلك ويكون معرضا للنقد نقد متن الحديث حتى نتمكن من الانتهاء فيه إلى القول الثابت الذي يعتد به في مجال العلاج . ونستمع الآن إلى بحث الدكتور / أحمد عمر هاشم فليتفضل ليحدثنا عن التراث الطبي النبوي :

« التراث الطبي النبوي »

للدكتور احمد عمر هاشم

أستاذ ورئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر

بالقاهـرة

المقـــدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . . .

أما بعـــد . .

فإن للتراث الطبي النبوي مكانته بين العلوم ، ومنزلته بين كتب التراث ، ولكنه بحاجة إلى جمعه وتدوينه ، وضم ما يوجد منه في كتب متعددة وأبواب متنوعة وموضوعات كثيرة يكون كل ذلك في موطن واحد ، تجمع فيه جميع الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين وتجاربهم .

ويضاف إليها ما وجد من أحاديث تدعو إلى النظافة والطهارة والبعد عن مواطن العدوى ، والنهي عن أكل وشرب المحرمات . وعلاج بعض الأمراض ، وأنواع بعض الأدوية التي استعملها الرسول ﷺ وأرشد إليها المسلمين .

وليس معنى العناية بالطب النبوي أن ندع التّطبّب والعلاج لدى الأطباء . وإنما المراد الأخذ بالنوعين ، خاصة أن الرسول ﷺ كان يوجه بعض أصحابه إلى الذهاب إلى بعض الأطباء ، أخذاً في الأسباب والتماسا للعلاج عند المتخصصين وأهل التجارب . . والعناية بالتراث الطبي النبوي إلى جانب الطب العام المعروف ولابد أن تضاعف فيه همم العلماء والباحثين وأن يؤكدوا على أهمية تزويد الإنسان بالإيمان بالله ، لأن بالإيمان الحق يكون الشفاء ويكون الصبر على مواجهة الداء وبفقدان الإيمان لا يكون الشفاء ، وقد تنتشر الأمراض التي لم تكن موجودة .

نسأل الله العافية وبالله التوفيق . . .

(العناية بالتراث الطبي النبوي) :

عُني المحدثون في مصنفاتهم بإفراد كتب خاصة بالطب وعلاج الأمراض أوردوا فيها أحاديث الرسول ﷺ كالإمام البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وغيرهم .

وقد أفرد بعض العلماء « الطب النبوي » بالتأليف ، كما صنع أبو نعيم في كتابه « الطب النبوي » وكما صنع ابن السنى كذلك . .

وقال طاش كبرى زاده[1] : علم طب النبي ﷺ وهو علم باحث عن الأحاديث النبوية الواردة في طب المرضى وقد اعتنى به جماعة من أشهرهم . . . ابن طرخان : وأفضلها ما جمعه الإمام المستغفري ، ولا يخفى نفع هذا العلم وغايته وغرضه على أولى الألباب . .

ومنها : « طب الفقراء » والجمع لهم بين الأسرار الإلهية والأدوية الطبية لابن عبدالهادي يوسف بن الحسن ، و « الطب المسنون في دفع الطاعون » لابن أبي حجلة التلمساني أحمد بن يحيى[2] .

ومن المؤلفات في الطب النبوي كذلك :

« روض الإنسان في تربية صحة الأبدان لعمر بن خضر العطوفي . جمع فيه الطب النبوي وأهداه إلى السلطان بايزيد[3] .

كما أفرد الإمام ابن قيم الجوزية جزءاً خاصا بالطب النبوي في كتابه النفيس : « زاد المعاد » ومن بين المشتغلين بالطب ممن علقوا على بعض أحاديث الطب النبوي :

علاء الدين الكحال في كتابه « الأحكام النبوية » . . في الصناعة الطبية « والكحال هذا كان طبيبا ، ولشمس الدين الذهبي كتابه « الطب النبوي » .

وقد ربط فيه بين الطب النبوي والعصر الذي يعيش فيه ، وقد ذكر فيه أدوية متعددة لعلل وأمراض مختلفة .

والاستفادة بالطب النبوي ، لا تمنع وجود الأطباء ، حتى في عهد الرسول ﷺ . .

(توجيه السنة للاستعانة بالأطباء والأمر بالتداوي) :

إن الإفادة من الطب النبوي ، ومن التراث العظيم له قولا وفعلا وتجربة لا يمنع من وجود الأطباء ، بل ربما كان سببا يدعو لوجودهم ، بما يتوفر لدى طائفة نابهة تقوم برعاية أمر العلاج والتطبب ، وبالوقوف على الأسباب النافعة من النباتات والثمار وما يخرج من الأرض . . وما تصل إليه تجاربهم .

ولقد كان رسول الله ﷺ يثق في طب الحارث بن كلده ، وكان يأمر سعد بن أبي وقاص أن يتداوي عنده .

روى الإمام أبو داود ـ بسنده ـ إلى مجاهد ، عن سعيد قال : « مرضت مرضا فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فوضع يده بين ثديي وجدت بردها على فؤادي ، فقال إنك رجل مفئود ، فائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب ، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليَلُدَّكَ بهن »[1] ومعنى كونه مفؤوداً ، أصيب فؤاده ، كما قالوا لمن أصيب بطنه « مبطون » ويقال إن الفؤاد غشاء القلب والقلب حبته وسويداؤه .

قال العلماء : ويشبه أن يكون سعد في هذه العلة مصدورا إلا أنه قد كنى بالفؤاد عن الصدر إذ كان الصدر محلا للفؤاد ومركزا له وقد يوصف التمر لبعض علل الصدر . ومعنى (فليجأهن) ليرضهن ، والوجيئة : حساء يتخذ من التمر والدقيق فيتحشاه المريض . ومعنى (ليلدك) من اللدود وهو ما يسقاه الإنسان في أحد جانبي الفم وأخذ من اللديدين وهما جانبا الوادي .

وأمر الرسول ﷺ بالتداوي ، عن أبي هريرة رضي الله عن النبي ﷺ قال : (ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء)[1] .

وفي رواية طلحة بن عمرو زيادة في أول الحديث (ياأيها الناس تداووا) . ومن حديث ابن عباس وأنس :[2] (أن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا) وفي حديث أسامة بن شريك (تداووا ياعباد الله فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء إلا داء واحداً هو الهرم)[3] وفي لفظ (إلا السّام) بمعنى الموت . وفي رواية أبي عبدالرحمن السلمي عن ابن مسعود نحوه وزاد في آخره : (علمه من علمه وجهله من جهله)[4] وحديث : (لكل داء دواء فأذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى) وفي حديث أبي الدرداء رفعه :(إن الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام)[5] .

ومن الأحاديث والروايات السابقة نخلص بأن المراد بالإنزال هو إنزال علم ذلك على لسان الملك للنبي ﷺ ، أو عبر عن الإنزال بالتقدير . أي أنزال الله تعالى إنزال هذا الشفاء الذي أخبر به رسول الله ﷺ على طريق الملك أو أنه قدره وقدر الشفاء فيه . وفي قول الرسول ﷺ : (ولا تداووا بحرام) تقييد بالحلال فلا يجوز التداوي بالحرام كالخمر مثلا وغيرها من المحرمات .

وقوله : (جهله من جهله) مثل بعض الأمراض التي اعترف حذاق الأطباء بأن لا دواء لها وأقروا بالعجز عن مداواتها ، وهذا أيضا مثل ما يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء فيبرأ ثم يعتريه ذلك بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء ، فَرُبّ مرضين تشابها ، ويكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه وينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هنا . . .

وجاء من طريق أبي خزامة عن أبيه قال : قلت : يارسول الله أرأيتُ رقى نسترقيها ودواء نتداوى به هل يردّ من قدر الله شيئا ؟ قال : « هي من قدر الله تعالى »[1] .

وفي أمره ﷺ بالذهاب لمن يعالج ويطبّب ، وتوجيهه إلى التداوي والأمر به ، في هذا كله ، ما يرشدنا إلى أنّ الطب النبوي يراعي احترام أصحاب العلم والتجربة وأهل التخصص من الأطباء ، فقد أمر الرسول ﷺ سعد بن أبي وقاص أن يذهب إلى الحارث بن كلدة وأعطاه التوجيه إلى العلاج ووضح له أن الحارث يتطبب وله خبرة فأولى به أن يذهب إليه طلبا للمداواة واحتراما للتخصص والعلم والمعرفة .

مداواة الرجل للمرأة ومداواة المرأة للرجل) :

عن الربيع بنتِ مُعوِّذ بن عْفراءَ قالت : كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونردّ القتلى والجرحى إلى المدينة[1] .

وروى البخاري ـ بسنده ـ في كتاب الجهاد : عن الرّبيع بنت معوّذ قالت : كنا مع النبي ﷺ نسقي الجرحى ونردّ القتلى إلى المدينة[٢] .

وفي الحديث بيان لدور المرأة المسلمة في الجهاد ومداواتها للجرحى من المسلمين قال الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذا الحديث : وفيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة .

قال ابن بطال : ويختص ذلك بذوات المحارم ، ولعل الإمام البخاري لم يجزم في ترجمته حين قال : هل يداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل ، فجاء بالترجمة على طريق الاستفهام دون الجزم ، لاحتمال أن يكون ذلك قبل الحجاب أو كانت المرأة تصنع ذلك بمن يكون زوجا لها أو محرما .

الرأي الأرجح : والرأي الأرجح في هذه المسألة : هو جواز مداواة المرأة الأجنبية للرجل ومداواة الرجل كذلك للمرأة عند الضرورة ، وتقدّر الضرورة بقدرها فيما يتعلق بالنظر والجسّ باليد وغير ذلك ، والضرورات تبيح المحظورات . .

وهذه أم عطية رضي الله عنها تقول : غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، فأصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأقوم على المرضى .

وأما إذا وجد طبيب ماهر لمداواة الرجال فهو أولى ، وإذا وجدت طبيبة ماهرة لمداواة النساء فهي أولى ، أي أنه لا يداوي أحد الجنسين الآخر إلا عند الضرورة التي تقدر بقدرها والإسلام دين اليسر والرحمة ، ودين الحفاظ على القوة والأبدان (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) . .

وقد أمر بالعلاج والمداواة وحيث لا يوجد طبيب من جنس المريض أووجد ولكنه ليس بمهارة الجنس الآخر . فلا مانع من علاج الرجل المرأة وعلاج المرأة الرجل حينئذ حفاظا على الصحة وحتى لا يتعرض المريض إلى الهلاك . .

قال الله تعالى :

﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ .

(الشفاء في ثلاثة) :

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنهى أمتي عن الكي »[١] .

يوضح الرسول صوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث بعض الأنواع التي يُتداوى بها فالحجم يستفرغ الدم عند الهيجان ، والعسل مسهل للأخلاط البلغمية ، وأما الكي فيستعمل في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلّا به ولهذا وصفه النبي ﷺ ثم نهى عنه ، وإنما كرهه لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم . ولهذا كانت العرب تقول في الأمثال : آخر الدواء الكي . وقد كوى النبي ﷺ سعد بن معاذ وغيره واكتوى غير واحد من الصحابة .

ولا يراد الحصر في هذه الأمور ، فقد يكون الشفاء في غيرها وإنما أراد أن ينبه بها على أصول العلاج وذلك أن الأمراض الامتلائية تكون : دموية وصفراوية وبلغمية وسوداوية .

وشفاء الدموية : بإخراج الدم وخصّ الحجم لكثرة استعمال العرب له والفهم له بخلاف الفصد .

وأما الامتلاء الصفراوي : وما ذكر معه فدواؤه بالمسهل وقد نبه عليه بذكر العسل .

وأما الكي : فإنه يقع آخرا لإخراج ما يتعسر إخراجه من الفضلات[٢] .

وعن عاصم بن عمر بن قتادة : سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن كان في شيء من أدويتكم أو يكون في شيء من أدويتكم خير ففي شرطة محجم أو شربة عسل أو لذعة نار[١] .

وقد ترجم الإمام البخاري بقوله : باب الدواء بالعسل وقول الله تعالى : « فيه شفاء للناس » وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ يعجبه الحلواء والعسل . وفيه من المنافع ما لخصه الموفق البغدادي وغيره فقالوا : يجلو الأوساخ التي في العروق ، والأمعاء ، ويدفع الفضلات ، ويغسل خمل المعدة ويسخنها تسخينا معتدلا ويفتح أفواه العروق ويشد المعدة والكبد والكلى والمثانة والمنافذ وفيه تحليل للرطوبات أكلا وطلاء وتغذية . . وتنقية الكبد والصدر وإدرار البول والطمث ، وإذا أضيف إليه الخل نفع أصحاب الصفراء ، ثم غذاء من الأغذية ودواء من الأدوية وشراب من الأشربة[٢] .

وعن أبي سعيد أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : أخي يشتكي بطنه فقال : اسقه عسلا ، ثم أتاه الثانية فقال : اسقه عسلا ، ثم أتاه الثالثة فقال : اسقه عسلا ثم أتاه فقال : فعلت فقال : صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ .[٣]

(نماذج من هدى النبوة)
في
الطب والعلاج

(فضل التمر والعلاج به) :

روى الإمام مسلم قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن هاشم بن هاشم قال : سمعت عامر بن سعد بن أبي وقاص يقول : سمعت سعدا يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » .

هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة التي تبين صحة ما أخبر عنه النبي ﷺ وتبين فضل التمر وماله من أثر صحي نافع للإنسان لاسيما تمر المدينة .

وأما تخصيص العدد بالسبع فقد قال الإمام النووي عنه: وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ، ولا نعلم نحن حكمتها فيجب الإيمان بها ، واعتقاد فضلها وهذا كأعداد الصلوات ونصب الزكاة وغيرها ، فهذا هو الصواب في هذا الحديث أ. هـ.

وقد طعن في الحديث بعض الكتاب فقالوا : إن في السنة أحاديث دلّت الحوادث الزمنية والشواهد التجريبية على أنها غير صحيحة ، وضرب مثلا لذلك بهذا الحديث وقد وضح العلماء معنى الحديث ، وأثبتت اكتشافات العلم الحديث ما يتضمنه من أسرار وما يحتوى عليه من صدق وحقيقة .

ومن العلماء من خصص التمر النافع في هذه الأحوال بتمر المدينة نظرا للأحاديث التي وردت مقيدة لمعناه ومنهم من أطلق سواء كان من المدينة أو من غيرها ولكن الذي ارتضاه أكثرهم أنه خاص بعجوة المدينة .

قال ابن القيم في زاد المعاد : (والتمر غذاء فاضل للصحة ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به كأهل المدينة وغيرهم) ، إلى أن قال « ونفع هذا العدد من التمر من هذا البلد من هذه البقعة من السم والسحر بحيث تمنع إصابته من الخواص التي لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحي أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض » .

وإذا ما عرفنا أن السحر نوع من الأمراض النفسية ، وللإيحاء النفسي أثره الكبير في العلاج فإن أثر الغذاء بالتمر يقي الصحة من الناحية النفسية خاصة وأن الذي أخبر بذلك هو الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . .

وما دام سند الحديث صحيحا ومادام متنه كذلك صحيحا ، فلا يضيرنا في شيء إن كان العلم الحديث اكتشف ما في التمر من خواص أم لا فليس ذلك إلا قصورا في التقدم العلمي لا غير ، أما الحديث فلا غبار عليه ، وقد شاء الله تعالى أن تبرز هذه الحقيقة إلى عالم الوجود وتكتشف البحوث العلمية الأثر العظيم للتمر وذلك فيما نشرته الصحف تحت عنوان (البلح علاج لأمراض العيون والجلد والأنيميا والنزيف ولين العظام والبواسير ويساعد على الولادة بسهولة) .

أثبتت الأبحاث العلمية التي أجريت أخيرا بالمركز القومي للبحوث : أن البلح غذاء كامل ويفيد في وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر وعلاج الأمراض الجلدية كالبلاجرا وأمراض الأنيميا وحالات النزيف ولين العظام والبواسير ويساعد المرأة الحامل على الولادة بسهولة .

صرح بذلك المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومي للبحوث وأضاف قائلا : إن الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم في قيمته الغذائية ، ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية وذلك بالإضافة إلى أنه غني بالكالسيوم والفسفور والحديد ويحتوي على غالبية الفيتامينات المعروفة .

ومما سبق يتضح أن الحديث روى بطريقة صحيحة ، عن رواة عدول ثقات وأن الحديث يفيد ما للبلح من خصائص ومزايا ثبتت قديما ، حيث إنه مفيد في حالات كثيرة وله فوائد في لين المعدة وتنشيط أعضاء الجسم ، وما يحتوي

عليه من الغذاء الكامل هذا بالإضافة إلى ما اكتشفه العلم الحديث من المزايا السابقة ، إذا فالحديث صحيح بالمشاهدة وبأدلة العلم .

وقد أخرج البخاري عقب الحديث السابق حديثا آخر بلفظ : « من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر » ، ويبدو أن هذه الخاصية إنما تكون لمن تناول التمر أول النهار ، حيث يقع على الريق ، وقال ابن حجر : « وظاهر الإطلاق أيضا المواظبة على ذلك . وقال النووي في الحديث تخصيص عجوة المدينة بما ذكروا ما خصوص كون ذلك سبعافلا يعقل معناه من في أعداد الصلوات ونصب الزكوات) أ . هـ .

ويمكن أن نستنبط من الحديث الشريف والأقوال العلمية السابقة ثمرة التمر ، وأن خاصيته مشروطة بما إذا كان أول النهار على الريق مع المواظبة على ذلك وتخصيص العدد بالسبع ، إنما الخاصية في هذا العدد لا يعلمها إلا الله أو من أطلعه على ذلك .

(الكمأة ومداواة العين بها) :

قال الإمام مسلم رحمه الله : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبدالملك بن عمير قال : سمعت عمرو بن حريث قال : سمعت سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين » .

في هذا الحديث بيان من الرسول ﷺ لفائدة نوع من النبات أودع الله سبحانه وتعالى فيه خاصية لا توجد في غيره ، وهو نبات يخرج من الأرض ولا ورق له ، ومن قدرة الله تعالى وحكمته ، أنه أودع في هذا النبات نوعا لعلاج العيون ، يقول : وماؤها شفاء للعين ، قيل : هو نفس الماء مجردا ، وقيل معناه أن يخلط بدواء ويعالج به العين ، وقيل : إن كان لبرودة ما في العين من حرارة فماؤها مجرد إشفاء للعين وإن كان لغير ذلك فمركب مع غيره . .

قال الإمام النووي رحمه الله : والصحيح بل الصواب أن ماءها مجرداً شفاء للعين مطلقا فيعصر ماؤها ويجعل في العين منه .

وقد ورد نقد من الكتاب المحدثين يطعن في هذا الحديث الذي رواه الإمام (الترمذي) في جامعه قالوا عن رجال الحديث ، « لم يتوسعوا كثيرا في النقد الداخلي فلم يعرضوا لمتن الحديث هل ينطبق على الواقع أم لا ؟ مثال ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين والعجوة من الجنة وهي شفاء من السم) فهل اتجهوا في نقد الحديث إلى امتحان الكمأة ؟ وهل فيها مادة تشفي العين أو العجوة وهل فيها ترياق ؟ نعم إنهم رووا أن أبا هريرة قال : (أخذت ثلاث أكمؤ أو خمسا أو سبعا فعصرتهن في قارورة وكحلت به جارية لي عمياء فبرأت) ولكن هذا لا يكفي لصحة الحكم فتجربة جزئية نفع فيها شيء مرة لا تكفي منطقيا لإثبات الشيء في ثبت الأدوية إنما الطريقة أن تجرب مرارا . . . أ . هـ .

الإجابة على ذلك : إن هذا الحديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ورواه أحمد في مسنده عن سعيد بن يزيد ، وهو حديث ثابت في الصحيحين ، وليس في سنده جرح ولا ضعف وإنما سنده صحيح قوي هذا من ناحية السند أما ما يتعلق

(بالمتن) فإن أبا هريرة قام بتجربة هذه الخاصية التي في الكمأة فوجدها سليمة ، كما جربها غيره من بعده والإمام النووي رحمه الله روى أن بعض علماء زمانه قد أصيب بذهاب بصره فلما اكتحل بماء الكمأة شفى بإذن الله كما اعترف بصحة الحديث كثير من الأطباء المسلمين الذين قاموا ببحثه وتجربته ، وأثبتت بحوثهم أثر الكمأة في تقوية الجفن وزيادة البصر ومع ذلك كله فقد تصدى للطعن في هذا الحديث بعض أهل الزيغ وطلبوا التجربة مرارا وقد جربت مرارا ، ومع هذا لم يقتنعوا أو لم يصدقوا وذلك لأنهم طلبوا أمور الدين بالمشاهدة وأرادوا أن يأخذوها بالطريقة المادية طريقة الحس والمشاهدة الخاضعة للخطأ والصواب ، ومع أنها قد أصابت بالنسبة للحديث وأثبتت صحته إلا أنهم في ضلالهم يعمهون ولو أنهم طلبوا صحة الحديث من يقين القلب والتصديق بصاحب السنة إلاَّ فلا شك أنهم كانوا يحسون بالإيمان قد وقر في القلب » وبالتصديق بصحيح سنته التي جاء بها وحيا يوحي . وقد جاء في سبب ورود هذا الحديث : أن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : كثرت الكمأة على عهد رسول الله فقال بعض الصحابة : إن الكمأة من جدري الأرض فامتنعوا من أكلها فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج فصعد المنبر فقال : ألا ما بال أقوام يزعمون أن الكمأة من جدري الأرض إلا أنها ليست من جدري الأرض ألا إن الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين ألا وإن العجوة من الجنة وهو شفاء من السم .

(والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق ، توجد في الأرض من غير أن تزرع قيل سميت بذلك لاستتارها ، يقال : كمأ الشهادة إذا كتمها ، ومادة الكمأة من جوهر أرضي بخار يحتقن نحو سطح الأرض ببرد الشتاء وينميه مطر الربيع فيتولد ويندفع)[1] وقد ورد في المراد بالمن ثلاثة آراء :

الأول : أنها من المن الذي أنزل على بني اسرائيل وهو الطل الذي يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوا ومنه الترنجبين ، فكأنه شبه به الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منها عفوا بغير علاج .

الثاني : أنها من المنّ الذي من الله به على عباده عفوا بغير علاج .

الثالث : قال الخطابي : ليس المراد أنها نوع من المن الذي أنزل على بني اسرائيل ، فإن الذي أنزل على بني اسرائيل كان كالترنجبين الذي يسقط على الشجرة وإنما المعنى أن الكمأة شيء يثبت من غير تكلف ببذر ولا سقى فهو من قبيل المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فيقع على الشجر فيتناولونه ثم أشار إلى أنه يحتمل أن يكون الذي أنزل على بني اسرائيل كان أنواعا منه ما يسقط على الشجر ومنه ما يخرج من الأرض فتكون الكمأة منه .

وللتوفيق بين الآراء السابقة : أرى أن الكمأة مما امتن الله تعالى به على العباد عفوا دون معالجة ، وإذا نظرنا إلى الرأي الأول نرى أن المراد تشبيه الكمأة بالمن وإذا نظرنا إلى الرأي الثاني نرى أنها مما امتن الله به على العباد ، وإذا نظرنا إلى الرأي الثالث وجدنا أن المراد أنها من قبيل (المن) .

وليس المراد أنها نوع منه ، فكأن الآراء الثلاثة تتفق في أن « الكمأة » ليست هى عين « المن » .

فمن لاحظ في معنى المن أنه الذي أنزل علي بني اسرائيل كالرأي الأول والثالث أراد : أن الكمأة تشبهه أو تكون من قبيله فيتفقان مع الرأي الثاني في أنها غيره والرأي الثاني لاحظ في معنى المن أنه الذي امتن الله به يتفق مع الرأيين في خروج الكمأة عفوا بغير علاج .

وذكر ابن القيم أن فضلاء الأطباء اعترفوا بأن ماء الكمأة يجلو العين كابن سينا وغيره . وقال ابن حجر : « استعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر بنيته » . . .

(خاتمـــة) :

لم تكن دعوة الإسلام إصلاحا لجانب من جوانب الحياة دون الآخر ، ولم تأت لجماعة من البشر دون الآخرين ، وإنما جاء الإسلام لإصلاح كل جوانب الحياة ولما فيه سعادة الناس ومنفعتهم وخيرهم في دينهم ودنياهم وأخراهم . . . كما كانت الدعوة الإسلامية عامة في الزمان وفي المكان وكان الرسول ﷺ مبعوثا للعالمين ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ .

ولذا كان القرآن الكريم وهو الدستور الخالد لهذا الدين كان شاملا وموضحا لكل شيء وإن كان على سبيل الإجمال قال الله تعالى : ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء** ﴾[1] .

وجاءت السنة النبوية على صاحبها سيدنا محمد ﷺ أفضل الصلاة والسلام ففصلت وفسرت ما أجمله القرآن الكريم من أمور العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والسلوك وكل ما فيه سعادة الإنسان دنيا وأخرى ، وكل ما ينفع دينه ودنياه ، وروحه وبدنه وصحته ، وكم من آيات لله تعالى في الآفاق وفي أنفس الناس تكتشف يوما بعد يوم مصداقا لقول الله تعالى : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** ﴾[2] .

ومع دعوة الإسلام إلى التداوي ، وطلب العلاج ، والتوجه إلى الطب فإنه يريد من أتباعه ألا يركنوا إلى الأسباب وحدها بل طالبهم أن يتجهوا إلى الله تعالى وأن يدعوه ويطلبوا منه الشفاء كما جاء على لسان خليل الله سيدنا ابراهيم عليه السلام : ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾ والاستغفار وتلاوة كتاب الله والإنفاق والشرب من زمزم لمن يستطيع واستعمال بعض الأدوية التي جاءت في القرآن كعسل النحل . . فيه شفاء للناس .

وبعض الأدوية التي جاءت في السنة مثل : (الكمأة) ومثل (الحبة السوداء) ومثل (التمر) وهكذا . . . .

كل هذا وذاك : من الأخذ في الأسباب والتوجه إلى الله تعالى والدعاء من أهم أسباب العلاج والتطبّب بل هي الطب الحقيقي الذي يجمع بين الدين والدنيا وبين الأخذ في الأسباب والتوكل على الله والدعاء وليس واحد منهما بكافٍ دون الآخر ، ومن هنا كانت الحاجة الملحة إلى الطب الإسلامي . . . الذي يأخذ الشكل الإسلامي والمضمون الإسلامي في علاجه ودوائه ، في حالة المرض ومع نفسية الإنسان ، في استعمال بعض الأدوية مع الالتجاء إلى الدعاء .

ومن هنا لم يقتصر التراث الطبي الإسلامي على أدوية وأعشاب ونباتات استعملها الرسول ﷺ أو وصفها فحسب بل إن التراث الطبي يشتمل على ما استعمله أو وصفه وأشار إليه ويشتمل أيضا على كل ما فيه المنفعة والعافية للجسم والنفس كالتقليل من الطعام والشراب ، والنظافة والطهارة ، واعتزال النساء في الحيض وما أعظم هديه ﷺ في الأطعمة

والأشربة وفي الصيام وآدب المعاشرة الزوجية وما إلى ذلك من كل ما فيه عافية البدن والنفس . . . ومن ذلك أيضا . نظافة الأسنان بالدعوة إلى السواك في الأوقات المستحب فيها ونظافة الثوب والبدن والمكان .

ودعا الإسلام إلى إماطة الأذى عن الطريق ، وإلى الحجر الصحي وفي كتب الطب من جوامع السنة ومسانيدها نرى كثيرا من الأمراض التي عالجها الرسول ﷺ بالأدوية الطبيعية ووصفها عليه الصلاة والسلام . . . وما ينطق عن الهوى) .

وباللـــــه التوفيـــــق . .

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده جـ١ ص ٣٢٦ .
(٢) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون جـ٣ ص ٧٨ . لاسماعيل باشا بن محمد أمين .
(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة ص ٦١٧ .
(١) سنن أبي داود جـ ٤ ص ٢٢٤ ط بيروت .
(١) رواه البخاري في الطب .
(٢) رواه النسائي وابن حبان والحاكم والطحاوي . وأبو نعيم من حديث ابن عباس وأحمد عن أنس .
(٣) أخرجه البخاري في الأدب المقرر والأربعة وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم .
(٤) أخرجه النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان والحاكم عن جابر رفعه .
(٥) رواه أبو داود .
(١) رواه ابن ماجه .
(١) رواه البخاري في كتاب الطب .
(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد .
(١) رواه البخاري في كتاب الطب .
(٢) فتح الباري كتاب الطب .
(١) رواه البخاري في الطب .
(٢) فتح الباري .
(٣) رواه البخاري في كتاب الطب .

رئيس الجلسة : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

شكرا للدكتور / أحمد عمر هاشم على هذا البحث القيم وعلى الجوانب الكثيرة الممتعة التي نبه إليها وقد أشار في حديثه إلى الجانبين الهامين في الطب وهما الجانب العملي والعلاجي والجانب النفسي الإيماني وبهذا يستطيع أن يتميز الطب الإسلامي على غيره من أنواع الطب .

البحث الثالث الذي نتم به حلقة هذه الدراسة للتراث الطبي النبوي هو البحث الذي يقدمه الدكتور / عبد الستار أبو غدة ويتناول أحاديث الطب وخصائصها وتصنيفها وجمعها فليتقدم مشكورا . .

أحاديث الطب

خصائصها وتصنيفها ومنهج جمعها

للدكتور عبدالستار أبو غدة

الموسوعة الفقهية ـ وزارة الأوقاف

الكويت

أولاً

خصائص أحاديث الطب :

السنة النبوية شقيقة القرآن ، وهي ـ مع دورها في التأكيد والبيان ـ لها صلاحية التشريع المبتدأ والإخبار اليقيني أو القاطع للشك . وفي تطبيقاتها رسم الصورة الحية لهذا الدين ، وبعبارة أخرى هي التشكيل العملي للإسلام بشموله وعالميته وأبديته ، فلا غرابة إذا كان للطب حظ كبير في نصوصها وهديها ، لأن ذلك ينسجم مع المنزلة الرفيعة التي تبوأها الطب في الإسلام ، إذ اعتبره مؤرخو العلوم العربية والإسلامية على رأس علوم الحياة ، وأحله الفقهاء المحل اللائق به اذ عدُّوه قرينا لعلم (الفقه) الذي به صلاح الأديان ، باعتبار (الطب) صلاحا للأبدان .

والأصل في السنة أنها أحكام وآداب وجدت للعمل بها بأي درجة من درجات التكليف ، انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسولُ فخُذوه وما نهاكم عنه فانتهُوا** ﴾ ولم يمنع هذا من أن تقتضي المنهجية العلمية للفكر الأصولي خلوَّ أقسام من السنة من الطابع التشريعي ، إما بسبب الخصوصية بالنبي ﷺ ، وهو مجال محصور وبساطه مطوي الآن ، أو بسبب تولد الأعمال عن الجبلة البشرية ، أو ابتنائها على الرأي والخبرة المكتسبة . . فهذان النوعان الأخيران لم يُختلف في عدم استحقاقهما ما للسنة الموحَىٰ بها من أحكام ، ولا يدخلان في الأمر المطلق بالأخذ بها .

على أن العلماء لم يختلفوا في أن هذا القطاع أيضاً مما يَنتفع المسلم بفعله بقصد الاقتداء والتأسي والإشعار بالحب والتعلق بمنهج المقتدىٰ به ، ومن أحبَّ قوماً تشبه بهم .

ووجود مثل هذا الاستثناء المشار إليه هو من جهة يلائم طبيعة الأشياء ، فلا مِراء في بشرية الرسول (ﷺ) وهي الصفة الأولى له وأنه يَعرِض له ما يَعرض للبشر من أفعال لا تُخل بخصائص النبوة التي هي الصفة الثانية له فهو بشر رسول﴿**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا**﴾ . (الإسراء/٩٣) ومن جهة ثانية لايخل هذا الاستثناء بقوة المبدأ

الأصلي المجمع عليه ، وهو أن الأصل في السنة النبوية أنها لالتزام العمل بها ، كما أن التصرفات الصادرة عن النبي (ﷺ) في كل ما هو موجه للناس يعتبر الغرض منها التبليغ للشرع ، ما لم ترد قرائن تصرفها عنه إلى غرض آخر ، كالمَشُورة النابعة من الخبرة ، أو الإرشاد المستند إلى الدربة المكتسبة من المعطيات البشرية والبيئية إلى غير ذلك من الأغراض التي تصدر عنه (ﷺ) كالفتوى ، والقضاء ، وتصرفات الامامة (الحكم وسياسة الدنيا وحراسة الدين) وتصريف أمور المعيشة .

يقول القرافي : « إن غالب تصرفه (ﷺ) بالتبليغ ، لأن وصف الرسالة غالب عليه ، ثم تقع تصرفاته ﷺ :

ـ منها ما يكون بالتبليغ والفتوى اجماعا .
ـ ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء .
ـ ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة .
ـ ومنها ما يختلف العلماء فيه لتردده بين رتبتين فصاعداً :

فمنهم من يغلِّب عليه رتبةً ، ومنهم من يغلب عليه أخرى .

ثم تصرفاته بهذه الأوصاف تختلف آثارها في الشريعة ، فكل ما قاله ﷺ أو فعله على سبيل التبليغ كان ذلك حكما عاما على الثقلين إلى يوم القيامة ، فإن كان مأمورا به أقدم عليه كل أحد بنفسه ، وكذلك المباح ، وإن كان منهيا عنه اجتنبه كل أحد بنفسه ، وكل ما تصرف فيه عليه السلام بوصف الإمامة لا يجوز لاحد أن يُقْدِم عليه إلا بإذن الإمام اقتداء به عليه السلام ، ولأن سبب تصرفه فيه بوصف الإمامة دون التبليغ يقتضي ذلك . وما تصرف فيه ﷺ بوصف القضاء لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بحكم حاكم اقتداء به ﷺ ، ولأن السبب الذي لأجله تصرف ﷺ بوصفِ القضاء يقتضي ذلك »[1] .

وفي السنة أحاديث تتصل بالطب تنظم شئون الإنسان في أحوال مرضه وصحته ومداواته ووقايته ، وهذا اللون من الأحاديث له خصائص بحسب النظرة الاعتبارية ، وبسبب علاقة هذه الأحاديث بالشئون الدنيوية التي يتطرق الاحتمال لصدورها على غير سبيل الوحي ، والسنة وحيٌ غيرُ متلوٍّ ، لكن بحسب الاعتبارات المشار إليها يتنازعها عاملان (أحدهما) بشرية الرسول ﷺ وما لا ينفك عنه من أعمال جبلية ، و (الآخر) نبوته ورسالته التي هي الصفة المميزة له .

وممن اعتبر الطب النبوي جزءا لا يتجزأ من السنة الإمام الحليمي ، فقد أورد الطب في عداد ما جاءت به الرسل ، فقال ، وهو يذكر خصائص الأنبياء ومعجزاتهم وما تميزوا به :

« ومنها : الهداية إلى مصالح الأبدان ، وهي علم الطب الذي جملته حفظ الصحة على الصحيح ، ورفع السقم عن السقيم ، فإنه لما كان في علم الله تعالى أنه لا تخلص الصحة للناس دائما ، ولكن تستقيم أوقاتا ، وكان خلق في الأرض أشياء إذا استعملوها زالت عوارض الاسقام عنهم ، وأشياء إذا تناولوها حلت الأسقام فيهم ، ووقعت الحاجة إلى معرفة المضار والمنافع مما في الأرض على وجهه وحقيقته ، واحتاجوا مع ذلك إلى معرفة الأدواء والعلل وأسبابها الجالبة

لها وأعراضها التابعة لها والدالة عليها ، ليستدلوا بمعرفة الأسباب على وجه التحرز ، وبمعرفة الأعراض على حقائق العلل ثم يتوصلوا بمعرفة الأدوية وطرق استعمالها على دفع ما قد حدث ، فتكون السلامة ، وتعود الصحة .

وإذا كانت الحاجة إلى جميع ما ذكرنا واقعة ، وكانت عقول الناس تحسر عن إدراكه بلا إخبار مخبر إياهم احتاجوا إلى المخبر عنه ، كما أنهم إذا لم يعلموا ما الذي يرضي الله تعالى عنهم ، وما الذي يبيحه ، أو يكره وقوعه منهم ، احتاجوا إلى المخبر عنه ، وكما أزيحت هذه العلة لهم بالرسل كذلك أزيحت العلة فيما وصفنا بالرسل ، وذلك مذكور في الكتب ، ولا يمكن الأمر إلا على ما وصفت » .

هذا نموذج مما اتجه إليه بعض المتقدمين وربما كان هو الاتجاه الأساسي ، لأن من قال غير ذلك تميز بموقفه المخالف لهذه المقولة ، والمنقولة عنهم المخالفة فيها قلة قليلة . .

وهناك نموذج آخر من المتأخرين هو ابن أبي شريف فقد نقل عنه علي القاري ممانعته للتفصيل في السنة بين الأمر الديني والأمر الدنيوي من حيث الاحتجاج بما قاله ﷺ ، وفي ذلك قال ابن أبي شريف ما نصه :

« وقول الرسول ﷺ حجة في الأمور الدنيوية وغيرها ، لأنه إما بوحي ، أو باجتهاد لا يُقّر على الخطأ فيه » ثم قال عن حديث تأبير النخل : « مراجعته كانت قبل استقرار اجتهاده ، والتلقيح من ربط المسبب بالسبب ولو شاء الله صلحت الثمرة بدونه ، وهو اعتقادنا ، وقوله : « أنتم أعلم » لا ينافيه »[٣] .

ثانياً
تقسيمات وتصنيفات أحاديث الطب :

تمهيـــد :

لا يقتصر الغرض هنا على مجرد النظرة التقسيمية الفنية ، بل لهذه التقسيمات أثرها في الحكم والاعتبار . ولا يخفى أن مما جرى مجرى الأمثال العلمية : أن كل تقسيم لا يترتب عليه اختلاف في الحكم فهو لغو . . ومن الواضح أن لأحاديث الطب ـ كأحاديث غيره من الموضوعات ـ تصنيفات عديدة ، تبعا لما يقصد من دلالته من جزم أو ظن ووجوه متنوعة من البيان ، أو بحسب ما يسلك به من أسلوب ، أو بالنسبة لما ينشأ عنه من طريقة دلالة ، وأخيراً ـ وهو في المرتبة الأولى تطبيقاً ـ وفق طريقة الورود من صحة أو ضعف . .

التقسيم من حيث الورود :

ـ أما ما يتصل بطريق الورود فهو الخطوة الأولى في التعامل مع النصوص ، لأن اثبات النص يسبق النظر في مدلوله ، وعلى ذلك جاء المثل القائل : « أثبت العرش ثم انقش » . ومن الجهد الضائع البحث في مفاد النص قبل التحقق من

صحة وروده طبقا للأصول المعتمدة في علوم الحديث وبخاصة علم المصطلح وعلم التخريج وأصول الحكم على المرويات بعد دراسة الرواة . . وهذه الاشارة تكفي في هذا المقام .

التقسيم من حيث الأسلوب :

ـ وأما النظر في الأسلوب ، فإن السنة ـ مهما كان موضوعها ـ تصنف بحسب وسيلة الافادة ، فبعضها أقوال ، وبعضها أفعال ، وبعضها تقرير لأمور فُعلت أو قيلت بمحضره ﷺ دون نكير منه .

ولم يسوِّ العلماء بين القول والفعل والتقرير في الدلالة والحجية ، ولم يكن ذلك نقصا من قوة أحدها ، بل تقصيا لملابسات كل من هذه الصيغ ، فالقول يحتمل عموم الصيغة وخصوصها ، والاطلاق والتقييد ، في حين أن الأصل في الفعل أن يختص ويتقيد ، ولذا يقال عند المنازعة في عموم الفعل : إنه واقعة حال ، أي لا يتجاوز ما دار حوله إلا بقرائن لفظية أو نحوها . . أما التقرير فيتبع الأسلوب الذي انصب عليه من أقوال أو أفعال . .

وإن التفرقة بين الأقوال والأفعال قد اقتضت تطبيقات مختلفة ، إلا أننا نكتفي برأس الموضوع في هذا من خلال مسألتين صدّر بهما علماء الأصول مبحث السنة :

المسألة الأولى ـ في أقواله (ﷺ) :

حيث تكلموا عن شأن مقولاته (ﷺ) وعلاقة ذلك بالصدق والعصمة ، ذلك أن القول إما مطابق للواقع ، وهو الصدق ، أو مخالف للواقع ، وهو الكذب . ولا يستعظم إيراد المسألة بهذه الصورة فهي هكذا وردت ، والإخبار عن خصائص مادة علاجية إذا لم يعتقد مطابقته الواقع فهو مخالفة له إما عمدا أو غلطا . وقد قرروا أن تعمد الكذب بعد الرسالة مجمع على عصمة الأنبياء منه في الأحكام لدلالة المعجزة على صدقهم . وأما الكذب غلطا فجوزه القاضي (أي الباقلاني) ومنعه الباقون لما مر من دلالة المعجزة على الصدق ، أما الباقلاني فمنع دلالته على الصدق مطلقا ، بل على الصدق اعتقادا فجاز الكذب غلطا . .

ولم يقتصر كلام الأصوليين على (القول) بل شمل (التقرير) على (القول) مع التقسيم إلى ديني ودنيوي ، تأسيسا على الحكم بصدق المخبر بحضرة قوم لم يكذّبوه ولا حامل على سكوتهم عن تكذيبه من خوف أو طمع في شيء منه ، لأن سكوتهم تصديق له عادة . فقد صرحوا بأن « المخبر بمسمع من النبي (ﷺ) ولا حامل على التقرير على الكذب فالمخبر صادق فيما أخبر به دينيا أو دنيويا لأن النبي لا يقر أحداً على كذب خلافا للمتأخرين ، منهم الآمدي وابن الحاجب في قولهم : لا يدل سكوت النبي (ﷺ) على صدق المخبر . أما في الديني فلجواز أن يكون النبي (ﷺ) بيّنه أو أخر بيانه بخلاف ما أخبر المخبر . وأما في الدنيوي فلجواز أن لا يكون النبي (ﷺ) يعلم حاله كما في إلقاح النخل ، وسيأتي الكلام عن هذا الاستدلال وورده» ـ ثم قالوا « وفي الدنيوي : إنه إذا كان كذبا ولم يعلم به النبي (ﷺ) يعلمه الله به عصمة له عن أن يقر أحداً على كذب ، كما أعلمه بكذب المنافقين . .

أما حديث القاح النخل فهو أنه (ﷺ) قَدِم المدينة وهم يأبرون النخل فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : شيء كنا نصنعه ، فقال : لو لم تفعلوا كان خيرا . وفي رواية : ما أظن ذلك يغني شيئاً ، فأخبروا بذلك فتركوه ، فنقصت . فذكروا ذلك له فقال : إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر . وفي رواية لمسلم عن أنس مرفوعا : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » وفي رواية لمسلم أيضا عن طلحة : إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن » .

قال ابن رشد في كتاب البيان والتحصيل : هذا الحديث روي بألفاظ مختلفة متقاربة معنى ، كقوله ﷺ : « ما أنا بزارع ولا صاحب نخل » ولا منافاة اذ كُلٌّ حكى ما سمع وإنما نفى الظن بأنه لا يلزم لاختصاصه بالأحياء ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي ، وقال أبو الوليد : إنه صلى الله تعالى عليه وسلم بين أنه لا تأثير في الصلاح والإفساد لغير الله تعالى إلا أن الله قد يجري العادة بأسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتأبير وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل : عليه : إن عدم علمه به بعيد فالأولى أن يقال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نبههم على توكل الخواص بترك الأسباب الذي هو من مقامات الأنبياء دون غيرهم وقوله : « لا تؤاخذوني . . » إلى آخره المراد أنه ظنهم من أهل هذا المقام فلما أخبروه بحالهم ردهم لها وقال لهم : أنتم أعلم بحالكم .

ومع أن خلافا صريحا في هذا جاء في كلام القاضي عياض حيث فرق بين الأمور الدنيوية وهي ما قاله من قبل نفسه (وظنه من أحوالها) وبين ما سوى ذلك ما قاله من قبل نفسه (واجتهاده) في شرع شرَّعه وسنة سنّها . ثم قال : فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه ، إذ ليس في هذا كله دنية ولا محطة ، وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همّه ، وشغل نفسه بها ، والنبي ﷺ مشحون القلب بمعرفة الربوبية . إلا أن القاضي عياضاً عاد ليقرر نحو ما سبق بالنسبة للأقوال فقد عقد لذلك فصلا قال فيه ما معناه مما أوضحه الشراح :

(فصل : وأما أقواله) ﷺ (الدنيوية) أي المتعلقة بأمور الدنيا التي لا تعلق لها بالشرع (من أخباره عن أحواله) التي لها تعلق به ﷺ في نفسه وسائر أموره (و) أخباره عن (أحوال غيره) الدنيوية (وما يفعله) هو في المستقبل (أو فعله) فيما مضى مما صدر منه ﷺ (فقد قدمنا أن الخلف) هو بضم الخاء وسكون اللام أعم من الكذب لأنه يكون في الأمور التي يعبر عنها بجملة انشائية (فيها ممتنع عليه) ﷺ فلا يصدر عنه أمر يخالف ما في نفس الأمر لأنه معصوم في أقواله وأفعاله (في كل حال) من أحواله البشرية (وعلى أي وجه) من وجوه أحواله التي يقع عليها وبينه بقوله (من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضاً أو غضب فإنه ﷺ معصوم منه) أي محفوظ من الله تعالى عن أن يصدر عنه خلف في شيء من أخباره (هذا) الأمر الذي عصم فيه من أقواله (فيما طريقه الخبر المحض) أي طريقه التي ورد فيها قوله وخبره اذ كان من الخبر المحض أي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض التي يراد بها التورية .

وقد أوردوا لهذه المعاريض أمثلة منها ما كان يورى به عند الغزوات وما كان يؤنس به أصحابه في الممازحات . .

المسألة الثانية ـ في أفعاله (ﷺ) :

فإن أفعاله تنقسم إلى أفعال غير جبلية هي محل البحث في درجة التكليف بها ، وأفعال جبلية وهي كالقيام والقعود والأكل والشرب قال في شرح العضد : « فعله عليه الصلاة والسلام إن وضح فيه أمر الجبلة كالقيام والقعود والأكل والشرب فواضح أنه مباح له ولأمته فلا خلاف فيه ، وإن ثبت تخصيصه به كوجوب الضحى والأضحى والوتر والمشاورة وتخيير نسائه فيه وإباحة الوصال في الصوم والزيادة على أربع نسوة فواضح أيضا أنه لا يشاركه فيه الأمة فلا خلاف فيه . وأما سواهما فإن عرف أنه بيان لنص علم جهته من الوجوب والندب والإباحة اعتبر على جهة المبين من كونه خاصا وعاما اتفاقا ومعرفة كونه بيانا ، أما بقول وإما بقرينة ، فالقول نحو « خذوا عني مناسككم » و « صلوا كما رأيتموني أصلي » . والقرينة مثل أن يقع الفعل بعد إجمال كقطع يد السارق من الكوع دون المرفق والعضد بعدما نزل قوله ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما** ﴾ (المائدة / ٣٨) والغسل إلى المرافق بادخال المرافق أو اخراجها بعدما نزلت ﴿ **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾ (المائدة / ٦) وأما ما سواه أي ما لا يعرف أنه بيان فإن علمت صفته من الوجوب والندب والإباحة فأمته مثله في ذلك . وقال أبو علي بن خلاد : أمته مثله في العبادات خاصة دون غيرها . وقيل : هو كما لم تعلم جهته . وها هو نذكر حكمه فنقول : وإن لم تعلم جهته بالنسبة إليه فبالنسبة إلى الأمة فيه أربعة مذاهب : الوجوب ، والندب ، والإباحة ، والوقف ، ومذهب خامس وهو المختار عند المصنف وهو التفصيل بأنه ان ظهر قصد القربة فالندب وإلا فالإباحة فهنا مقامان : إن ما علم جهته فأمته فيه مثله ، وإن ما لم تعلم جهته فإن ظهر قصد القربة فالندب وإلا فهو الإباحة لنا في المقام الأول » .

والخلاصة أن التفرقة بين الجبلي من الأفعال وغيره محل اعتبار ويترتب عليه أن حكم الجبلي لا يعدو الإباحة له (ﷺ) ولأمته بالاتفاق .

وأما الأقوال فإن التفريق بين الديني والدنيوي منها ليست ذات بال في نفسها وإنما بما يخص بها من قرائن في أسلوب البيان من جزم وظن وما يدل على أن مصدرها عن اجتهاد أو الهام أو عن ظنون مبعثها الاستقراء من الأحوال .

من حيث الدلالة والبيان :

وأخيراً هناك اعتبار آخر في تقسيمات الحديث يتصل بالدلالة والبيان ، فإن السنة هنا ـ وفي المجالات الأخرى ـ ترد في صور مختلفة في الأثر والمفاد ، فهي :

ـ إما عبارة النص ، أو إشارته ، أو دلالته ، أو مقتضاة المضمر ضرورة فهم الكلام وانتظام المعنى .
ـ وإما نص معالج لما جاء له السياق ، أو مجرد معنى ظاهر غير مسوق له النص .
ـ وإما مؤول أو مفسر أو محكم أو متشابه .

إلى غير ذلك من وجوه البيان وأنواع الدلالات التي يعنى بها أصول الفقه وقواعد الاستدلال لفهم النصوص مهما كان موضوعها .

وتتصل بذلك قواعد للجمع بين ما يوهم ظاهره التعارض أو مصادمة مبدأ عام ، ليصار إلى الجمع ما أمكن أو الترجيح بطرقه المعتبرة . وحين نقول هنا الجمع ، أو الترجيح ، فليس المراد بين حديثين في الطب فحسب ، بل بين نص حديثي طبي ونص حديثي من مجال آخر أيضا .

وإنه لا عذر في اغفال هذا التقسيم والإفادة منه بما يكفل العمل بالنصوص على الوجه المناسب لقواعد الاستدلال والاستنباط ، فإن تلك القواعد وضعت لتستثمر في هذا وغيره مما جاءت بشأنه نصوص ، وفي هذا الصنيع منجاة من اهمال النص الحديثي الطبي أو الارتباك في التوفيق بينه وبين غيره من نصوص .

ثالثاً
منهج مبدئي لتجميع أحاديث الطب :

وأحاديث الطب بحاجة إلى جمع استقصائي ، لتسهيل البحث فيها والاستشهاد بها ، وكذلك لتمكين الباحثين من تجربتها وقياس فاعليتها بالمقاييس العصرية .

والأحاديث بعضها تنظيم للمبادىء العامة في التطبيب والعلاج والمحبوب والمكروه من وسائله ، والموازنة بين ما هو مأمون العاقبة وبين ما له ملابسات ضارة ومع هذا يجوز أخذا بأهون الضررين . . كما أن بعضها يبين الدرجة التكليفية لإجراءات العلاج المختلفة من إباحة وحرمة وكراهة . . وما تدخله الضرورة مع مقاديرها المتفاوتة ، وبعض الأحاديث نعت للأدوية والأغذية الموافقة للصحة والمؤثرة في دفع العلل . .

ولابد من منهج يبين حدود ما يراد جمعه لأن هناك أسسا مختلفة للشمول أوسعها قد يتناول معظم السنة ، لأنه لا يخلو حديث من دور وقائي ، أو بنائي انشائي لما فيه صلاح الجسم والروح والنفس ، وهذا الأساس يؤدي إلى غيبوبة الأحاديث الخاصة بالطب والتي تتناول مباشرة حقيقة علاجية محددة . لذا كان لابد من التركيز على الأحاديث التي اهتم علماء الحديث بإدراجها في أبواب تحمل مدلولات طبية مهما اختلف التعبير عنها دون اغفال جوامع أحاديث الوقاية . .

هذا ، وإن كتب الحديث النبوي إما مرتبة على الأبواب والمواضيع الفقهية وهي الصحاح والسنن ، ونحوها ، وإما مرتبة على الرواة في أعلى السند وهم الصحابة وهي كتب المسانيد ، أو الرواة في أدناه وهم الشيوخ أصحاب الكتب (وهي كتب المعاجم) . وإلى جانب الكتب المبوبة على المواضيع نشأت الكتب المفردة ويسميها علماء الأحاديث الأجزاء أيضا فهي (مفردة) لأنها تناولت بابا دون غيره ومثالها (الأدب المفرد) للبخاري ، وجزء في قيام الليل للمروزي .

ومن هذا القبيل الكتب المفردة بعنوان (الطب النبوي) والأصل في مضمون هذه الكتب أن تشتمل على الأحاديث والآثار فقط دون مزيد من الشرح والتعليق ، وربما استعيض عن ذلك بالأبواب ذات الدلالة التامة على ما يدل عليه الحديث ، أو ما يستفاد منه . وقد يستخدم التبويب للاشارة إلى قيد في الحديث يؤخذ من أحاديث أخرى أو تفسير غامض فيه دون أن يبسط القول في ذلك . على أن بعض كتب الطب النبوي قد تناولت المسائل العلمية بالبحث والدراسة مع الاستشهاد بالأحاديث والآثار ، أو استخلاص مدارها من حيث الأغذية أو الأدوية التي وردت عنه ﷺ المعالجة بها ،

وكذلك الأدعية والرقىٰ التي ثبت الاستشفاء بإذن الله بقراءتها.

والحاجة ماسة إلى بيان حال الأحاديث المتداولة في مجال الطب والعلوم الطبية ، حيث إن كثيرا من الأحاديث أصبحت مدارا للبحث ، وقد يكتب في الواحد منها مقالات عديدة بعضها يتابع فحوى الحديث ويستنبط منه ، كما أن حيوية موضوع الطب وأثره في حياة الناس يجعل الحديث عنه مدارا للنقاش في المجتمعات والمحافل ومن ثم التساؤل عن معطيات الحديث فيه انطلاقا من حرص الإنسان على ما ينفعه واهتماما بهذا النوع من العلاج المدعوم بالغيبية الصادقة المصدوقة .

وإن تسليط الضوء على أحاديث الطب أمر لابد منه لفهم الأحاديث وبيان درجاتها وتسهيل ادراك الحكم القطعي أو الظني منها ، وبذلك يتحلى الباحث في بحثه بالتحقيق ، ويضيف الطبيب بذلك إلى مصادر علمه العامة والخاصة مصدرا أصيلا .

والغاية من رسم هذا المنهج أن يكون مدخلا إلى إعداد المجموعة الكاملة للأحاديث المتصلة بالطب وهو يتيح تصورا شاملا لدور السنة في هذا المجال كما أنه يأتي بالأحاديث المشتهرة على وجهها الصحيح من حيث ضبط النص وتسلسل أفكاره وتعريته من الزيادات المقحمة ووقايته من الاقتصار على بعض عبارات الحديث . . وبذلك يتيسر للناس استيعاب احاديث الطب واعطاؤها حقها من الدرس والبحث ، وكذلك الوصول إلى ما تقتضيه هذه النصوص . كما يقتضي هذا السيرَ خطوات أخرى في سبيل توحيد فكر الأمة في ظل النصوص المعصومة التي تشكل منارات لا تطفأ . . وهي العمدة للفقهاء في معالجة القضايا وهي أخيراً العون للأطباء للازدياد من العلم المأثور عمن لا ينطق عن الهوى ﴿ **إن هو إلا وحي يوحى** ﴾ (النجم / ٤) .

هذا ، وإنه لابد أن تستوعب الأحاديث في كتب السنة المطبوعة ومن خلال طبعات معتمدة ، ومن أشهر تلك الكتب المجموعة التي تشتمل أولا على الأحاديث مع الأسانيد ثم المجموعة الأخرى للكتب المجردة وهي كتب الجمع :

أولاً ـ أهم مراجع الأحاديث المسندة وأشهر طبعاتها (مع مراعاة الترتيب التاريخي) :

* **صحيح البخاري** ، للبخاري ، أبي عبدالله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) . إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ٩ ج .
* **صحيح مسلم** ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م . ٥ ج .
* **سنن أبي داود** ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد ، دار احياء السنة النبوية ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الأولى ، ٤ ج .
* **سنن الترمذي** ، للترمذي ، أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ) . تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الثانية ٥ ج .
* **سنن النسائي** ، للنسائي ، أبي عبدالرحمن بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ) مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ هـ ، ٨ ج .

* **سنن ابن ماجه** ، لابن ماجة، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي . عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٢ م ، ٢ ج .
* **موطأ مالك** ، لمالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري (ت ١٧٩ هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، ٢ ج .
* **مسند الطيالسي** ، « منحة المعبود في ترتيب مسند أبي داود الطيالسي » لأبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود (ت ٢٠٤ هـ) تحقيق وترتيب : أحمد عبدالرحمن البنا . المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ هـ ، ٢ ج .
* **بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن** (ت ٢٠٤ هـ) ، لأحمد عبدالرحمن البنا ، دار الأنوار ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ، ٢ ج .
* **مصنف عبدالرزاق** ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٩١/١٩٧٢ م ، ١١ ج .
* **مسند الحميدي** ، للحميدي، أبي بكر عبدالله بن الزبير (ت ٢١٩ هـ) تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمى ، عالم الكتب ببيروت ومكتبة المتنبي بالقاهرة ، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ ، ٢ ج .
* **مصنف ابن أبي شيبة** ، لابن أبي شيبة ، عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥ هـ) تحقيق : عبدالخالق الأفغاني ، الدار السلفية ، الهند ، الثانية ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . ١٥ ج .
* **مسند أحمد** ، لأحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) . المكتب الاسلامي ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الأولى ١٠٩٤ هـ ، ٦ ج .
* **سنن الدارمي** ، لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن (ت ٢٥٥ هـ) تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني . السيد عبدالله هاشم اليماني ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ٢ ج .
* **مسند البزار** ، (ت ٢٩٢ هـ) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة . للهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ٣ ج .
* **صحيح ابن الجارود** ، لأبي محمد عبدالله بن علي (ت ٣٠٧ هـ) تحقيق : عبدالله هاشم اليماني المدني ، عبدالله هاشم اليماني . المدينة المنورة ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م ، ٣٨٤ صفحة .
* **صحيح ابن خزيمة** ، لابن خزيمة، أبي بكر محمد بن اسحاق النيسابوري (ت ٣١١ هـ) تحقيق : د . محمد مصطفى الأعظمى . المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٩ / ١٩٧٩ م ، ٤ ج .
* **مسند أبي عوانة** ، لأبي عوانة ، يعقوب بن اسحاق الاسفرائني (ت ٣١٦ هـ) دار المعرفة ، بيروت ، مصورة عن الطبعة الأولى ، ٢ ج .
* **صحيح ابن حبان** « موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » (ت ٣٥٤) للهيثمي ، أبي الحسن علي بن أبي بكر ، تحقيق : محمد عبدالرزاق حمزة . المطبعة السلفية ، القاهرة ، ٦٨٠ صفحة .
* **معجم الطبراني الكبير** ، للطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي ، وزارة الأوقاف العراقية ، بغداد ، الثانية ، ١٤٠٤ هـ ؛ ٢٥ ج .
* **سنن الدارقطني** ، للدارقطني ، على بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) تحقيق : السيد عبدالله هاشم اليماني . السيد عبدالله هاشم اليماني ، المدينة المنورة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ٤ ج .
* **مستدرك الحاكم** ، للحاكم، أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن حمدويه النيسابوري (ت ٤٠٥) مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، مصورة عن طبعة حيدر آباد سنة ١٣٣٥ هـ .
* **السنن الكبرى للبيهقي** ، للبيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٥٢ هـ ، ١ ج .

ثانياً : أهم مراجع الأحاديث المجردة من الأسانيد :

* **اللؤلؤ والمرجان** فيما اتفق عليه الشيخان (البخاري ومسلم) جمع محمد فؤاد عبدالباقي ، مراجعة : د . عبدالستار أبو غدة مع تقديم وفهرسة . طبع وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت ١٩٧٧ (طبعة ثانية بالصين ، الجمعية الاسلامية الصينية) .
* **جامع الأصول** لمجد الدين المبارك بن الأثير الجزري ، للكتب الستة بإبدال ابن ماجه بالموطأ طبع عدة طبعات .
* **مجمع الزوائد** للحافظ نور الدين الهيثمي جمع ما زاد على الكتب الستة في كل من مسند أحمد ، ومسند أبي يعلي ، ومسند البزار ، ومعاجم الطبراني الثلاثة . (طبع بمطبعة القدسي) .
* **جمع الفوائد** من جامع الأصول ومجمع الزوائد للروداني ، في مجلدين كبيرين طبع المدينة المنورة ١٩٦١ .
* **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية** ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق العلامة الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي . طبع وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت ١٩٧٠ (أربعة أجزاء) .
* **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير** ، للسيوطي . طبع دار الكتب العربية (مصطفى البابي الحلبي) في ثلاثة أجزاء .
* **الجامع الكبير** أو **جمع الجوامع** للسيوطي . طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب في مجلدين كبيرين .
* **المقاصد الحسنة** في الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للسخاوي .
* **كشف الخفاء والإلباس في الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس** ، للعَجْلوني .
* **نيل الأوطار** شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني (٨) أجزاء .
* **الترغيب والترهيب** ، للحافظ المنذري (٦) أجزاء .

ثالثاً ـ من الكتب المفردة في الطب النبوي والتي تعنى بأحاديث الطب :

* **الطب النبوي** ، لابن القيم (أحد أقسام كتابه ، زاد المعاد في هدى خير العباد) . طبع مراراً .
* **الطب النبوي** ، للحافظ الذهبي ، تحقيق رفعت البدراوي طبع دار احياء العلوم ، بيروت .
* **مختصر الطب النبوي** ، للسيوطي ، تحقيق ابراهيم محمد الجمل ، نشر مكتبة القرآن ، بالقاهرة .
* **الأحكام النبوية في الصناعة الطبية** ، للعلامة الطبيب على بن طرخان .

من العناوين الأساسية لأحاديث الطب :

أولاً ـ قواعد عامة للعلاج :

ـ تعليم الطب وتعلمه
ـ التداوي ، إباحته ، تركه
ـ إحضار الطبيب إلى المريض
ـ ترك إعطاء ما يكره المريض
ـ تشهية المريض واطعامه مشتهاه
ـ تطبيب نفس المريض
ـ مراعة المعتاد واختيار ألطفه
ـ اختيار الطبيب الأحذق
ـ اجتناب من لا يحسن الطب
ـ تضمين الطبيب الجاهل
ـ التحرز من العدوى وورود الممرض على المصح
ـ التسمي بطبيب
ـ أجرة الطبيب
ـ مداواة الرجال للنساء وعكسه
ـ التداوي بالمحرمات أو بالنجاسات

ثانياً ـ تطبيقات علاجية خاصة :

ـ العلاج بالكي
ـ العلاج بالفصد
ـ العلاج بالحجامة
ـ العلاج بالطيب
ـ العلاج بالاستفراغ للقيء
ـ العلاج بالجس
ـ العلاج بعصب الرأس
ـ العلاج بحلق الشعر
ـ العلاج بالسعوط
ـ العلاج بالحمية
ـ العلاج بالعسل
ـ العلاج بالتمر

*** من العلاجات الروحية النبوية :**

ـ العلاج بالرقى المأثورة .
ـ العلاج بالتمائم المشروعة .
ـ علاج الرقية من العين .
ـ علاج المصيبة .
ـ علاج الهم والغم الخ . .
ـ علاج الفزع والأرق .
ـ علاج الحريق .

آداب وقائية لكل من :

ـ الأكل والشرب واللبس والسكن والنوم واليقظة الخ .

*** آداب عيادة المريض :**

ثالثاً ـ أمراض وعلل فيها علاجات نبوية :

ـ علاج الطاعون والوباء
ـ علاج الجرح والقرح
ـ علاج الصرع
ـ علاج الاستسقاء
ـ علاج عرق النسا
ـ علاج يبس الطبع
ـ علاج الحكة والقمل
ـ علاج ذات الجنب
ـ علاج العذرة
ـ علاج الصداع والشقيقة
ـ علاج المفؤود
ـ علاج الرمد
ـ علاج الخدَران
ـ علاج البثرة
ـ علاج الأورام والخراجات
ـ علاج الحمى
ـ علاج السحر
ـ علاج السم
ـ علاج اللدغة
ـ علاج النملة
ـ علاج الحية
ـ علاج الغيلة
ـ علاج الولوغ

رئيس الجلسة : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

شكرا للدكتور / عبدالستار على هذا البحث القيم الذي تناول في مفتتحه التفرقة بين الأمور الدنيوية والدينية في مادة الطب النبوي ثم لجمعه بين النظر النقدي للأحاديث الطبية وتصنيفها وبين الفقه واعتماد قواعد استنباط الأحكام ثم الدعوة الصريحة إلى جمع أحاديث الطب النبوي على نسق معين وبيان المنهج الذي ينبغي أن يعتمد في ذلك حتى يكون الهدى النبوي في هذا المجال في متناول عامة الناس .

بقي أمامنا بحث الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو عن المخطوطات وأطلب من الإخوة الحضور من يريد منهم أن يعلق أو يسأل سؤالاً أن يكتب ذلك ويرفعه إلينا متقدما باسمه ووظيفته إن أمكن هذا . . .

الكلمة الآن للدكتور / أكمل الدين إحسان أوغلو عن موضوع جيد جدا يتصل بما نحن فيه من التراث الطبي النبوي وهو الحديث عن المخطوطات التركية في الطب النبوي فليتفضل مشكورا . . .

مخطوطات الطب النبوي التركية

للأستاذ الدكتور أكمل الدين احسان أوغلو

مدير مركز أبحاث التراث والتاريخ الإسلامي

باسطنبول - تركيا

اهتم علماء المسلمين منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) بتدوين أحاديث الرسول ﷺ . وكان التدوين يتم في البداية تبعا للرواة ، فظهرت كتب الحديث المعروفة وأهمها مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ = ٨٥٥ م) .

ثم شرع بعض علماء المسلمين من باب التيسير في ترتيب الأحاديث تبعا لحروف الهجاء ، وجمع البعض الآخر الأحاديث المندرجة في الكتب التي لم يتم تنظيمها على نهج معين مثل موطأ بن أنس وكتب الشافعي وأبي حنيفة ، واستخرجوا منها مجموعات خاصة بالأحاديث . أما في العهد الأخير فقد رتب العلماء الأحاديث تبعا لموضوعاتها ، فظهرت كتب الأحاديث المصنفة ، وهي الكتب الستة المعروفة التي صنفهاالبخاري (ت ٢٥٦ هـ = ٨٧٠ م) ومسلم (ت ٢٦١ هـ = ٨٧٥ م) وأبو داود (ت ٢٧٥ هـ = ٨٨٨ م) والترمذي (ت ٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م) والنسائي (ت ٣٠٣ هـ = ٩١٥ م) وابن ماجه (٢٧٣ هـ = ٨٨٦ م)[١] . وظهرت فيما بعد كتب الحديث المستقلة ، أو الكتب التي تنحصر في موضوع بعينه أو تضم مختارات من الأحاديث في مواضيع متباينة .

وقد حررت بعض كتب الحديث في عدد معين من الأحاديث النبوية نظما أو نثرا مثل « الأربعين حديثاً » و « المائة حديث » و « الألف حديث » .

وهناك نوع من كتب الحديث دارت حول موضوعات مستقلة تأليفا أو ترجمة ، وعرفت عموما باسم « كتب الطب النبوي » ، ظهرت تحت أسماء مختلفة ، وضمت أحاديث النبي ﷺ حول الوقاية من الأمراض وطرق العلاج[٢] .

وقد كان للمؤلفين الأتراك نصيب لا بأس به من كتب الطب النبوي التي بدأت تظهر نماذجها الأولى في العربية اعتبارا من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)؛ فقاموا بتأليف وترجمة البعض منها.

إن أقدم الكتب التي ألفت في الطب النبوي من القرن الرابع هو كتاب «الطب النبوي» لأبي القاسم الحسين بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت٤٠٦ هـ / ١٠١٥م)[٣]. غير أن هناك تردداً حول وجود أو عدم وجود علاقة بين أبي القاسم النيسابوري هذا وبين عبد المالك[٤] الذي ذكره الأستاذ الجليل محمد حميد الله على أنه أقدم مؤلف كتب في هذا

المجال، وذكر عام ١٢٠ هـ / ٧٠٩ م تاريخا لوفاته. ويمكننا أن نذكر أن من بين الكتب الأخرى التي صنفت في هذا الموضوع كتاب «الطب النبوي»[٥] الذي صنفه ابن السنى أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري (ت ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م)، و «كتاب الطب في الحديث»[٦] لأبي عبيد بن الحسن الحراني (ت ٣٦٩ هـ / ٩٧٩ م)، وكتاب «الطب النبوي»[٧] لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٨ م) وكتاب «الطب النبوي»[٨] لأبي العباس جعفر بن المعتز المستغفري (ت ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م)، وكتاب «الطب النبوي»[٩] لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٥ م)، والشرح[١٠] الذي وضعه ابن العالمة الدمشقي (أبو العباس أحمد بن أسعد) على الأربعين حديثاً التي جمعها عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، وكتاب «الطب النبوي»[١١] لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)، وكتاب «الأحكام النبوية في الصناعة الطبية»[١٢] لعلي بن عبد الكريم الحموي (ت ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م)، وكتاب «الطب النبوي»[١٣] لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)، وكتاب «الطب النبوي»[١٤] لابن قيم الجوزية أبي عبد الله شمس الدين محمد (ت٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م)، و«كتاب الرحمة في الطب والحكمة»[١٥] لمهدي بن علي الصبيري (ت ٨١٥ هـ / ١٤١٢ م)، وكتاب «الطب النبوي»[١٦] لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت ٨٩٥ هـ / ١٤٩٠ م)، وكتاب «السير القوي في الطب النبوي»[١٧] لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م)، وكتاب «المنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي»[١٨] لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ /١٥٠٥ م)، وكتاب «الرحمة في الطب والحكمة»[١٩] لنفس المؤلف، وكتاب «روض الإنسان في تدابير صحة الأبدان»[٢٠] لخير الدين خضر بن محمود العطوفي المرزيفوني (ت ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م)، وكتاب «المصابيح السنية في طب خير البرية»[٢١] لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي (ت ١٠٦٩ هـ /١٦٥٨ م)، وكتاب «الطب النبوي»[٢٢] لقيسوني زاده محمد بدر الدين (ت ١٠٢٠ هـ /١٦١١)، وكتاب «الطب النبوي»[٢٣] لعبد الوزير الأبهري (مجهول الوفاة)، وكتاب «الطب النبوي»[٢٤] لجمال الدين داود (مجهول الوفاة)، وكتاب «صحت آباد»[٢٥] لعثمان زاده تائب أحمد (ت ١١٣٦ هـ / ١٧٢٣ م)، وكتاب «مختصر طب نبوي»[٢٦] لمرعشي زادة قدوسي أحمد أفندي (ت ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م)، وإلى جانب هذه الكتب، توجد كتب أخرى مجهولة المؤلف[٢٧].

ونستطيع بعد هذا الحصر أن نقول إن عدد مصنفات الطب النبوي التي كتبت بالتركية بلغ ستا ، وتحفظ نسخ هذه الكتب الستة في المكتبات التركية بخط عديد من المستنسخين . كما يمكننا القول أيضا أن هناك عددا آخر من كتب الطب النبوي التركية محفوظة في بعض المكتبات والمتاحف وضمن المجموعات الخاصة بالأشخاص ، ومن المحتمل جدا العثور عليها في المستقبل ، والذي يحول بيننا وبين إصدار حكم قاطع في هذا الصدد هو أن كثيرا من المجموعات الخاصة لم تظهر لها فهارس بعد .

ولقد وجدنا من خلال الحصر الذي قمنا به لهذه الكتب التركية الستة في الطب النبوي أن ثلاثة منها تأليف والأخرى ترجمة، **وأن واحدة من الترجمات الثلاث** نقلها مجهول عن كتاب «الطب النبوي» لأبي القاسم النيسابوري.

وتوجد لهذه الترجمة نسختان مخطوطتان ، إحداهما في المكتبة العامة بولاية قسطموني ، والثانية في المكتبة العامة بولاية أطنه[٢٨] . والنسخة الأولى ، أي المحفوظة في قسطموني كتب عليها عبارة تركية تقول : « هذا الكتاب في فوائد الطعام » ، وهي مسجلة تحت رقم ٣/١٠٤٥ وتاريخ ٩٧٦ هـ/ ١٥٦٨ م ، أما الثانية ، المحفوظة في ولاية أطنه فهي مسجلة تحت رقم ٣/٤٤٦ ، غير أننا لا نعلم الآن هل هي نسخة مطابقة للأولى أم أنها ترجمة أخرى مستقلة ، والأمر متوقف على الاطلاع على النسختين . ونلاحظ في مخطوطة أبي القاسم أصل هذه الترجمة ، والمحفوظة في مكتبة السليمانية (جلبي عبدالله ، رقم ٢/١٢٦ ضمن مجموعة ، ورق ٤٥ ب ـ ٦٠ب)[٢٩] أن المؤلف عقب أن ذكر اسمه قال إنه صنف كتابه استنادا على أحاديث النبي ﷺ في العلاج والطعام ، وأنه حرص على عدم التضخيم في حجم الكتاب فترك أسانيد الأحاديث . والكتاب مختصر في ثلاثة عشر فصلا حول أضرار الطين وعلاج أمراض العيون والأذن والحلق والتقيؤ والأسنان ، وأمراض الشعر والقلب والمعدة وأدوية البطن والقولون وأصول علاجها .

أما الترجمة التركية الثانية فهي التي قام بها الشاعر التركي أحمد الداعي عن كتاب « الطب النبوي » لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م). غير أن أحمد الداعي لم ينقل مباشرة عن كتاب الأصفهاني، بل نقل عن كتاب يوسف التيفاشي الذي حذف فيه أسانيد الأصفهاني وجعل اسمه «الوافي في الطب الشافي».

يقول أحمد الداعي ، بعد البدء بالحمد لله والمدخل . إن « مترجم هذا الكتاب هو العبد الفقير إلى الغني الكبير أحمد بن ابراهيم بن محمد المعروف بالداعي » ثم يعقب على ذلك بقوله « إن السبب والباعث على ترجمة وتأليف وترتيب هذا الكتاب هو أمور بن تيمور طاشي » مشيرا بذلك إلى أن الذي شجعه على ترجمة الكتاب هو أمور بك (ت ٨٦٥ هـ/ ١٤٦١ م)[٣٠] العالم الفاضل أحد أبناء قرا تيمور طاش باشا والذي بلغ رتبة الوزارة على أيام السلطان مراد الثاني . ثم يشير الداعي إلى أن أصل الترجمة عربي بقوله « ترجمنا هذا الكتاب عن العربية » ، وأنه جعل « قاعدة الكتاب مرتبة على عشر مقالات ، كل مقالة في عشرة فصول ، وكل فصل في بيان أصل من الأصول ، ومجموع الفصول مائة » . وأضاف إلى الكتاب فهرستا للتيسير على القارىء وتعميم الاستفادة فقال : «حتى إذا احتاج أحد لمسألة من المسائل نظر في الفهرست، وعلم أية مقالة وأي فصل يضمها، ثم يعثر عليها بسهولة داخل الكتاب».

وتحتوي الترجمة التي قام بها الداعي على موضوعات مختلفة حول الطب ، وانتهج تصدير الأحاديث فيها بذكر أحد المشاهير من رواتها[٣١]، وجعل المقالة الأولى حول فوائد معرفة الطب وتعلمه ، وضرورة استدعاء الطبيب للمرضى ، وأهمية التشخيص ، وجواز قيام الرجل بعلاج المرأة الغريبة ، وقيام المرأة بعلاج الرجل الغريب ، ومضار العلاج بشيء حرام ، والحسد ، وجواز الاستدلال والفراسة . والمقالة الثانية حول التشريح (الشرايين والعظام) ، وفضائل الأصحاء والأقوياء ، وأي الأوقات من السنة والشهر مفيد للصحة ، ومضار الوقوف في الأماكن الرديئة الهواء ، وأوقات القيلولة والنوم ، وأوقات الجماع والأشياء التي تفيد في تقويته ، وفوائد دخول الحمام وآدابه . وتتحدث المقالة الثالثة عن الأطعمة والأشياء الضارة . وتدور المقالة الرابعة حول المياه وغيرها من المشروبات ، والمراهم والمعاجين والعطور والكحل والتوتيا والحناء ، وصبغ شعر الرأس واللحية وفوائد تنظيف الأسنان . وتتحدث المقالة الخامسة على علل الأمراض ، وأمراض الرأس والعين والأنف والوجه والأسنان والحلق والقلب والمعدة والصدر والطحال والرئتين والبلغم ، وعلاج هذه

الأمراض . والمقالة السادسة حول آلام الظهر والصدر والعضلات والبطن ، وأمراض ذات الجنب والاستسقاء والسدة والباسور وعرق النسا والنقرس والبرص والجذام والجرب والدمامل والقمل وعلاج هذه الأمراض . وتتحدث المقالة السابعة عن الوباء والطاعون والعدسة ، والحمى وعلاجها ، والجراحة والجروح والمخاض عند المرأة وتغذيتها ، والحالات الخاصة عندها . أما المقالة الثامنة فهي عن خواص الأعشاب ، وفوائد التقيؤ ، وفوائد شرب الأعشاب ، والفصد والحجامة ، والسعاط والكي والتقميط واستخدام البخور ، وخواص تدليك الظهر والسيقان . وتتحدث المقالة التاسعة عن خواص الكي وضرب الحقنة والسموم ، والعلاج من عض الحيوانات ولدغ الحشرات السامة ، وخواص الترياق والأشياء البديلة له ، والسحر وضرورة قراءة آيات من القرآن على المرضى ، والاستعاذة بالله ، والتعاويذ . وتدور المقالة العاشرة حول خواص الألبسة وفوائد الاغتسال ، ودفع الغم والهم ، وإبطال السحر والحسد ، وإن الاستشفاء حق .

وقد بلغ عدد مخطوطات هذه الترجمةعشر نسخ أمكننا حتى الآن حصرها في مكتبات تركيا . ولاشك أن استكمال نشر الفهارس الخاصة بالمخطوطات سوف يكون عاملا في الكشف عن بقية النسخ التي لم تظهر بعد . وتجدر الإشارة إلى أن خمساً من النسخ العشر ذكرت في الفهرس الذي صدر عن مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، وأشرفنا على إعداده تحت اسم فهرس مخطوطات الطب الإسلامي[٣٢]، وهي محفوظة في :

(Cerrahpasa Tip Tarihi Enstitüsü nr. 442,565,
Kadizade Mehmed, nr. 349, Ali Emiri, Türki Tip,nr.176/1,
Amasya Bayezid, nr. 1674).

أما النسخ الخمس الأخرى التي لم تذكر في هذا الفهرس فقد وجدنا أن إحداها[٣٣] محفوظة في معهد جراح باشا لتاريخ الطب تحت رقم ٣٣٥ . والنسخة الثانية محفوظة في مكتبة حسن حسني باشا تحت رقم ١٣٦٤ ، بخط نسخ مشكول وأبعادها ٢٦٢ × ١٧٥ (١٩٢ × ١٢٨) مم ، ومسطرتها ١٣ سطرا وتقع في ١٤٣ ورقة ، تم استنساخها في أواسط شعبان عام ٨٩٤ هـ / ١٤٨٩ م . والنسخة الثالثة ، وهي محفوظة في مكتبة الفاتح تحت رقم ٣٥٤٠ ، وبخط نسخ مشكل ، وأبعادها ٢١٠ ×١٥٧ (١٥٥ × ١٤٣) مم ، ومسطرتها ١٥ سطرا وتقع في ٩٥ ورقة ، تم استنساخها في أواسط شعبان عام ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م . والرابعة[٣٤] في مكتبة متحف طوب قابى تحت رقم (Revan, 1689 / 2) . والأخيرة في مكتبة السليمانية تحت رقم (Yeniler, 3541 / 1)[٣٥] . أما أقدم هذه النسخ وأجملها فهي النسخة المحفوظة في معهد جراح باشا لتاريخ الطب تحت رقم ٥٦٥ إذ تم استنساخها في القرن التاسع الهجري / الثالث عشر الميلادي[٣٦] .

وثالث ترجمة تركية في الطب النبوي هي التي قام بنقلها ابراهيم عجزي كندي القنوي عن كتاب « الرحمة في الطب والحكمة » لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي . وتوجد من هذ الترجمة نسخة وحيدة محفوظة تحت رقم (١٠٤٣٩/١) في مكتبة يوسف آغا في قونية[٣٧] . وأبعادها ١٧٥ × ١٣٣ (١٦٠ × ١١٠) سم ، وكتبت بخط الرقعة وتقع في ٦١ ورقة . ولم تتح الفرصة لنا للاطلاع على هذه النسخة .

والكتاب الأول الذي ألف بالتركية في الطب النبوي هو « روض الإنسان في تدابير صحة الأبدان » لخير الدين

خضر بن محمود العطوفي . وقد صنفه مؤلفه على ثلاثة أبواب ، أولها في الأكل والشرب وأضرار الإسراف فيهما ، والثاني في تفسير اصطلاحات الطب ، والثالث في آداب الأكل والشرب . وقد قسم المصنف الباب الأول إلى فصول مختلفة ، جعلها في المأكل والمشرب والخبز واللحم والبيض والدهن والهريسة والأطعمة المطبوخة مع اللبن والرجلة والسبانخ والبقول وخضر السلطة والعدس والبطاطا والباذنجان والتمر والتين والزيتون والرمان والسفرجل والتفاح والنبق والعنب والبطيخ والماء والطين والخل والملح وبعض الأدوية والعسل وعلاج المرضى وعيادتهم[٣٨] .

وقد قدم العطوفي كتابه إلى السلطان بايزيد خان الثاني ، واستطعنا حتى الآن حصر سبع نسخ مختلفة ، ست منها ذكرت في فهرس مخطوطات الطب الإسلامي[٣٩] . وهي محفوظة في مكتبات نور عثمانية(رقم ٣٥٤٦) والفاتح (رقم ٣٥٦٩) وأحمد الثالث (رقم ٢٠٩٥ و٢١٠٧) وبوردور (رقم ١٢٠٦) ويوزغاد (رقم ٦٩٤) . أما النسخة التي عثرنا عليها بعد ظهور الفهرس المشار إليه فهي محفوظة في مكتبة السليمانية (بغداد لي وهبي أفندي رقم ١٣٩٢) ، ومسطرتها ١١ سطرا وتقع في ٩٨ ورقة ، وأبعاد ١٧٥ × ١٢٥ (١٩٩ × ٧٣) سم وبخط تعليق . وأقدم هذه النسخ هي المحفوظة في مكتبة نورعثمانية ، تم استنساخها عام ٩١٨ هـ/١٥١٢ م . ومن المحتمل جدا أن يكون لهذا الكتاب نسخ أكثر من ذلك مودعة بالمكتبات الخاصة . والنسخة المحفوظة في مكتبة أحمد الثالث المقيدة برقم (٢٠٩٥) هي بخط المؤلف[٤٠] .

والكتاب الثاني الذي ألف بالتركية في الطب النبوي هو « صحت آباد » الذي شرح فيه عثمان زاده تائب أحمد أربعين حديثا من أحاديث الرسول ﷺ حول الصحة ، وتوجد منه نسخ متعددة في مكتبات استانبول . وقد ألفه صاحبه عندما مرض السلطان أحمد الثالث فاختار أربعين من صحاح الأحاديث وجعل منها هذا الكتاب عام ١١٢٠ هـ/ ١٧٠٨ م[٤١] .

وقد بدأ المؤلف حديثه بالبسملة والصلاة على النبي ﷺ ثم ذكر حديث النبي حول مثوبة جمع وشرح أربعين حديثاً من أحاديثه الشريفة ، وأتبع ذلك بمنظومة من ثمانية وعشرين بيتا في « مدح سلطان المسلمين » ثم شرع يذكر الحديث فيشرحه نثرا ثم يختمه بقطعة من الشعر . والحديث الأول في فضيلة البسملة ، والثاني في فضيلة تعلم وتعليم أربعين حديثا ، والثالث في أهمية إطاعة السلطان ، ظل الله في أرضه . أما الأحاديث التالية فهي حول العدالة والإنصاف ، وفضيلة الدعاء ، ومدى حاجة السلاطين لوزراء أكفاء ، وإن أصحاب الأسماء أحمد ومحمد من أهل الجنة ، وإن لكل داء دواء ، وعدم الاعتماد على طبيب كافر ما دام هناك طبيب مسلم ، وأهمية الطعام ، وأوقات تناوله ، وأضرار تناوله في بعض الأوقات ، وفوائد الإقلال من المأكل والمشرب ، وفضيلة تلاوة القرآن ، وفوائد قراءة سورة الإخلاص عشر مرات عقب صلاة الصبح ، وفضيلة دفع الكدر عن الناس ، وفوائد الطبع الحسن والرحمة ، وفضائل الكرم والحياء والتواضع ومضار الكبر ، وفضائل حسن الظن بالناس والفراسة والاستشارة وفعل الخير ، وأهمية لبن الأم ، وإن الجنة تحت أقدام الأمهات ، ومضار التصرف الخاطىء تعشماً في حماية الدولة ، وفضائل الصبر وإقامة المدارس والمساجد وعدم التضييق على المدين ، وإن الحق سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صور الناس وأقوالهم بل ينظر إلى نواياهم ، وإن بعض الشعر حكمة ، وفوائد السكوت .

ويقول المؤلف وهو يختتم كتابه إن من حسن الطالع أن السلطان تماثل للشفاء وأنه سعد لذلك كثيرا ، ثم ينظم بيتا من الشعر يجعله (تاريخا) للفراغ من تأليف الكتاب[٤٢] .

لم يذكر هذا الكتاب ضمن فهرس مخطوطات الطب الإسلامي رغم أن له نسخا عديدة في شتى مكتبات تركيا وبعض المكتبات خارجها ، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أن مصنف الكتاب لم يتعرض للطب النبوي بصورة مباشرة مثل بقية الكتب التي ألفت في هذا الموضوع . ويمكن العثور على مخطوطاته تحت أسماء : « صحت آباد » و « شرح حديث أربعين » و « حديث أربعين شرحى » . والنسخ التي أمكننا حصرها نذكر منها : مكتبة جامعة استانبول المركزية (T.Y. 2250, 3904) وحميدية بالسليمانية (٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٤٨ ، ٣٨٧) ومتحف طوب قابى (قسم المتحف رقم ٣٢٩) ، ومتحف مولانا جلال الدين الرومي في قونية (٤٩٣٢)[٤٣]، ومكتبة تكه لي أوغلي في أنطاليه (٨٠٢ / ٢)، ومكتبة السليمانية (قصيدة جي زاده ٧٧ / ٢) و (رشيد أفندي ٨٦١ / ١) .

والكتاب الثالث الذي ألف بالتركية في الطب النبوي فهو كتاب « مختصر طب نبوي » الذي ذكره محمد طاهر البرسوي (عثمانلي مؤلفلري جـ ١ ، ص ١٥٠) وقال إن صاحبه هو مرعشى زاده قدوسي أحمد أفندي ، غير أننا لم نعثر حتى الآن على نسخةمنه ، وربما تظهر في المستقبل .

واعتمادا على ذلك ، نستطيع القول إن مخطوطات الطب النبوي التركية تحمل أهمية كبيرة ، سواء كان من ناحية المعلومات التي حوتها ، وسواء من الناحية اللغوية والأدبية ، ولهذا وجب على المتخصصين تناول هذه الكتب ودراستها للاستفادة منها في تاريخ الطب واللغة والأدب .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن أضخم هذه الكتب هو كتاب العطوفي المسمى « روض الإنسان في تدابير صحة الأبدان » ، أما أهمها من الناحية اللغوية فهو كتاب أحمد الداعي المسمى « الشفا في أحاديث المصطفى » . ونرى كتاب عثمان زاده (صحت آباد) لا ينطوي على أهمية كبيرة من الناحية الطبية ، ونظراً لأنه قام بشرح أربعين حديثا نثرا ونظما فهو يستحق الدراسة من الناحية الأدبية .

إن كتب الطب النبوي تضم الكثير من المعلومات عن الطب والعلاج . وإذا وضعنا في الاعتبار مدى ما يحمله اليوم الطب الوقائي والنباتات من أهمية في العلاج الحديث لأدركنا على الفور أن هذه المعلومات جديرة بالاهتمام . فالفصد والحمية والأمراض المعدية والآلام والدمامل والجروح وطرق علاجها والنصائح حول أهمية النظافة من الناحية الصحية ، كلها معلومات تلفت النظر . كذلك النصائح الخاصة برفع الروح المعنوية للمرضى مثل ضرورة عيادتهم وتلاوة القرآن إلى جانبهم هي أمور يجب أن نأخذها على أنها نوع من العلاج النفسي . أما التنبيه الدائم حول ضرورة استدعاء الطبيب للمرضى فهو تعبير واضح عن مدى احترام الدين الإسلامي للعلم والطب .

لقد حاولنا في هذه المقالة أن نحصر مخطوطات الطب النبوي التي كتبت باللغة التركية . وهنا يجب أن نذكر أن استكمال فهارس المخطوطات المحفوظة في مكتباتنا ومتاحفناوفهارس المجموعات الخاصة سوف يكون عاملا أساسيا في

الكشف عن كتب أخرى تركية تم تأليفها أو ترجمتها في الطب النبوي فضلا عن زيادة عدد نسخ الكتب المعروفة حاليا . وأملنا كبير في إعداد مثل هذه الفهارس في أقرب وقت وتقديمها لخدمة العلم .

والله الموفـــق

الهوامـــش

(١) انظر : IA. "Hadis" maddesi, C.5 / 1,S.47—53

(٢) انظر : M.Tayyib Ökic Bazi Hadisler Üzerinde Tedkikler, İstanbul 1959,5 s.156.

(٣) انظر : بالنسبة للمخطوطات : رمضان ششن وجميل آقيكار وجواد ايزكي وتحت إشراف الدكتور اكمل الدين احسان وغلي : فهرس مخطوطات الطب الإسلامي في مكتبات تركيا ، استانبول ١٩٨٤ ، رقم ٨٠ .

(٤) انظر : Muhammed Hamidullah, Isiam Peygamberi, Istanbul 1972, II / 106

(٥) انظر : نسخة المخطوطة في : فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ٤١ .

(٦) انظر : Bağdâdll Ismail Pasa, Izâh al-Makñn. II / 311-312.

(٧) قام أحمد بن يوسف التيواشي (ت ٦٥١ هـ/١٢٥٣ م) باختصار هذا الكتاب وجعل اسمه « الوافي في الطب الشافي » ثم قام الشاعر التركي أحمد بن ابراهيم الداعي (ت ٨٣١ هـ / ١٤٢٧م) بترجمة المختصر إلى اللغة التركية تحت اسم « الشفا في أحاديث المصطفى » . انظر : نسخه المخطوطة في فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ٨١ .

(٨) انظر فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ٣٩٤ .

(٩) انظر : نفس المصدر تحت رقم ٤٠٨ .

(١٠) انظر : كشف الظنون ، ١٠٣٨ .

(١١) انظر : نسخة المخطوطة في فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ١٢٠ .

(١٢) انظر : مخطوطاته في نفس المصدر تحت رقم ١٧٤ .

(١٣) انظر : مخطوطاته في نفس المصدر تحت رقم ٢٠٨ .

(١٤) هذا الكتاب قسم من كتاب ابن قيم الجوزية « زاد المعاد » ، انظر : المصدر السابق تحت رقم ٥٣ .

(١٥) انظر : مخطوطاته في نفس المصدر تحت رقم ٢٦٧ .

(١٦) انظر : مخطوطاته في نفس المصدر تحت رقم ٢٣٤ .

(١٧) انظر : إيضاح المكنون ، ج ـ٢ ص ٣٣ .

(١٨) انظر : مخطوطاته في الفهرس السابق تحت رقم ٢٣٩ .

(١٩) انظر : مخطوطاته في نفس المصدر تحت رقم ٢٣٩ (ترجم هذا الكتاب إلى التركية من يدعى « ابراهيم عجزى القنوي ») .

(٢٠) انظر : مخطوطاته في الفهرس المذكور تحت رقم ٣٠٠ .

(٢١) نفس المصدر تحت رقم ٣٣٥ .

(٢٢) انظر : Brockelman, **GAL, Suppl., II, 545**

(٢٣) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٩٥٤ (مخطوطته في برلين ، انظر : فلوجل ٣٠٣٦) .

(٢٤) انظر : مخطوطاته في فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ١٤٨ .

(٢٥) انظر : دائرة المعارف جـ ٩ ، ص ٤٤٥ .

(٢٦) انظر عثمانلي مؤلفلري ؛ جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٢٧) انظر : مخطوطاته في فهرس مخطوطات الطب الإسلامي ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦ .

(٢٨) انظر : فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ٨٠ .

(٢٩) هذه النسخة ليست مدرجة ضمن فهرس مخطوطات الطب الإسلامي .

(٣٠) انظر : ismail Hakkı Uzuncarsılı, Osmanlı Tarıhı, Ankara 1972, 575.

(٣١) انظر : Dr. Nil SARI (AKDENIZ), Tibb— 1 Nebevive Hz. Muhammed'in sağllkla ilgili Öğütleri, Yeni Symposium, yll: 19, Say: 2, Nisan 1981, S. 65-78.

(٣٢) انظر : فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ٨١ .

(٣٣) انظر : Dr. Nil SARI (AKDENIZ) المقالة السابقة ، ص ٦٥ (الهامش رقم ٣١) .

(٣٤) انظر : Topkapi Sarayi, Türkce Yazmalar, nr. 2969.

(٣٥) نفس المصدر تحت رقم ٢٧٧٧ .

(٣٦) بالنسبة لتحليل النسخة من الناحية الطبية انظر : مقالة الدكتورة نيل صارى السابقة .

(٣٧) انظر : فهرس مخطوطات الطب الإسلامي تحت رقم ٢٣٩ .

(٣٨) انظر : نسخة مكتبة الفاتح تحت رقم ٣٥٦٩ .

(٣٩) انظر فهرس مخطوطات الطب الإسلامي .

(٤٠) انظر أيضاً : محمد طاهر البرسوي ، عثمانلي مؤلفلري، جـ ١ ، ص ٣٥٦؛ وبروكلمان : : (GAL. SUppl.. II / 639)

(٤١) انظر : Abdulkadir Karahan, IA., IX/455; Islam-Türk Edebiyatlnda Kirk Hadîs, lst. 1954, S. 237 v.d.

(٤٢) انظر : نسخة مكتبة السليمانية ، حميدية ١٢٢٩ .

(٤٣) انظر : Abdulbakı Gölpınarlı, Mevlânâ Müzesi Yazmalari Kataloğu, lll / 262.

رئيس الجلسة : الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

أشكر الدكتور / أكمل الدين إحسان أوغلو على هذه الكلمة الطيبة التي تعرض فيها لكتب الطب النبوي وخاصة الكتب التركية الستة التي منها ماهو تأليف ومنها ما هو ترجمة وقد أضاف إلى ذلك دعوة إلى تحقيق ونشر التراث الطبي من جهة وأكد دعوته السابقة لوضع فهارس للطب النبوي وشكرا له .

المناقشات

المناقشات

الآن ننتقل إلى المناقشات وهي كثيرة أرجو أن نختصر في الوقت وفي القول مع الحصول على الفوائد الجمة .

بإذن الله لنا أولا تعقيب من الدكتور / محمد عبدالله سيد خليفة فليتفضل :

د. محمد عبدالله سيد خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين تعقيب على المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز كامل التي أوضحت إلى أي مدى تتقاذف الشباب التيارات المختلفة في هذا الزمان دعا الأستاذ الدكتور / إلى تناول الطب الإسلامي الوقائي كبداية لعلاج معظم مشكلات الشباب وفي هذا الخصوص لقد قرأت كتابا قيما للأستاذ الدكتور / محمد عثمان نجاتي عن علم النفس الإسلامي تناول هذا الكتاب الطب النفسي أو علم النفس في الإسلام من النواحي المختلفة وتناول تقسيم النفس من ناحية إسلامية ووضع العلاج النفسي السليم بخصوص الجسور بين الشباب والعلماء تناول الأستاذ الدكتور / هذه الجسور بتشريح واف ووصف دقيق وأود أن أضيف بأن هنالك جسرين هامين يجب أن نوجه الانتباه لهما .

الجسر الأول هو علاقة الشباب بالأسرة أو علاقة الشباب بوالديه نجد أن الأسرة في الإسلام تتميز بالترابط وبالتماسك هذا الترابط نجده قد بدأ في الانهيار نتيجة لاتجاهنا للحضارة الغربية ونتيجة لاتجاه الغرب لوضع العراقيل مما يؤدي إلى تفكك الأسرة الإسلامية حيث يؤدي هذا إلى ضعف الحضارة الإسلامية وإلى انحراف الشباب وخلق جيل منهار من القيم والمثل .

الجسر الثاني وأحب أن يوضع هذا ضمن توصيات هذا المؤتمر بأن يكون الدين الإسلامي مادة أساسية في كل مراحل التعليم بما في ذلك مدارس الطب أو كليات الطب حيث يدرس الفقه ويدرس الاتجاه الإسلامي بكليات الطب ونحصل على طبيب مسلم صاحب قيم عالية ومثل يقتدى بها كل الشباب ويجب أن نفتح الجسور كلها لإيجاد علاقة قويمة قوية بين الطالب وأستاذه حيث تكون العلاقة هي القدوة الحسنة التي تتمثل في إنشاء جيل وأجيال إسلامية قوية ذات حضارة عالية وشكرا لحسن استماعكم .

رئيس الجلسة :

شكرا سيدي .

الكلمة الآن للدكتور / عادل قنديل ليعقب على بحث الدكتور / أحمد عمر هاشم فليتفضل وأذكر الإخوان الذين يتعاقبون على المناقشة بالاختصار اعتبارا لضيق الوقت ولتمكين أصحاب البحوث من الإجابة على أسئلتكم وشكرا . .

د. عادل قنديل

بسم الله الرحمن الرحيم السؤال الموجه للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم يقول الرسول الكريم ﷺ « لكل داء دواء » وإنني أتوجه بالسؤال ـ للدكتور / أحمد عمر هاشم أسأله هل يتضمن معنى هذا الحديث أنه يفضل استعمال واستخدام دواء واحد لعلاج المرض الواحد وذلك قد يكون أفضل من استعمال عدة أدوية في نفس الوقت وبذلك نستطيع أن نتجنب ما يسمى بتفاعل وتداخل الأدوية وهو يسمى كذلك التفاعلات الدوائية .

أي يجب أن نتجنب تداخل تفاعل الأدوية مع بعضها في جسم الإنسان وبذلك إذا تضمن هذا الحديث هذا المعنى فيكون الرسول الكريم قد سبق إلى هذه الحقيقة الطبية المفيدة وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله . . .

رئيس الجلسة :

شكرا سيدي .

الكلمة الآن للدكتور عادل التوحيد للتعقيب على بحث د. أحمد عمر هاشم وبحث فضيلة الشيخ المختار السلامي فليتفضل :

د. عادل التوحيد

السلام عليكم ورحمة الله الحقيقة أنا أردت السؤال وليس التعقيب السؤال الأول للدكتور / أحمد عمر هاشم ود. عبدالستار إلى أي مدى يمكننا أن ننسب اجتهادات الأطباء المسلمين في المعالجات العشبية أو الأدوية التي لم يرد بها نص إلى الطب الإسلامي هذا سؤال .

السؤال الآخر إلى الشيخ المختار السلامي إلى أي مدى يتطابق مفهوما الطب الإسلامي والطب النبوي . وشكرا . . .

شكرا دكتور / الكلمة الآن للدكتور / أحمد شوقي إبراهيم فليتفضل :

د. احمد شوقي ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نظراً لضيق الوقت لي تعليق ورجاء التعليق الأول حديث تأبير النخل لفهم هذا الحديث ينبغي أن نعلم أن هناك منهجاً علمياً يسمى المنهج العلمي في البحث والفكر وهذا علم يدرس في الجامعات منهج علمي في الفكر والبحث لقد كان المنهج العلمي في الفكر والبحث أيام الإغريق يعتمد على الأخذ من مصدر الثقة ولا يناقش ، أي أقوال القدامى والآباء ثقة لا تناقش وهذا منهج علمي خاطىء أما المنهج العلمي الصحيح فقد كان لفرانسيس بيكون في القرن الثامن عشر وهو المنهج العلمي في الفكر والبحث يبتدأ الأول بالفكر الظني فإذا كان هناك ما ليؤيده صار نظرية علمية تخطىء وتصيب الفكر الظني يخطىء ويصيب كذلك النظرية ويجب إخضاع ذلك لتجربة طويلة ونتيجة هذه التجربة تعطى الحقيقة العلمية لقد كان المنهج الإغريقي في البحث والفكر سائدا في عصر نزول الرسالة وهذا منهج خاطىء فجاء الوحي الإلهي في القرآن والسنة ليصحح هذا المنهج الفكري ولتصحيح مفهومه حتى يسمو بعقل المسلمين إلى مستوى فهم الرسالة لأنهم لو ساروا على هذا المنهج القديم ما استفادوا ولا فهموا شيئا وما ارتقوا إلى مستوى فهم الرسالة . هناك آية قرآنية تقول ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا** ﴾ مصدر الثقة فيرد الله عليهم ويقول ﴿ **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** ﴾ إذن لابد من مناقشة مصدر الثقة .

نعود إلى كيف عالجت السنة وعلمت السنة المنهج الحديث للبحث والفكر قبل أن يعرفه الغرب بأكثر من عشرة قرون هذا في حديث تأبير النخل مر رسول الله ﷺ على ناس تؤبر النخل ؟ ورسول الله ﷺ أعلم الناس جميعا ويعلم بالطبع تأبير النخل فسؤاله ما يفعل هؤلاء سؤال من يعلم ليعلم قالوا إنهم يلقحون النخل قالوا وكيف يكون تلقيح النخل قال يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح قال لو تركتموه لكان صحيحا أو كما قال ﷺ وبعد ذلك صار شيصا لم ينفع فقال ما ظننت إلا ظناً وإن الظن يخطىء ويصيب لم يقل أنا أخطىء وأصيب وإنما قال وإن الظن يخطىء ويصيب أما إذا قلت لكم قال الله . ولن أكذب على الله يلاحظ أن النبي ﷺ هدم بذلك المنهج الإغريقي المخطىء في الفكر ووضع الفكر الظني أولا وضعه في تجربة وظهرت نتيجة التجربة أن هذا العمل غير صحيح فقال ما ظننت إلا ظنا وإن الظن يخطىء ويصيب.

فكلام الله لا يخضع لعلم تجريبي وبهذا الحديث الشريف وضع رسول الله ﷺ أساس العلم التجريبي وأساس المنهج الصحيح في الفكر والبحث هذا ملخص الموضوع .

الموضوع الآخر كلمة صغيرة عن حديث العدوي في المقدمة لابن خلدون يقول إن رسول الله ﷺ يجتهد بصفته بشرا لا يوحى إليه في بعض الأمور هذا طبعا خطأ فالرسول ﷺ ما ينطق عن الهوى سواء في البشريات أو غير البشريات يقول في حديث العدوي إن الرسول قال (لا عدوى) في أول الحديث وفي آخر الحديث قال (وفر من المجذوم فرارك من الأسد) وقال في هذا الحديث تعارض ، الأول (لا عدوى) وفي آخره (فر من المجذوم فرارك من

الأسد) ابن خلدون أخطأ في هذا لأنه لم يفهم حديث رسول الله حق الفهم لو قلت أنا وابن خلدون أو أي واحد منا هذا الكلام لكان متناقلا حقا لماذا لأنني أتكلم إلى إنسان معين أو إلى ناس معينين في زمن معين أما الرسول ﷺ فلا يتكلم لقوم بعينهم ولكن أحاديث رسول الله ﷺ للناس جميعا من يوم أن قالها إلى يوم القيامة لكل العصور فكل عصر من العصور وكل شخص على مستوى فكري سواء هو متعلم أو غير متعلم أو عالم وعلى مستوى درجاتهم في الدين في التقوى تقوى إنسان عادي عامة الناس كل واحد من هؤلاء يأخذ من أحاديث رسول الله ﷺ أنه لا عدوى ، إذا رددنا الأمر إلى الحق المطلق فلا عدوى إذا رددنا الأمر إلى الله فالأمر لله لا عدوى إذا رددنا الأمر إلى أسباب البشر فهناك عدوى إذن فالحديث يعطي كل واحد على حسب فهمه على حسب مستوياته من الفهم علما وفهما.

الرجاء الأخير موضوع اسم الطب النبوي اسم الطب النبوي أن النبي ﷺ أرسله الله هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا فهو الهادي بإذن ربه . . د. أحمد عمر هاشم قال كلمة أعجبتني جدا أن أحاديث رسول الله ﷺ في الطب كانت في نطاق هداية دينية فهداية أخلاقية هداية علمية ولكن في نطاق هداية دينية جامعة فينبغي وأرجو أن يصحح هذا الاسم لأن تكون الهداية النبوية في صحة الإنسان مثلا فلا يجب أن نقول الطب النبوي غدا نقول الكيمياء النبوية والفلك النبوي الرسول ﷺ لم يبعثه الله طبيبا أو عالما في علم من العلوم بعينه ولكنه أكثر من ذلك كثيرا وأعلم من ذلك بدرجات إنه الهادي للأمة جميعا وإلى يوم القيامة وكل حديث هداية داخل هداية دينية جامعة وتربية كاملة وشاملة فيجب أن تكون الهداية النبوية في صحة الإنسان إنما طب نبوي هذا كثير . وشكرا . . .

رئيس الجلسة :

شكرا سيدي الدكتور / أحمد شوقي إبراهيم والكلمة الآن لفضيلة الشيخ محمد المختار السلامي والرجاء من الإخوة المعلقين أن يلتزموا بثلاث دقائق على أكثر تقدير وشكرا .

الشيخ محمد مختار السلامي

بسم الله الرحمن الرحيم لقد استمعنا جميعا إلى المحاضرات القيمة التي تعاقب عليها الأساتذة وعندي بعض التعليقات هو أنه كقاعدة أصلية لابد من التفرقة بين فهم النص وبين طريقة تطبيق النص فهما أمران فمن النص ذاته لابد أن نتبين أنه حديث رسول الله ﷺ أو ليس بحديث ما مقداره من الصحة فإذا تبينا ذلك لابد أن نعود إلى النص ذاته ويعود إليه كل شخص باعتبار إمكاناته ومن لم يكن متمكنا فهو معزول عن هذه الوظيفة وأقر في وضوح نظرا لضيق الوقت أن الفقيه ليس مؤهلا للنظر في قضايا طبية عليه أن يقول هذا الحديث عن رسول الله ﷺ هو حديث صحيح أو حديث ليس بصحيح أو حديث يعتمد عليه أولا يعتمد فإذا انتهى إلى هذا الحد فإن الذي ينظر في طريقة تطبيق ما أشار به ﷺ من علاج للصحة هو ليس للفقهاء وإنما للأطباء وفي قوله تعالى ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ .

يسأل في كل فن من الفنون أهل الاختصاص فيه والخروج عن هذا خروج عن المنهج الحقيقي وإدخال ودخول كثير من الفقهاء في الطب أوجب من انتقادات للإسلام ورسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ ما أوجب ، فلا بد من التفرقة الواضحة في هذا .

الأمر الثاني الذي أردت أن أبينه هو أنه عندما ننظر في أحاديث رسول الله ﷺ لا ينظر فيها على أساس المتن فقط ولا ينظر فيها على أساس السند فقط وإنما ينظر فيها سندا ومتنا وما قاله كثير من الذين تعلموا على أيدي المستشرقين من أن عناية رجال الحديث انصبت على السنة فقط هو كلام غير صحيح وكذلك من تبعهم أيضا من علماء المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام .

فالحديث الذي رواه لنا فضيلة الشيخ من أنه حديث قضية البقر وشرب الألبان وعدم أكل اللحوم لو كان في أكل اللحوم ما يضر لحرمها الله سبحانه وتعالى أو نهى عنها فبمجرد أن الله تعالى لم ينه عن ذلك ولأن اللحوم كانت تؤكل على مائدته ﷺ وأكلها أصحابه وهي مما ينحر ومما يهدى ومما يذبح في الأعياد في عيد الأضحى هذا مما ينفي من أول الأمر دون أن أنظر في شيء وأقول إنه يستحيل أن يكون حديثا عن الرسول ﷺ لأنه لو كان كذلك لكان الرسول ﷺ قد نقص في بيان ما يجب أن يبين من حلال ومن حرام .

ما جاء في حديث الكمأة كمثال تطبيقي وإنها شفاء للعين لو كان عندنا أحد الإخوان من أطباء العيون وسألته عن سؤال بسيط ما هي عدد أنواع أمراض العيون لاقتضى منه أن يأخذ كامل حصة هذا المؤتمر بيان خصائص كل مرض من الأمراض.

ثانيا الكمأة فالكمأة هي أنواع وأنواع كثيرة جدا فما هي الكمأة التي أشار إليها ﷺ فقوله ﷺ صدق حق لكن من يفهم حديثه ﷺ من يفهم إلا من كان ذا اختصاص فإذا كان الله قد من علينا أن هدانا إلى التفقه في الدين فنحن بالنسبة للتفقه في الدين نقول كلمتنا حسب ظنوننا وإذا وقع خطأ فهو مني لا من رسول الله ﷺ وكذلك في حديث الكمأة ونحوه من الأحاديث الطبية فإنه يجب أن يعاد بها إلى أهل الطب وشكرا لكم والسلام عليكم .

رئيس الجلسة :

شكرا فضيلة الشيخ الكلمة الآن للدكتور / هيثم الخياط فليتفضل :

د. هيثم الخياط

أمران باختصار

أولهما أن الطب في مطلع هذا القرن ركز على الطب العلاجي فحسب وأدى ذلك إلى انحطاط صحة الناس جميعا ودعا ذلك إلى تركيز منظمة الصحة العالمية حملتها الحاضرة لبلوغ الصحة للجميع سنة ٢٠٠٠ على الطب الوقائي

وحفظ الصحة فلا يجوز ان نقتصر على الأحاديث المتعلقة بالمداواة فقط وإنما كل ما يتعلق بالصحة ينبغي أن يُعالج ويعتقد أن الجلسة القادمة تتناول الجزء الوقائي وحفظ الصحة وقديما قال طبيبنا الشيخ الرئيس :

الطب حفظ صحة برء مرض

الأمر الثاني حديث تأبير النخل وما شابهه حديث ذو أهمية كبيرة جدا لأن فيه تأكيدا على بشرية الرسول ﷺ والتأكيد على بشرية الرسول أمر أخذ شطرا من القرآن الكريم فهذا أمر لا ينبغي أن نبخسه حقه وأن نعطيه اهتمامه ثم لا يجوز لنا أن يقول لنا رسول الله ﷺ (أنتم أعلم بأمر دنياكم) فنقول له بل أنت أعلم بأمر دنيانا وإنما يجب أن نمتثل لأمره والامتثال يكون بفهم هذا الحديث فهما صحيحا واتباع المنهج العلمي الإسلامي في الأخذ به والسلام عليكم . . .

رئيس الجلسة :

الكلمة الآن للدكتور / عبدالعزيز كامل فليتفضل .

د. عبدالعزيز كامل

شكرا سيدي الرئيس أولا أشكر الأخ خليفة على إشارته إلى كتاب الأستاذ الدكتور / نجاتي والذي وددت أن أضعه في هوامش البحث في الكتب التي ألفها أصحابها نتيجة لاتصال مباشر بحركات الشباب والاتصال بهم هو الفهم مع كامل التقدير للمؤلفات الأخرى التي يمكن إضافتها إلى هذا ومن أهم الكتب التي أشير إليها في البحث كتاب «بيان للناس » الذي أخرجه الأزهر الشريف وما أخرجه إخواننا بالإضافة أيضا إلى الكتب التي أخرجها كتاب هذه الاتجاهات .

هذا هو الأمر الأول فيما يتعلق بإضافة الجسور حبا وكرامة .

ولكن كلمة أود أن أتوجه بها إلى أخي الأستاذ / الدكتور / عبدالرحمن عبدالله العوضي مباشرة أنني الآن وفي هذا الحوار لو نظرت إلى الماضي وإلى ما دار في المؤتمر الثالث والثاني والأول وفي ندوتي الإنجاب ، والموت والحياة ، لوجدنا أن موضوع مدى حجية بعض أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام في موضوع الطب أثيرت وستثار ولو نقلت هذا الذي يقال الآن إلى المؤتمر الثالث في استنبول أو ـ الثاني أو الأول لوجدنا أنفسنا بنفس الكلام مع تغير الزمان والمكان لا الكلمات ولذلك أرجو أن نتخذ موقفا واضحا من أمرنا إما أن يكون لنا رأي موحد في هذا الأمر فنقوله وإما لنا أكثر من رأي فلا داعي لمزيد من الحوار وشكرا لكم .

رئيس الجلسة :

الآن بقيت لنا بعض التعليقات هناك بعض الإجابات يريد أن يتفضل بها أصحاب البحث تفضل :

د. احمد عمر هاشم

بسم الله الرحمن الرحيم :

بالنسبة للسؤال الأول الذي أشير إليه عن حديث (لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله) هل يفضل استعمال دواء واحد لكل مرض انطلاقا من هذا الحديث وتصديقا لتوجيه النبي ﷺ في قوله لكل داء دواء ما يوضح أفضلية استعمال الدواء الواحد حين يكون على ثقة من شخصية الداء والحديث أيضا يعطي أهمية لتشخيص كل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء أيضا فيه تأكيد على تشخيص الداء حتى يستعمل الدواء الواحد ولا يكون تفاعل كثرة الأدوية .

وأما بالنسبة للإجابة على السؤال الثاني إلى مدى ننسب اجتهادات الأطباء المسلمين أو بعض الذين يعالجون بالأدوية العربية ننسب ذلك فيما أخذوه إلى ماهو موجود لدينا وموثق من الأدوية التي أخذت من الطب ومن أحاديث الرسول ﷺ والصحيح منها وقد أشرنا إليها وأثبتناه في البحث ومن أراد شيئا من التفصيل فليرجع إلى البحث فقد أجبت على ذلك إجابة مستفيضة وبالله التوفيق .

رئيس الجلسة :

شكرا سيادة الدكتور / الكلمة الآن لفضيلة الشيخ المختار السلامي .

الشيخ المختار السلامي

بسم الله الرحمن الرحيم :

السؤال الذي تفضل به زميلنا وهو إلى أي مدى يتطابق الطب الإسلامي والطب النبوي لابد من توضيح لمفهومين أما الطب النبوي فنعني به كل ما روى عن رسول الله ﷺ وأما الطب الإسلامي فهو ما أنتجته العقلية الإسلامية وذلك لأن العقلية الإسلامية ليس ارتباطها بين الإنسان وبين الله فقط ولكنها فهم للكون كله وبحث عن البداية والمصير أو جواب عن البداية والمصير فكل من آمن بالله على أنه منه المبتدأ وإليه المنتهى وأن حياة الإنسان يتحكم بها رب العالمين قضاء وقدرا وتشريعا فهو طبيب مسلم وهؤلاء قد أنتجوا للفكر الإسلامي والفكر العالمي الثروة الطيبة فيها .

أما بعض ما جاء عن رسول الله ﷺ فمن الواضح ما جاء الدين ليقضي على العقل البشري بالجمود والوقوف

ولكنه أشار إلى بعض نواح ثم تقدم العلماء أخذا من رسول الله ﷺ واعتمادا على ما وصل إليه الطب قبلهم ثم غذوا كل ذلك بعد أن تمثلوه وزادوا عليه وأضافوا إليه إضافات فالطب الإسلامي هو عبارة عن الطب النبوي مضافا إليه ما أنتجه العقل الإسلامي هذا حسب ما أعتقده وقد يكون للسادة الأطباء معرفة أفضل مني لأن السؤال يتعلق بالأطباء أكثر من تعلقه بي كرجل أنتسب إلى الفقه.

أما المسألة الثانية فبسيطة وهو ما جاء من أن العقل الإغريقي هو عقل يسلم بأشياء ولا يبحثها أي مسلمات لابد منها لتصور أشياء وللعلم عند الأغريق ـ أنا بكامل الصدق أقول إن هذه القضية واطلاعي على الفلسفة ليس اطلاع المتعمق ولكن الشخص الذي يريد أن يكوِّن نفسه فقد وجدت كل فيلسوف من الفلاسفة أو أول قضية يبحثها معظم الفلاسفة هو منهج المعرفة ومنهج المعرفة يتغير ويختلف بين كافة الفلاسفة وكل شخص له منهجه ولم أجد الواحد منهم يعتمد على القول الاقتناعي بكل ما سبقه بل هم بحثوا أو استمروا ولكن القضية ليست قضية فكر إغريقي لكن قضية الفكر الجاهلي فالفكر الجاهلي فعلا هو يعتمد على الاقتناع والمسلمات ولكن ليس هو فكر العلم ولا فكر العلماء ولا فكر الفلاسفة.

أما أن الرسول ﷺ فهو لا ينطق إلا عن وحي في شئون حياته هذا ليس بصحيح أصلا فالذي نعرفه من السنة أن رسول الله ﷺ اجتهد في كثير من الأمور اجتهد في كثير من أمور الحياة اجتهد في كثير من الأحكام الشرعية وإن الله تعالى أقره على اجتهاده وإن الله تعالى في بعض الأحيان بين له وجه الصواب إذا كان ما ارتآه قد يترتب عليه أمرٌ غير مرغوب أما ما عدا ذلك فالرسول ﷺ لم يكن دائما على الاتصال بالوحي وإنما كان ينتظر الوحي في بعض الأحيان ليأتيه وفي بعض الأحيان لا يأتيه ونتعلم أن الفترة الأولى التي انقطع بها الوحي دامت سنوات وهو رسولنا ﷺ لم ينته عنه وصف الرسالة بأي لحظة من اللحظات فالتصور أن الرسول ﷺ مرتبط بالوحي في كل لحظة من اللحظات وفي كل أمر يقوم به وفي حركته وفي خروجه من بيته ودخوله إلى بيته وفي شرائه وفي بيعه ما أعتقد أن رسول الله ﷺ كان هكذا ولكنه كان كما ذكر كما يكون البشر وكأكمل ما يكون البشر وعلى أساس ذكائه ونبله كان يتصرف في حياته ﷺ والسلام عليكم.

رئيس الجلسة :

شكرا لفضيلة الشيخ على هذا الجواب والتعقيب بقيت الآن بعض التعليقات فالكلمة الآن للدكتور محمد علي البار فليتفضل:

د. محمد علي البار

السلام عليكم ورحمة الله :

سأختصر إن شاء الله كثيرا :

النقطة الأولى حول ابن خلدون وما ذكره عن الطب النبوي لم يكتف ابن خلدون بعدم احترام رأي النبي ﷺ في موضوع العدوى ولا في موضوع تأبير النخل ولكنه عندما ذكر ذلك كما تعلمون بالمقدمة قال إنه من طب العجائز واستدل على ذلك ودليله أن الرسول ﷺ أمر المبطون باستخدام العسل أربع مرات وأن الشفاء الذي وصل للمبطون لم يكن من قبل الطب وإنما كان من قبل اعتقاد المريض ووهم المريض هذا واضح تستطيعون أن تراجعوا المقدمة ووقع في ذلك ابن خلدون في عدة أخطاء أولها أنه قال إن العسل ليس دواء للمبطون مع وجود النص القرآني فإنه نفى نفيا باتا كل ما ورد عن النبي ﷺ في موضوع الطب وسار على نهج ابن خلدون كثير من الكتاب والفلاسفة بل بعض الفقهاء المحدثين أيضا لا داعى لذكر أسمائهم .

وهذه هي النقطة الثانية هي أن ما ورد عن النبي ﷺ في شئون الطب كما وضح الأطباء الزملاء واسع جدا خاصة لمراحل الجنين وتكون خلق الإنسان ومراحله .

الطب الوقائي علم واسع جدا والطب العلاجي في الواقع الذي اهتم به الفقهاء والمحدثون لا يشكل إلا جزءا يسيرا مما يمكن أن يسمى الطب النبوي .

هناك نقطة هامة سأضرب أمثله بسيطة منها أن رسول الله ﷺ قال إن الخمر داء وليست دواء ومع هذا فقد كان أطباء المسلمين ومنهم أبو بكر الرازي في كتاب الأشربة وضع فصلاً طويلا في فوائد الأشربة وفي فوائد الخمر ثم هذا الوهم الضخم للأطباء جعل إماما عظيما مثل ابن كثير عندما يتحدث عن صانع الخمر يقول وأما المنافع فمن حيث أن فيها نفع البدن وتهضيم الطعام وإخراج الفضلات وتشحذ الأذهان مع أننا نعرف من ناحية طبية أن هذا الكلام هراء أنه كلام خطأ محض إنها لا تشحذ الأذهان ولا تهضم الطعام ولا . . . وأنها تنفع الصحة يعني صفات صفحة كاملة أو أكثر من صفحة وهو يمدح في فوائد الخمر الطبية الصحية النافعة مما أدى حتى إلى فقيه معاصر كان يذكر لن أذكر اسمه للأسف وكتابه مشهورومنتشر في الفقه والسنة يذكر فوائد الخمر في علاج أمراض القلب وفوائد الخمر في علاج البرد عندما نكون في بلاد باردة ويصيبك نوبة من البرد لابد من أن تأخذ الخمر بناء على أقوال الأطباء .

نقطة أخرى نجد أن الأطباء يخطئون ويصححهم في بعض الأحيان علماء الحديث في الزمن السابق يقول ابن حجر وزعم كثير من أهل التشريع أن منى الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده وأنه أي الولد إنما يتكون من دم الحيض كان يعتقد كثير من الأطباء بناء على نظرية أرسطو أن الجنين يتكون من دم الحيض الله سبحانه وتعالى يبطل ذلك يقول ﴿ **إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج** ﴾ وأجمع المفسرون على أن الأمشاج من نطفة الرجل ونطفة الأنثى وحديث الرسول ﷺ الذي ذكره الإمام أحمد عندما سأله اليهودي قال من كل يخلق من نطفة الرجل كمن نطفة الأنثى هناك إذن ابن حجر رد على الأطباء وقال أحاديث . . . تبطل ما تقولون .

أيضا ابن سينا على جلالة قدره لم يستطع أن يفرق بين الطاعون والوباء قال كل طاعون وباء بينما فرق أهل الحديث بين الطاعون والوباء استدلوا بذلك من أحاديث الرسول أن الطاعون لا يدخل المدينة جئنا المدينة فيها بعض أمراض وهي من أرض الله فقالوا دل ذلك على أن الوباء غير الطاعون أخذوا قضايا في منتهى الدقة وليس لدى الوقت

الآن لأن سيادة الرئيس قال الوقت ضيق أمامكم وقد وضعت في ذلك كتابا في تفصيل الفرق الشائع بين مفهوم المرض لدى الفقهاء ولدى الأطباء والأطباء أخطأوا تماما وعلى رأسهم شيخ الأطباء إمام الأطباء على مر العصور ابن سينا بينما لم يخطىء الإمام النووي ولم يخطىء الإمام ابن حجر ولم يخطىء كثير من الفقهاء وأهل الحديث لم؟ ليس لأنه أعلم بالطب لكنهم لأنهم استدلوا بالأحاديث النبوية.

كذلك عندما ذكر ابن سينا سبب الطاعون لم يستطع أن يعرف سبب الطاعون ووصف الأعراض والقرحات والأورام الموجودة في المراق والإبط وصفها بأنها سبب الطاعون فرد عليه أهل الحديث من أمثال ابن حجر وابن القيم قالوا لا أنت أخطأت أحاديث الباب تقول غير ذلك السبب أنت تجهله السبب من طعن الجن ، الجن كل ما اختفى يمكن أن يكون الحشرة التي تقرض دون أن يحس بها شخص . هي التي طعنت وأدخلت هذا الميكروب البراغيث أيضا في موضوع العدوى أحاديث العدوى كلكم تعرفونها . .

رئيس الجلسة :

شكرا للدكتور / محمد علي البار على هذا التدخل المفيد والذي كشف فيه عن جوانب لم يتعرض لها الدارسون في هذا الصباح إلا أنها تتكامل مع ما قدم من بحوث ودراسات والآن الكلمة للدكتور / محمد حسن الحفناوي فليتفضل :

د. محمد حسن الحفناوي

بسم الله الرحمن الرحيم :

هو تعقيب بسيط ولكن أجده في نفس الوقت مطلوباً طلباً حاسماً في مؤتمراتنا ، والشكر موجه إلى أستاذنا الدكتور / عبدالعزيز كامل على المقدمة العريضة التي كان فيها طبيبا حاذقاً مسلما شخص بها مشاكل المجتمع والمشاكل التي تواجه شبابنا المسلم ومن هذا المنطلق ومن منطلقات أخرى في احتكاكات دولية على مستويات كثيرة فيها الطبي فقط ومع هذه الصحوة الإسلامية والتي بدأتموها والتي بها أتم جهادها أنا أقول إنه جهاد ومع هذا الاجتهاد بدأت ردود أفعال في نفس علمية هناك قوى ضاربة شرسة أمام هذه الصحوة وأمام التحرك العلمي بالذات لأنه ونحن نعتقد أن الصحوة الإسلامية سببها يأتي لها أساس قوى من مسلمي الغرب الذين يجتهدون بأسلوب علمي دقيق ويصلون إلى قرارات محددة لا يذهب ولا يستغرق دائما في ثنائيات لا لأصبحنا روادا فيها نخلقها وندخل في دائرة ثنائية قد تستغرق جلسة أو جلستين أو قد تستغرق المؤتمر كله دون أن نصل إلى نقاط محددة نحن نواجه عالما غريبا ماديا شرسا في ماديته وهو ينتظر هذه الصحوة العلمية ليردها فيجب والفقهاء مختلفون والعلماء مختلفون ونحن نسير لنتكرر في كل مؤتمر يجب أن نضع التوصيات أن نضع المنهج الخطة لنصل إلى قرارات شبه موحدة ونستغل حدا أدنى من الفهم كي نستفيد نحن كأطباء جئنا إلى هذا المؤتمر من أنحاء الدنيا لكي نخرج بتوصيات ومعلومات فقيهة قد لا يسمح وقتنا وطبيعة عملنا بها

نحن نستغني من مرضانا في عياداتنا نريد حداً أدنى من الفهم والفقهاء يحتاج إلى حد أدنى من العلوم لكي تسير الأمور بشكل منهجي علمي نصل من خلاله إلى نقاط محددة بمنهج نستطيع أن نقول لقد استفدنا وخرجنا بهذه النقاط وهذه التوصيات المحددة أرجو أن نراعي هذا في مستقبل الجلسات وشكرا لكم . . .

رئيس الجلسة :

شكرا الكلمة الآن للدكتور/ سالم نجم فليتفضل :

د. سالم نجم

بسم الله الرحمن الرحيم :

هو تعليق على كلمة الأخ الدكتور / محمد الأشقر في حديثه عن السفرجل وأترك هذا للعلماء والأطباء للتجربة وأود أن أذكر نفسي وأذكر إخواني الأطباء بأن التجربة لها معايير ومقاييس مختلفة في كثير من البلاد وكثير من المراكز الطبية ولهذا إذا جرب السفرجل أو غيره من الأدوية التي أشار إليها الرسول ﷺ فيجب ألا تؤخذ من مكان أو مركز واحد ولكن تؤخذ من مراكز مختلفة وحبذا لو قامت المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بوضع خطط تجريبية لا أقول يتفق عليها كل الناس ولكن يتفق عليها معظم الناس على أساس الأسلوب العلمي السليم سؤالي الآن الحقيقة لأستاذي الدكتور / عبدالعزيز كامل عن الطب النفسي الوقائي الواقع المسألة فعلا مسألة معقدة ويمكن الأطباء أقل الناس تأثيرا في السياسة الإقليمية أو السياسة الوطنية إذا جاز لنا هذا بمعنى أن الطب النفسي الوقائي ربما يبدأ من الرياضي ومن السن المبكرة وهناك كثير من التناقضات في المجتمعات الإسلامية لا نستطيع أن نفرق بينها أو نضع نظاما للطب النفسي الوقائي دون أخذ هذه المؤتمرات بعين الاعتبار أريد أن أعرف مدى تصور سيادتكم لهذا الأمر كيف تدخل الأطباء لوضع أسس الطب النفسي الوقائي :

رئيس الجلسة ؛

تفضل ، دكتور / عبدالعزيز

د. عبد العزيز كامل

شكرا سيدي الرئيس في البحث الموجود بين أيدي حضراتكم ذكرت أن دائرة المحاضرة أوسع من دائرة المؤتمر ولا وصفتها في أي مؤتمر آخر تعالوا نفس الإجابة في أي يد أضعها ؟ هذا هو السؤال ولهذا قلنا إنه يمكن أن يبدأ العمل من هنا ثم بعد ذلك يحدث اتصال بين المعنيين بشئون الشباب في منظمات أخرى وأن تأخذ كل منظمة قطاعا معنيا وتصب كل هذه الأوامر في قضية واحدة هي قضية مستقبل الشباب وحاولت أن ألخص هذا في توصية محددة يمكن أن

تكون اقتراحات أمام حضراتكم للنظر فيها إن العناية بالطب النفسي يتم بها تحصين الشباب فكريا وسلوكيا وتجنبه الزلل ليكون في حياته إيجابيا منتجا ومع أن مباحثه ومساراته متنوعة إلا أن أبرز مساراته المعاصرة هي من الضعف إلى الحكمة من العلمانية والإلحاد إلى العلم والإيمان من الانحلال إلى التماسك والإخلاص من الجمود والتخلف إلى التقدم والإبداع وأقصد بالإبداع تحديدا التي هي نفسها قبول التحدي الحضاري واقترابه وقلت إن أهم وسائله .

١ ــ الحوار المستمر بين الشباب وعلماء الإسلام والعلماء لهم تخصصات .
٢ ــ الحوار بين العلماء في تدارس مشكلة الشباب والتعاون بين التخصصات المتعددة .
٣ ــ تكوين مكتبة تمثل هذا التعاون وتستجيب لما يستجد من مشكلات .
٤ ــ النظر في تكوين مكاتب توجيهية للطب النفسي الوقائي يستطيع الشباب أن يلجأ إليها لتكون له عونا على تجاوز أزماته .

طبعا حضراتكم عارفون في بعض بلاد الغرب لو أن أحد الشباب وجد نفسه مقدماً على الانتحار أو على قتل نفسه يرفع السماعة ويكلم عيادات خاصة يقول لهم أنا يمكن أموت نفسي وفوراً أحد المختصين يتصل به حتى يحاول أن يهديء من هذه النفس الثائرة ويعالج هذا الشاب ويمكن البدء بمكاتب تجريبية ويمكن نتبادل الخبرة والتعاون فالقضية لها حتى بالكثيرين في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي وكما قلت لحضراتكم في الدراسة المقارنة بين أدبيات هذه الجماعات في مصر وفي السعودية وفي غير السعودية راجعت ما كتبه هؤلاء الشباب جميعا فتكاد تكون نسخاً طبق الأصل نتصور كيف أن مجموعة ممكن تدخل تحت أقبية الحرم ويرون نفسهم أنهم سينصرون الإسلام كأن أحدهم يقول موتوني أنا عايز أخلص من الحياة لا فنحن لا نريد أن ننظر إلى هذا الأمر نظرة قضاة ولا نظرة حكام لهذا قلت فلنبدأ كعلماء وكرجال أخلاق ثم نستطيع أن نصل إلى سبيل تجمع هؤلاء الناس كلهم وفي نفس الوقت الذي نعمل فيه هذا العمل ينبغي أن نتذكر وكما قال الدكتور / الحفناوي أن هناك من الغرب من يقتلعون هذا الدين من أساسه أنتم تتكلمون هل نأخذ بهذا الحديث أولا نأخذ به بينما هم يقولون لا نريد أن نأخذ لا بالقرآن ولا بالحديث إذا كان وصل الأمر إلى أن مصحف عثمان اليوم أصبح محل جدل يقولون بأي حق هو يأخذ المصاحف ويحرقها كان ممكن جدا أن يوضع مصحف جانبي ويفيدنا بهذا المصحف ويقول هذا مسلمون ماذا يفعل أبناؤنا ونحن نتناقش هل نطبقه أولا نطبقه هل نأخذ به أولا نأخذه وهناك أيد تريد أن تنزعه من جداره القضية كبيرة جدا ونحن حينما يهز هذا البناء يهز بناء القرآن ويهز بناء الحديث ويهز التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ماذا يبقى لنا كله لكي تبعث في هذا المبلغ (أو المبنى) نحن نظن أننا نستند إلى رواسي وجبال بينما هناك زلازل تحت هذه الجبال فنريد أن نتعمق في نظرتنا إلى هذه الأعماق وأن نلتقي على كلمة سواء وكما قال أخونا وأشير مرة أخرى إلى كلام الدكتور / الحفناوي الطبيب نفسه محتاج إلى قدر إلى مكتبة إسلامية تكون موجودة عنده ورجل الدين محتاج إلى مكتبة علمية تكون بين أيديه حتى الخطابة اليوم في المسجد ينبغي أن تتطور بتدخل من رجال العلم ماهي المواد التي تقال على المنبر حتى يمكن أن نقنع الشباب في وسط كل هذه التيارات يسألون في أمور كثيرة من أمور الدين لا أقل أن يرفع يده إلى مكتبة ويقول خذ هذا الكتاب تستفيد فيه ، ماهي الجوانب الشرعية في الطب وما هي الجوانب الطبية في الشرع هل هذا يترك كله لتقدير الأفراد ، أنا أعلم

أن هـذه مهمة ثقيلة وكبـيرة فينبغي أن نقوم بهـا وينبغي أن ننقل في هـذا المؤتمر من عمـل في إطار المنـظمة وحـدها إلى التعاون مع المنظمات الأخرى أيضا . . هذا هو تصوري يا دكتور / سالم :

رئيس الجلسة :

شكرا للدكتور / عبد العزيز كامل على هذه البيانات واسمحوا لي أن أضيف كلمة مفيدة لما تفضل به الدكتور / عبدالعزيز كامل الذي نبهنا في حديثه اليوم بعد الجولة التي قام بها معنا إلى المعالم معالم الـطريق الأربعة التي ذكـرها تحدث عن هذه الدراسة أو هذا البحث الذي نشرا أخيرا والذي صاحبه الأستـاذ محمد أركـون كما تحـدث عن البحث الثاني الذي صدر بلندن وقدموا أيضا هذه البحوث بما تستحق من بحث علمي مركز يبطل آراءهم ويفـد أقوالهم ولكني رأيت أن المهتمين من العلماء لم يقوموا بواجبهم هذا على الوجه الكامل الذي يستطيعون به تحويل أنظار شبابنا الموجـود في الجامعات الأوربية والجامعات الغربية والذي هـو مهدد بمثـل هذه التـوجيهات السيئـة التي تبطل عليـه وجهة نـظره الصحيحة كما تعرفه عن الحق أنا أدعو لأن يتنبه كل العلماء إلى واجبهم في هذا المجال حتى يكتبوا لا أقول في الـرد على هذين الرجلين ولكن ليصحح المسار العلمي الذي ينبغي أن نأخذ به في حقائق ديننا بهذه البحوث القيمة والدراسـات العميقة التي تشكر للسادة المحاضرين الأساتذة جهودهم في إعدادها وأن المهم في حسن تقديمها وبما استمعنا إليـه من التعـاليق المفيدة التي تتكـامل مـع الدراسـات لما جـاء فيها من نفـع ونطقت بـه من علم ننهي جلستنا هـذه الصباحيـة شـاكرين لأصحـاب المعالي والسعـادة والفضيلة الأساتـذة الحاضرين عنـايتهم بهذه البحـوث وحسن استـماعهم إليهـا وتجاوبهم معها وترفع الجلسة للاستراحة والصلاة وتناول شيء من الشاي وبعدها يكون موعد الجلسة الثانية الصباحيـة التي موضوعها « الإسلام والطب الوقائي » وشكرا لحضراتكم جميعا .